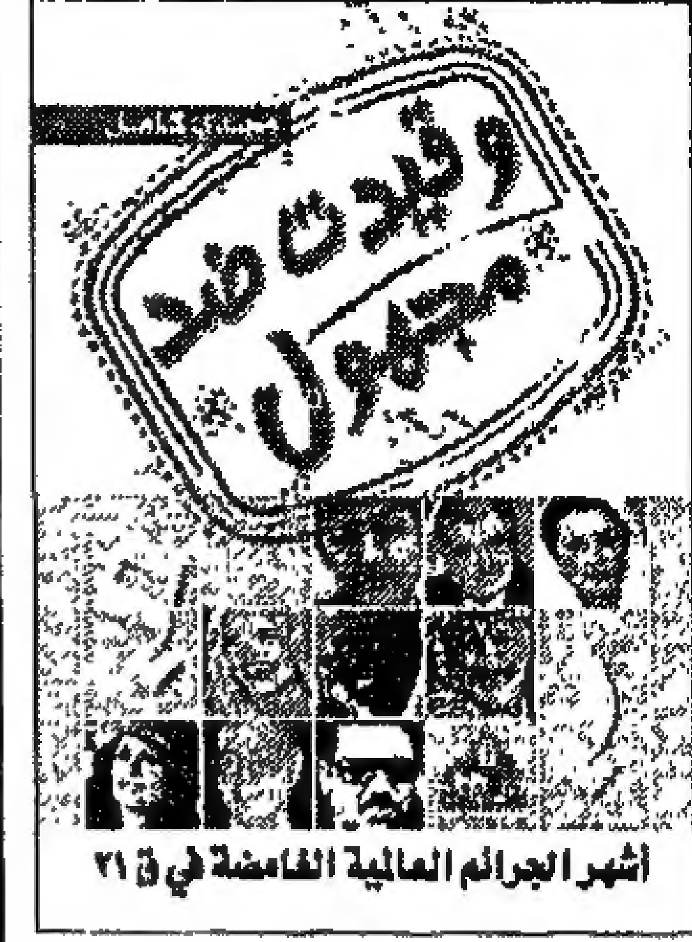
مجدي كامل

وقيدت ضد مجهول



أشهر الجرائم العالمية الغامضة في ق ٢١

---- وقيدت ضد مجهول



اسم الكتاب : وقيدت ضد مجهول

اسم المؤلف: مجدي كامل

المراجعة اللغوية والتدقيق: طه عبد الرؤوف سعد

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٣٨٨٧ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-405-2

التنفيذ الفنى: أحمد وليد ناصيف

الإشراف الفنى: محمد وليد ناصيف

الإشراف العام: أ. أسعد بكرى كوسا

تطلب كافة منشوراتنا:

حلب: دار الكتاب العربى - الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠

دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

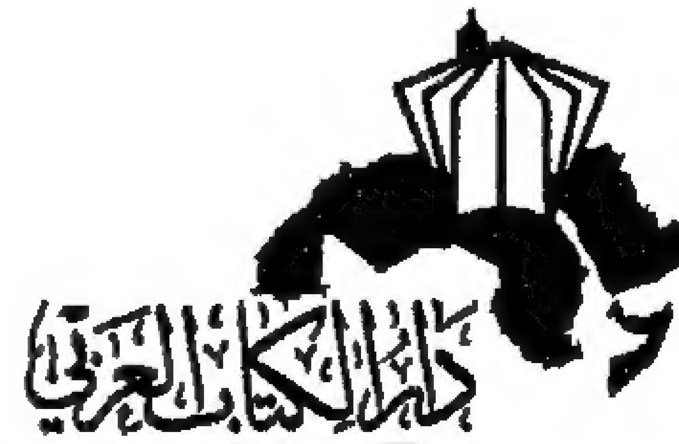
مكتبة النورى - أمام البريد ت: ٢٢١٠٣١٤

مكتبة عالم المعرفة - جسر فيكتوريا - ت: ٢٢٢٨٢٢٢

مكتبة الفتال- فرع أول - ت: ٢٤٥٦٧٨٦

فرع ثاني- ت: ٢٢٢٢٣٧٣

الطبعة الأولى
٢٠٠٨



سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى تلفاكس: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٢٣٩١٦١٢٢ - ٢٣٩٣٣٦٧١
لبنان - تلفاكس: ٤٣٤١٨٦/ ٠٥ - تليفون: ٠٣/٦٥٢٢٤١ - ص.ب.٣٠٤٣ الشويفات
E-mail: darkitab2003@yahoo.com - daralkitab-nassif@hotmail.com

وقُيِّدَتْ ضِدَّ مجهولٍ

أشهرُ الجرائم العالميَة الغامضة

فى القرن الحادى والعشرين

◆

مجدى كامل

◆

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

تـقـديـم

في عالم الإجرام نوعان من الجريمة إحداهما تبوح بأسرارها مهما طال الوقت، ومهما أحاط بها الغموض، وأخرى تتحول إلى لغز محير، وتمر السنة تلو الأخرى لتُطمَس معالمها، وتُمحَى آثار مرتكبيها ، وتُقيَّد الجريمة ضد مجهول، ليذهب دم الضحية أو الضحايا بلا ثمن !!

و هناك جرائم من العيار الثقيل .. جرائم يندى لها جبين الإنسانية سواء بسبب وزن الضحية، أو عدد الضحايا، وحجم الخسائر، أو غرابة الجريمة، أو الغموض الذي يكتنف هوية الجناة !!

و في هذا الكتاب نحاول أن نرصد أشهر وأخطر الجرائم الغامضة في القرن الحادي والعشرين، جرائم روعت العالم، أو صدمت ضمير الإنسانية، بسبب مَا تضمنته من مآسٍ، وما خلفته من ضحايا، وما تولد عنها من صدمة للجميع .

من هذه الجرائم اغتيالات سياسية بشعة، شهدها العالم شرقه وغربه، ولم يتم التوصل لمرتكبيها، ومذابح رهيبة لم يعرف منفذها، ومن ثَمَّ لم تطله يد العدالة، رغم استصراخ أرواح الضحايا، وأنات ذويهم، وجرائم أخرى تتعلق بمخلوقات أو أشباح غامضة تظهر في بعض الأماكن، وأشكال وصور أخرى لجرائم اختلفت في ملابساتها، وهوية مرتكبيها وضحاياهم، ولكن خيطاً واحداً جمع بينها جميعاً وهو الغموض الذي اكتنفها جميعها لتُقيَّد في النهاية **ضد مجهول** !!

مجدي كامل

١ - رفيق الحريرى..

سَيَّسوا القضية فأفلتوا القاتل !!



●●مَن حاولوا إلصاق التهمة بجهة معينة واستبقوا التحقيقات لم يساعدوا في تعقب الجناة الحقيقيين، وإنما سيَّسوا مقتله، وأفسدوا سير القضية !!

عندما سقط رئيس وزراء لبنان الراحل رفيق الحريري في عملية تفجير إرهابية لموكبه وسط بيروت، كان من الغريب أن يصبح حديث الساعة هو من قتل الحريري، وليس من الذي قرره، ودفع إليه، ومن استفاد منه ؟!

وهكذا تابعت ولا تزال أجهزة الإعلام العالمية والمحلية الموضوع برمته، والذي أصبح يشغل تساؤلات معظم الناس الآن للأسف في طريقة مضللة وغير صحيحة ولغاية واضحة مريبة لأن هذه الجريمة البشعة في الحقيقة لم تستنفد بعد كل الثمار المتوخاة منها عندما قرروا ارتكابها والتضحية بالزعيم رفيق الحريري (شهيدا في بيروت) تحديدا!

لا يمكن النظر إلى حادثة اغتيال رفيق الحريري وكأنها حادثة منفصلة عن مجمل الوضع السياسي العربي العام وعن سياسة الولايات المتحدة المعلنة بخصوص تغيير "الشرق الأوسط" كما تحب أن تسمي المنطقة العربية. فالذي يحاول أن يعرف مَن وراء قتل الحريري، يواجه أولاً السؤال الأهم وهو: من المستفيد من قتل الحريري، ومن له القدرة على تنفيذ عملية القتل بهذه الدقة والحرفية؟

من الواضح لكل ذي بصيرة أن سوريا آخر من يستفيد من قتل الحريري، لكن المستفيد الأول والأخير من كل هذا الهرج والاضطراب الذي أَلَمَّ بلبنان هي الولايات المتحدة والكيان الصهيوني.

دخول فرنسا في العملية لم يكن مصادفة وليس سببه رغبتها في تحسين علاقاتها بالولايات المتحدة بعد معارضتها احتلال العراق كما يحلو للبعض أن يتصور. فرنسا لا تزال تعتبر لبنان من مناطق نفوذها في الوطن العربي ولم تتوقف أبداً عن التدخل في شؤونه الداخلية. وحتى لا يأخذ الخيال البعض فيتصور أن موقف فرنسا من العدوان

على العراق كان سببه أخلاق فرنسا أو شيئاً من قبيل هذا، نذكر أن فرنسا المحتلة للجزائر ودول المغرب العربي كانت هي الدولة التي زودت الكيان الصهيوني بأول مفاعلاته النووية وبالتقنيات اللازمة لصنع السلاح النووي. وفرنسا "الاشتراكية" كانت إحدى دول العدوان الثلاثي الغاشم على مصر عام ٥٦. وفرنسا سايكس- بيكو هي التي سمحت للكيان الصهيوني بتدمير قلب المفاعل النووي العراقي قبل شحنه من الميناء الفرنسي لكي تتملص من التزامها بتزويد العراق بالوقود المخصب. وفرنسا هي التي وعدت العراق بعدم مهاجمته إذا سمح للأجانب بالمغادرة في آب ١٩٩٠، ثم نكثت وعدها وكانت مع أول المساهمين بالعدوان على العراق عام ١٩٩١ وزودت الولايات المتحدة بشفرات طائراتها وأسلحتها التي لدى العراق لتسهيل تدميرها. وفرنسا ساهمت مع الولايات المتحدة وبريطانيا في فرض مناطق حظر الطيران في شمال وجنوب العراق عام ١٩٩١، وصارت زوجة مجرم حرب الجزائر ميتران مدافعة عن حقوق الإنسان للأكراد (فقط وليس للفلسطينيين أو الجزائريين أو العراقيين المحاصرين)!

معارضة فرنسا للحرب على العراق أسبابها اقتصادية ومصلحية. ففرنسا كانت تريد الإبقاء على الوضع في العراق على حاله، فهي مستفيدة من الحصار ومن مبيعاتها للعراق من خلال برنامج النفط مقابل الغذاء وربما خارجه أيضاً.

وكانت تطمع في تحصيل ديونها من العراق عبر هذه العلاقة المصلحية وربما عبر تضخيم أسعار بضائعها إلى العراق. وفرنسا تدرك أن دخول أمركا إلى العراق سوف يحرمها من هذه الامتيازات، كما حصل في عام ١٩٩١ بعد "تحرير" الكويت إذ رضيت فرنسا ميتران من الغنيمة بالإياب.

وتصورت فرنسا أيضاً أن موقفها هذا سوف يكسبها حبَّ الشعب العربي، وهو ما حدث فعلاً وما شاهدناه من مواقف إنسانية من مختلف الأحزاب والجماعات التي طالبت خاطفي الفرنسيين في العراق بإطلاق سراحهم تثميناً لمواقف فرنسا. هذه

كلها تخلت عنها فرنسا لحماية إسرائيل ولحماية مصالحها في لبنان، بعد أن أدركت أن التدخل الأمريكي سوف يفقدها لبنان وسوريا.

ولهذا ففرنسا تريد أن تكون جزءاً من العملية السياسية الجديدة التي ترسم لمصير لبنان وسوريا علها تستطيع الإبقاء على بعض نفوذها. وهذا كان دائماً ديدن فرنسا في علاقاتها مع العرب، فهي مستعدة للتقلب في أية لحظة، والشواهد كثيرة.

علاقة فرنسا بلبنان ترجع إلى زمن الاحتلال وخلق لبنان ككيان منفصل عن سوريا بمشيئة فرنسا ووضع نظامه الأساسي الطائفي بشكل يشبه إلى حد كبير ما تقوم به قوى الاحتلال في العراق الآن. وفرنسا لا تريد أن تتغير التركيبة الطائفية التي وضعتها بالرغم من أن التوزيع الطائفي الحقيقي على الأرض قد تغير فلم يعد الموارنة هم الأكثرية.

ولهذا فإن تطبيق اتفاقية الطائف سوف يعني تمثيلاً ديمقراطيًّا حقيقيًّا إذ أن الاتفاق ينص على انتخاب أول مجلس نواب على أساس وطني لا طائفي، وأن لبنان عربي الهوية والانتماء، وينص كذلك على إلغاء الطائفية السياسية وإلغاء قاعدة التمثيل الطائفي واعتماد الكفاءة والاختصاص في الوظائف العامة وإلغاء ذكر الطائفة والمذهب في بطاقة الهوية .

ولعل أهم ما في الاتفاق هي البنود الخاصة بحل جميع الميليشيات اللبنانية وغير اللبنانية وتسليم أسلحتها إلى الدولة اللبنانية، واستعادة سلطة الدولة حتى الحدود اللبنانية المعترف بها دولياً، والعمل على تنفيذ القرار ٤٢٥ وسائر قرارات مجلس الأمن الدولي القاضية بإزالة الاحتلال الإسرائيلي إزالة شاملة، والتمسك باتفاقية الهدنة الموقعة في ٢٣ مارس ١٩٤٩. هذه كلها تعني انسحاباً تامًّا لإسرائيل من كل الأراضي العربية المحتلة، وتنفيذه يعني الاعتراف بالقرار ٤٢٥ وتطبيقه على إسرائيل والعودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧. وهذا ما لا تريد القوى المؤيدة لإسرائيل، وبضمنها فرنسا، الالتزام به.

أما ما يخص سوريا فإن الاتفاق ينص على أن تقوم القوات السورية بمساعدة قوات الشرعية اللبنانية لبسط سلطة الدولة اللبنانية في فترة زمنية محددة تقرر الحكومتان في نهايتها إعادة تمركز القوات السورية في منطقة البقاع ومدخل البقاع الغربي في ضهر البيدر حتى خط حمانا المديرج عين داره، وإذا دعت الضرورة في نقاط أخرى يتم تحديدها بواسطة لجنة عسكرية لبنانية سورية مشتركة.

من هنا يبدو واضحاً أن كل هذا اللغط حول سوريا وكونها محتلة للبنان والمطالبة بمغادرتها ليس سببه الحرص على سيادة واستقلال لبنان، كما يقال لنا، أو كما يتصور بعض السذج من وارثي الدكاكين السياسية في لبنان،، والسبب الرئيس هو التخلص من تنفيذ اتفاق الطائف، وهذا يبدو واضحاً من صيغة قرار مجلس الأمن المرقم ١٥٥٩.

فمع أن القرار غير قانوني لأنه تجاوز على قواعد القانون الدولي وتدخل في الشؤون الداخلية لدولة ذات سيادة وليس لمجلس الأمن الحق في تبني مثل هذه القرارات، فالمهم أن القرار لا يشير إلى اتفاق الطائف على الإطلاق، وهو ما يؤكد التصور القائل بأن الغاية منه هي إلغاء اتفاق الطائف واستبداله بقرار يعتبر قراراً لما صار يسمى بـ "الشرعية الدولية"، وهي نفس الشرعية التي سمحت بتدمير العراق وحصاره لأربعة عشر عاماً دون مسوغ قانوني.

اللبنانيون المعارضون لاستمرار اتفاق الطائف تمسكوا بتطبيق قرار مجلس الأمن أعلاه بشكل انتقائي، فهم يصرون على تفسير الفقرة الثانية للقرار والتي تنص على انسحاب جميع القوات الأجنبية الباقية من لبنان على أنها تنطبق على القوات السورية دون الإشارة إلى إسرائيل التي تحتل مزارع شبعا إلى الآن، وبالرغم من أن اتفاق الطائف الذي عفا عن مجرمي الحرب الأهلية يتضمن آلية تنسق العلاقة السورية اللبنانية.

والمضحك المبكي في هذا أيضاً أن قرار مجلس الأمن ١٥٥٩ يؤكد أهمية إقامة انتخابات حرة وعادلة وفقا للقواعد الدستورية اللبنانية من دون تدخل أو تأثير خارجي، وهو يأتي في نفس الوقت الذي أجريت فيه الانتخابات في العراق تحت الاحتلال غير القانوني، ولم نسمع من فرنسا أو غيرها من الدول الحريصة على سيادة واستقلال الشعوب قراراً مماثلاً يطالب بانسحاب جميع القوات الأجنبية من العراق قبل إجراء الانتخابات.

نكاد نجزم أن قتل الحريري مرتبط بالرغبة في عدم تطبيق اتفاق الطائف، لأن الرجل يعتبر عراب ذلك الاتفاق الذي كان في الحقيقة مدخله إلى الحياة السياسية في لبنان.

فقبل هذا كان الحريري رجل أعمال يعيش في السعودية ويحمل جنسيتها ويرتبط بعلاقات وثيقة بأمراء العائلة الحاكمة. ودخل لبنان بعد الطائف من باب إعادة الإعمار، مما مكنه من مضاعفة ثروته عدة مرات.

صحيح أن الحريري غير موقفه وصار يطالب بخروج سوريا من لبنان، إلا أن الواضح أن بقاء الحريري كان مهماً لسوريا لأن عراب اتفاق الطائف كان سوف يطبق اتفاق الطائف الذي يفيد سوريا وينهي التهديد الإسرائيلي عبر لبنان، وعبر المليشيات الموالية والعميلة لإسرائيل، ويضمن بقاء سوريا في لبنان بالاتفاق مع حكومته، بينما لا يريده أصحاب المليشيات العميلة لإسرائيل، والذين يريدون أن تبقى المحاصصة والتمثيل الطائفي عنواناً للبنان، وهو ما يهدد مصالحهم ووجودهم. هؤلاء هم الذين لهم مصلحة في قتل الحريري، ولنا في التأريخ أمثلة كثيرة، وليس المصطلح الذي درج الجميع على استخدامه "قميص عثمان" إلا أشهرها.

ومن المهم هنا أن نتطرق بسرعة لمشوار الحريري قُبيل وصوله السلطة في لبنان، وحتى تم اغتياله .

ولد رفيق بهاء الحريري في صيدا عام ١٩٤٤ وهو ابن لمزارع. وعقب إتمامه تعليمه الثانوي عام ١٩٦٤ التحق الحريري بالجامعة العربية ببيروت حيث درس المحاسبة. خلال تلك الفترة.

كان عضوا نشطا في حركة القوميين العرب التي كانت في صدارة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش.

في عام ١٩٦٥ قطع الحريري دراسته بسبب النفقات المالية وهاجر إلى السعودية حيث عمل كمدرس للرياضيات في جدة، ثم كمحاسب في شركة هندسية، ثم أنشأ شركته الخاصة للمقاولات عام ١٩٦٩.

وقد برز دور الشركة كمشارك رئيسي في عمليات الإعمار المتسارعة التي كانت المملكة تشهدها في تلك الفترة. ونمت شركته بسرعة خلال السبعينيات حيث قامت بتنفيذ عدد من التعاقدات الحكومية لبناء المكاتب والمستشفيات والفنادق.

وفي أواخر السبعينيات قام الحريري بشراء شركة الإنشاءات الفرنسية الضخمة "اوجير" وأصبح وشركته على قمة إمبراطورية المقاولات في العالم العربي.

ونتيجة لنشاطاته وسمعته الطيبة كُلف الحريري ببناء فندق مسرة بالطائف في غضون ستة أشهر لاستضافة القمة الإسلامية.

وقد حظي الحريري باحترام وثقة الأسرة الحاكمة السعودية ومنح الجنسية السعودية عام ١٩٧٨.

وبحلول مطلع الثمانينيات أصبح الحريري واحدا من ١٠٠ أغنى رجل في العالم واتسع نطاق إمبراطوريته ليتضمن شبكة من البنوك والشركات في لبنان والسعودية، إضافة إلى شركات للتأمين والنشر، والصناعات الخفيفة، وغيرها.

وفي عام ١٩٧٩ أسس المعهد الإسلامي للدراسات العليا في مسقط رأسه في مدينة صيدا، وفي نفس العام أسس مؤسسة الحريري للثقافة والتعليم العالي التي قامت

بسداد تكاليف ومصرفات التعليم والدراسة لآلاف الطلاب اللبنانيين في الجامعات اللبنانية، وأوروبا والولايات المتحدة. وفي عام ١٩٨٣ قام ببناء مستشفى ومدرسة ثانوية وجامعة ومركز رياضي كبير في كفر فالوس في لبنان.

كما ساهم الحريري في جهود إعادة إعمار لبنان وكان له دور في تمويل بعض الجماعات المسلحة خلال الحرب.

وقد قيل أيضا إن الحريري قام بتمويل ميليشيات متحاربة خلال الحرب الأهلية وهي نفس الميليشيات التي قامت بتدمير وسط بيروت التجاري الذي كان يحلم بإعادة بنائه.

وقد ضخ الحريري أموالا ضخمة في مشروعات إعادة إعمار لبنان بعد الحرب الأهلية التي عاشتها .

وقد تعرض الحريري فيما بعد لانتقادات عديدة، منها اتهامات بالمساهمة في تدمير وسط بيروت من أجل إعادة بنائه والحصول من وراء هذه العملية على مليارات من الدولارات.

وقد عمل الحريري خلال الثمانينيات كمبعوث شخصي للعاهل السعودي الملك فهد في لبنان وكان على رأس جهود الوساطة السعودية.

ومن أهم ما قام به المساهمة في تحقيق مشاركة كل الأطراف المتنازعة في مؤتمر الحوار الوطني في جنيف عام ١٩٨٣، وكذلك المؤتمر الثاني الذي انعقد في لوزان بسويسرا في العام نفسه.

وبينما ظل مبعوث السعودية إلى لبنان، كان الحريري، الذي أدرك أين يوجد مركز القوة، يمضي في دمشق وقتا أطول مما يقضي في بيروت.

وقد بذل الحريري جهدا كبيرا في العمل من أجل الحصول على ثقة الأسد في سوريا بعد أن أدرك أن الطريق إلى تحقيق مستقبل سياسي في لبنان يمر عبر سوريا .

وقد شيدت شركة المقاولات التي يمتلكها قصرا رئاسيا في دمشق وقدمتها هدية للرئيس حافظ الأسد (الذي لم يكترث كثيرا بهذا القصر فتحول إلى مركز فخم للمؤتمرات).

وقام الحريري كثيرا بجهود للوساطة بين دمشق والكثير من الشخصيات السياسية اللبنانية خلال العقد الأخير من الحرب الأهلية اللبنانية.

وفي عام ١٩٨٦ كان الحريري وراء عودة الزعيم السابق للقوات اللبنانية إيلي حبيقة إلى لبنان.

ولعب الحريري أيضا دورا بارزا في التوسط بين الرئيس اللبناني الأسبق أمين الجميل والسوريين.

وفي خريف عام ١٩٨٥ سعى الحريري - دون نجاح - إلى الحصول على موافقة الرئيس الجميل على ما يسمى بالاتفاق الثلاثي.

وفي أغسطس ١٩٨٧ قام الحريري بمبادرة جريئة لتحقيق تقارب بين الجميل والسوريين.

وفي خريف سنة ١٩٧٧ نشبت أزمة سياسية في البلاد.

وعينه الجميل مشرفا عسكريا ليتولى مهام الرئاسة لحين انتخاب رئيس، قبل انتهاء فترته الرئاسية بخمس عشرة دقيقة.

وساهم الحريري في إنجاح مساعٍ لعقد مؤتمر مصالحة وطنية بين البرلمانيين اللبنانيين في الطائف بالسعودية.

وأقنع الحريري، بمساعدة سعودية، المجتمعين بقبول الوجود العسكري السوري على الأراضي اللبنانية.

وفي أكتوبر من عام ١٩٩٠، قامت الدولة اللبنانية بمساعدة سورية بتنحية عون، الذي لجأ إلى السفارة الفرنسية، فبدأ الحريري مفاوضات مع الحكومة التي وضعتها سوريا لإعادة إعمار لبنان.

واتهم معارضو الحريري بأنه رشى مسؤولين كباراً في الحكومة وبأنه "أهدى" منزلا فخما للرئيس إلياس الهراوي.

وبحلول عام ١٩٩٢، كان الحريري قد اشترى أسهما كثيرة جدا في عدة محطات تلفزيون وإذاعة وصحف لبنانية وصار اسمه يقترن بـ"منقذ لبنان".

وأطلقت دمشق يد حزب الله في صيف ١٩٩١ لكي يشن هجمات متكررة على إسرائيل، ومع الهجمات الانتقامية الإسرائيلية قبل غزو الجنوب، تدهور الاقتصاد اللبناني.

وفي الشهور الأولى من عام قيل تولي الحريري رئاسة الوزارة، ١٩٩٢، انهارت الليرة لتسجل ٢٠٠٠ إلى واحد أمام الدولار.

وأدى انهيار الاقتصاد اللبناني السريع إلى مشاكل اجتماعية ومظاهرات بسبب البطالة مما أدى إلى شلل مظاهر الحياة في لبنان.

وفي تلك الأثناء بدأ الحريري يعلن عن الـ"مصير المشترك" بين بيروت ودمشق مما جعل تلك الأخيرة تتخلى عن ترددها في تسليم مفاتيح السلطة لذلك البليونير الطموح.

وبعد أن لعب الحريري دورا محوريا في الإشراف على العملية الانتخابية سنة ١٩٩٢، ودعمت دمشق تعيين الحريري رئيساً للوزراء .

قوبل تعيين الحريري رئيسا للوزراء بحماس كبير من غالبية اللبنانيين، وخلال أيام ارتفعت قيمة العملة اللبنانية بنسبة ١٥٪ .

وقد تعهد الحريري بإعادة لبنان إلى ازدهارها السابق قبل الحرب كمركز للتجارة والنشاطات المصرفية لتصبح سنغافورة الشرق الأوسط، وقام بتخفيض الضرائب على الدخل إلى ١٠٪ فقط. وقام باقتراض مليارات الدولارات لإعادة تأهيل البنية التحتية والمرافق اللبنانية، وتركزت خطته التي عرفت باسم "هورايزون ٢٠٠٠" على إعادة بناء بيروت على حساب بقية مناطق لبنان.

خلال فترة رئاسته الأولى ارتفعت نسبة النمو في لبنان إلى ٨٪ عام ١٩٩٤ وانخفض التضخم من ١٣١٪ إلى ٢٩٪ واستقرت أسعار صرف الليرة اللبنانية.

أدى عمق المشكلات الاقتصادية إلى زيادة الضغوط على وزارة الحريري الثانية من قبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي، وعليه تعهد بتخفيض البييروقراطية ووخصخصة المؤسسات العامة التي لا تحقق ربحا.

واستقال الحريري في أكتوبر عام ٢٠٠٤ بعد خلاف مع الرئيس اللبناني ايميل لحود.

فقد غير موقفه بعد أن أصبح زعيما للمعارضة، وقد نشب الخلاف بعد أن عارض الحريري فكرة تعديل الدستور لتمديد فترة رئاسة الرئيس لحود لثلاث سنوات إضافية.

وعودة للسؤال : من قتل الحريري واستكمالاً لأصابع الاتهام الموجهة نحو أطراف لبنانية داخلية، أو أطراف أخرى خارجية ممثلة في أمريكا وإسرائيل، أو عملية مشتركة لعناصر داخلية وخارجية، يمكن استبعاد أي دور للسوريين منها، ولإلقاء المزيد من الضوء، هناك تصريحان لسعد الحريري زعيم تيار المستقبل ونجل الراحل رفيق الحريري في يومين مختلفين الأول بتاريخ :١٠يونيو٢٠٠٥ وفيه يقول مايلي :

التصريح الاول :

سعد رفيق الحريري: المتضررون من المشاريع الإنمائية حرضوا ضد والدي وخانوه وقتلوه

و عون يتهمه بتمويل كل اللوائح الانتخابية

بيروت: «الشرق الأوسط»

كشف النائب المنتخب سعد رفيق الحريري عن وجود مشاريع إنمائية لمنطقة البقاع بقيمة ٣٠٠ مليون دولار ممولة من صناديق عربية وموضوعة في الأدراج وحال دون تنفيذها النواب الذين تعاقبوا على منطقة البقاع منذ ثلاثة عشر عاما وحتى اليوم. واتهم المتضررون من هذه المشاريع بقتل الرئيس رفيق الحريري.

وقال الحريري أمام وفد كبير من عشائر البقاع زاره في قريطم: «لقد وعدكم الرئيس الشهيد رفيق الحريري بالعديد من المشاريع لمنطقتكم عام ٢٠٠٠، ولكن المتضررين منها منعوه من انجازها». وأكبر مثال على ذلك الجامعة التي كان ينوي إنشاءها، وأنتم تعلمون أن هؤلاء الناس الذين هددوه كما هددوكم حرضوا ضده وخانوه وطعنوه في ظهره وخلقوا الأجواء لقتله، وفي نهاية المطاف قتلوه ولكنهم لم يكتفوا بذلك، وهم يحاولون قتله كل يوم. قتلوه لأنه كان القوي في البلد وهم يخافون الأقوياء ولكنهم لم يعلموا أن قوة رفيق الحريري كانت مستمدة منكم وأنه بوجودكم فإن الحريري لن يموت، وهذا ما ستؤكدون عليه في الانتخابات الأحد المقبل، وسنكمل جميعنا مشروعه إن شاء الله». وأضاف: «أمامكم استحقاق كبير في ١٢ يونيو الحالي، وعليكم أن تختاروا وتقترعوا للحقيقة التي تعرفونها جميعكم، وما كان ممنوعا على الرئيس الشهيد رفيق الحريري القيام به في السنوات الماضية يتحقق اليوم، وها هو تيار المستقبل يخوض معارك انتخابية في كل لبنان لوصول نواب جدد من كل المناطق والطوائف نستطيع معهم أن نخوض المعارك لتحقيق حلم ومشروع رفيق الحريري».

من جهة اخرى، شن العماد ميشال عون حملة على سعد الحريري، واتهمه بتمويل كل اللوائح الانتخابية على الأراضي اللبنانية.

وقال في دردشة مع الإعلاميين في دارته بالرابية استهلها برد على سؤال عن تعاطي بكركي (مقر البطريركية المارونية) بالشأن الانتخابي: " إن بكركي واعية لكل المواضيع. ونتمنى أن توضح أن الجميع تحت رعايتها وهي لا تتعاطى السياسة الانتخابية لمصلحة أحد. فموقف بكركي هو سياسة وطنية. وأعتقد أننا أقرب إلى تجسيد هذه السياسة من اي انسان آخر يدعي رعايتها".

وسئل: هل تعتبر أنك تتحمل في مكان ما مسؤولية عدم التوصل إلى التوافق الذي يتمناه البطريرك صفير، فأجاب: " لا، ليس من مسؤولية. التمني هو شيء والواقع شيء آخر. لماذا الانتخابات؟ هل تريدون أن نلغيها ونقول للناس أنتم لستم موجودين؟ .. يجب أن يكون على الأقل متنافسان للمحافظة على الديمقراطية. وإذا كانوا ثلاثة فهذا أفضل. إن عدم وجود التنافس هو إلغاء للديمقراطية. هذه الفكرة وجدت منذ الوجود السوري. عند مجيئنا كل شيء كان قد تغير عند الشعب اللبناني، لكن الطبقة السياسية ورثت النظام السوري ونسخته. وانتقلوا بتأليف اللوائح من عنجر إلى قريطم. لقد تغير القرار اللبناني بصيغة البترو دولار، وتغير الأسلوب. يؤلفون اللوائح على كل الأراضي اللبنانية ويرهنون قرارهم مع قريطم باسم التحالف والوحدة التي لا معنى لها. والقرار اللبناني يباع بمرحلة اضطرابات إقليمية.

التصريح الثاني :

سعد الحريري: تقرير ميليس خطوة أولى نحو العدالة

إيلاف - ٢٢ أكتوبر ٢٠٠٥

سلطان القحطاني من الرياض:

من منزله في مدينة جدة على الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية وجّه زعيم "تيارالمستقبل" النائب اللبناني سعد الحريري كلمة متلفزة إلى عموم

اللبنانيين، أكد فيها أن نتائج لجنة التحقيق الدولية في اغتيال والده، والتي أشارت إلى تورط النظامين الأمنيين في لبنان وسوريا، لن تكون موضع "مساومة داخلية أو خارجية" كما أنها "ليست معروضة لأي شكل من أشكال المقايضات السياسية، ولن نقبل أن تكون وسيلة للاقتصاص السياسي أو غير السياسي في ساحات أخرى".

قال الحريري في الكلمة التي بثتها مباشرة محطات التلفزة اللبنانية والعربية: "إن الله أراد أن تظهر بشائر الحقيقة في هذه الأيام المباركة، وعلى أعتاب ليلة القدر... وكان القدر هو على موعد جديد مع رفيق الحريري ورفاقه الذين يتطلعون إليكم من جنات الخلد إن شاء الله"،مضيفاً أن والده الرئيس رفيق الحريري كان يحمل "مشروع إنقاذ لبنان".

وأشار الحريري الابن، الذي ظهرت خلفه صورة مكبرة للمظاهرات اللبنانية في ساحة الشهداء، إلى أن المجرمين حاولوا قبل اغتيال والده اغتيال شخصيات أخرى قائلاً: "لقد فعلوها قبل ذلك عام ١٩٩٨، وكرروها عام ٢٠٠٠، وبعد مؤتمر باريس، وقبل وبعد التمديد لرئيس الجمهورية (اللبنانية) الذي يعد مخالفة دستورية غير مسبوقة في تاريخ لبنان"، متجنباً ذكر الرئيس اللبناني اميل لحود بالاسم.

وأعتبر سعد الحريري أن أفراد الشعب اللبناني الذي "وجه أصابع الاتهام بعيد وقوع الجريمة بدقائق" لم يخطئ الهدف طبقاً لما أعلنه في كلمته"، في إشارة إلى الاتهامات الشعبية المتواترة التي طالت النظام السوري، وسحبت على أثرها الحكومة السورية جنودها من لبنان بعد أكثر من ثلاثة عقود على وجودها فيه باتفاق عربي ودولي.

وأضاف :"إننا أمام منعطف جديد في حياتنا الوطنية والسياسة"، معتبراً أن تقرير ميليس هو الخطوة الأولى في عملية كشف الحقيقة بغية الوصول إلى العدالة الكاملة فيما يتعلق بحادثة الاغتيال التي طالت والده ورفاق دربه.

وشدد سعد الحريري على ضرورة حماية نتائج تحقيق ميليس، معتبراً إياها مسؤولية لبنانية وطنية في المقام الأول، متطلعاً إلى مشاركة جميع الهيئات الأهلية في ذلك، وقال: "إن لبنان أمام فرصة ذهبية لتأكيد وحدته وعروبته وبناء دولته الحديثة،وهي فرصة يجب أن لا تضيع. وأنا على ثقة بأن اللبنانيين الشرفاء سيعملون على منع تبديدها".

وأكد أن نتائج تحقيق لجنة ميليس الدولية لن تكون محل مساومة، سواء في الداخل أو الخارج " فدماء رفيق الحريري ورفاقه لن تكون قابلة للمساومة. ولن نقبل أن تكون وسيلة للاقتصاص السياسي".

ولفت إلى معانٍ عدة طلب من اللبنانيين أن يعملوا النظر فيها وأهمها "سقوط المنظومة الأمنية في لبنان وسوق العديد من مسؤوليها إلى السجن"،منبهاً إلى أنه "لابد من الانتقال من مخلفات الدولة الأمنية إلى واقع الدولة الديمقراطية الحديثة".

وقال إن ضلوع "حفنة من الأشرار" في جريمة اغتيال رفيق الحريري لن تحجب الرؤية عن معرفة التاريخ المشترك مع الشعب السوري "الذي كان يعتبره الرئيس الشهيد شعباً عزيزاً" وشقيقاً يتطلع إليه لإرساء علاقات الأخوة المشتركة القائمة على الاحترام المتبادل"، مضيفاً: " الجريمة لن تخرج لبنان من عروبته..ولا اللبنانيين عن هويتهم العربية".

وقال: " نحنُ نريدُ لبناناً جديداً ". وذكر بأن المجتمع الدولي غداة صدور نتائج لجنة التحقيق الأممية بقيادة القاضي الألماني ميليس لا يثأر لرفيق الحريري فحسب، بل يعلن أيضاً أن الحقيقة لن تموت لأن الجناة سيعاقبون.: " إنها المرة الأولى التي تكتشف فيها الحقيقة من سلسلة جرائم"، كما قال.

وهناك كتاب الماني جديد بعنوان " الموساد والمخابرات الأمريكية وراء اغتيال الحريري"

يتهم فيه صاحبه واشنطون وتل أبيب بقتل الحريري، ويكشف صاحبه فيه عن الكثير من المفاجآت في مقتل الحريري، ومنها أن أمريكا هددت كوفي عنان أمين عام الأمم المتحدة – آنذاك – وابتزته بسبب فضيحة ابنه، وأن ديتليف ميليس سمح لعملاء جهاز الاستخبارات الإسرائيلي " الموساد " بالاجتماع في أوروبا مع فريق التحقيق في مقتل الخريري ، وأن أجهزة مخابرات أمريكية وأوروبية مولت ونظمت المظاهرات والاحتجاجات المعادية لسوريا، بهدف إلصاق التهمة بها !!

من قتل رفيق الحريري ؟ .. السؤال معلق بدون إجابة منذ الرابع عشر من فبراير عام ٢٠٠٦ . قد نعرف الإجابة، وقد لا نعرف أبدا. قد تبقى جريمة الاغتيال لغزاً دون حل مثل كثير من الجرائم الكبرى في التاريخ . . من قتل رفيق الحريري؟!.. هل صحيح أن جهاز مخابرات غربي قدم لأبناء الحريري أدلة تبرئ سوريا ؟.. وهل ورّدت شركة إسرائيلية أجهزة التشويش في موكب الحريري .. من هو زياد عبدالنور؟ .. وما علاقة " الدائرة الذهبية " بالاغتيال ؟!.. ما هي المهمة الغامضة للجنة ليز تشيني ؟!

يرد على هذه الأسئلة وغيرها كتاب " ملف مقتل الحريري: إخفاء الأدلة في لبنان"، والذي صدر بالألمانية للكاتب الألماني يورجين كاين كولبه.

ويتركز الكتاب على قضيتين خطيرتين يثيرهما الكتاب : قضية تتعلق بكيفية تنفيذ عملية الاغتيال في تقدير الكاتب بحسب المعلومات التي يقول إنه جمعها. وقضية أخرى تتعلق بدوائر التآمر على سوريا ولبنان في أمريكا والضالع فيها خليط من الشخصيات من ذوي الأصول اللبنانية والصهاينة وغلاة المتطرفين من المحافظين الجدد وعلاقتهم بعملية الاغتيال.

و من أهم وأخطر ما يطرحه الكتاب ذلك الجانب المتعلق بعملية الاغتيال نفسها، وكيف تمت. يقول الكاتب إنه بناء على عملية بحث وتحقيق طويلة قام بها توصل إلى ما يلي :

● أن أجهزة التشويش التي كان يستخدمها موكب الحريري دوما تعطلت في يوم الاغتيال وقبل ساعة واحدة تحديدا من وقوع الجريمة. وتوقف عمل الجهاز الالكتروني الذي يتولى تعطيل إرسال واستقبال أي ذبذبات بالنسبة لأجهزة الهاتف النقال وأي أجهزة تحكم عن بعد معروفة في العالم، ويمكن أن تستخدم في عمليات التفجير عن بعد .

● تقنيا وفنيا لا يمكن تعطيل هذه الأجهزة إلا من الشبكة المركزية للتحكم في نظامها الالكتروني. وهذه الشبكة المركزية لا تملكها إلا الشركة الموردة لها، وبالتالي هي الوحيدة القادرة على أن تفعل ذلك.

● المفاجأة المذهلة هنا التي يكشف عنها الكاتب هي أن الشركة التي وردت هذه الأجهزة، وبالتالي لديها هذه القدرة، هي شركة إسرائيلية. ليس هذا فحسب. يقول الكاتب إنه أجرى حديثا طويلاً مع أحد أصحاب هذه الشركة الإسرائيلية، واكتشف أنه في السنوات الماضية كان يعمل في جهاز المخابرات الحربية الإسرائيلية.

و يضيف الكاتب إلى هذا أن ميليس كان يعلم بكل هذا، ويتساءل، لماذا تعمد إخفاء هذه المعلومات في تقريريه ؟

و بما لا يقل خطورة عما سبق هذه المعلومة التي يذكرها الكاتب، والعهدة عليه بطبيعة الحال في المعلومات التي يقدمها هنا. يقول الكاتب إن أبناء الراحل رفيق الحريري كانت أمامهم تقارير من دول وأجهزة مخابرات غربية عن عملية الاغتيال تقدم نظريتين مختلفتين تماما:

الأولى: هي النظرية الأمريكية الفرنسية، التي تؤكد بالطبع تورط سوريا في الاغتيال.

والثانية: قدمها جهاز مخابرات دولة غربية لم يذكرها الكاتب لكنه يقول إن زعيمها كان صديقا حميما للراحل الحريري .

يقول الكاتب إن جهاز مخابرات هذه الدولة قدم لأبناء الحريري أدلة تبرئ سوريا، وتؤكد عدم تورطها في الاغتيال.

وفي تقدير الكاتب أن أبناء الحريري فضلوا تجاهل المعلومات، التي قدمها جهاز المخابرات هذا لأسباب كثيرة، أهمها أنهم يريدون بالطبع الأخذ بثأر والدهم، لكنهم في نفس الوقت يعلمون تمام العلم أنه ليس بمقدورهم لأسباب مفهومة المضي قدما وراء معلومات تشير إلى تورط المخابرات الإسرائيلية والأمريكية مثلا. كما قلت، صحة هذه المعلومات من عدمه هي على ذمة الكاتب وفي عهدته.

جانب آخر لا يقل خطورة عن كل ما سبق يتعلق بالدور الذي قام به في تقديره وبناء على بحثه بعض اللبنانيين، أو ذوى الأصول اللبنانية المرتبطين أشد الارتباط بالدوائر الصهيونية وبدوائر المحافظين الجدد في أمريكا.

و الذي يقوله الكاتب هنا - باختصار - إن بعض هؤلاء لهم سوابق في محاولات اغتيال ساسة لبنانيين، بعضها نجح وبعضها فشل، وتم توجيه الاتهام إلى سوريا بارتكابها.

الكاتب يقول إنه تحدث مطولاً مع أبرز هؤلاء وضمن كتابه نص الحوار معه وهو زياد عبدالنور. ويقول إن عبدالنور هذا والدوائر المرتبط بها كان الحريري موضوعا على قائمة الذين يجب التخلص منهم.

ولكن من هو زياد عبدالنور هذا ؟! .. زياد عبدالنور هو عمليا في حلف وثيق مع غلاة الصهاينة وغلاة المتطرفين من المحافظين الجدد.. هو أمريكي من أصل لبناني. هو ملياردير ورجل بنوك. يرأس لجنة اسمها " لجنة الولايات المتحدة لتحرير لبنان " ومهمتها المعلنة هي – كما تقول - " تحرير لبنان من الاحتلال السوري " !!

ويكفي أن نعرف مثلا أن هذه اللجنة التي يرأسها شريكة مع عدد كبير من المنظمات اليهودية مثل " المعهد اليهودي لشؤون الأمن القومي " و" التحالف الجمهوري

اليهودي " و" ميدل ايست فورم " و" مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية".. وهي كلها مؤسسات تقود الحملة العنصرية الصليبية ضد العرب والمسلمين. هذه اللجنة بها ما يسمى بـ " الدائرة الذهبية "، ومقصود بها قائمة الأشخاص الذين تقوم على أكتافهم من غلاة الصهاينة والاستعماريين والصليبيين في نظرتهم ليس لسوريا وحدها وإنما لكل العالم العربي والإسلامي مثل اليوت ابرامز، دوجلاس فيث، جين كبرياتيك، مايكل ليدن، مردخاي نيسان، ريتشارد بيرل " أمير الظلام "، دانييل بايبس- ،مايكل روبين، وزياد عبدالنور. وفي عام ٢٠٠٠ كتب عبدالنور مع بايبس ورقة بعنوان " إنهاء الاحتلال السوري للبنان والدور الأمريكي ".

والقارئ لما يكتبه أو يقوله زياد عبدالنور يعرف أنه يتبنى أفكارا من قبيل ضرورة أن تتحالف الاقليات في العالم العربي، والمسيحيين في لبنان بالذات، مع إسرائيل. بل إنه من مؤيدي عودة الاحتلال الإسرائيلي لجنوب لبنان، وما شابه ذلك من أفكار قذرة. هذا هو بأشد ما يكون الاختصار زياد عبدالنور الذي يتهمه الكتاب الألماني بالتورط في اغتيال الحريري .

ومما يشير إلى مؤامرة أمريكية إسرائيلية ضد لبنان يتم الزج فيها باسم سوريا هو إنشاء إدارة بوش قبل مقتل الحريري مجموعة اسمتها " مجموعة العمليات الخاصة بإيران وسوريا " وترأسها ليز تشيني الوكيل المساعد لوزيرة الخارجية الأمريكية ابنة نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني. مهمة هذه اللجنة المعلنة هي "تشجيع تغيير النظام في سوريا وإيران ".

لكن ماذا تفعل اللجنة بالضبط وما هي نوعية الأنشطة التي سوف تمارسها لتحقيق هذه الغاية أمر غامض . لكن الأمر المؤكد الذي يشير إليه هذا التطور هو أن الأجهزة الأمريكية تخطط وتعمل على تنفيذ مخططات تستهدف سوريا ولبنان.

الأمر الآخر الذي يجب أن نتوقف عنده مليا يتعلق بتلك التفاصيل المتعلقة بدوائر التآمر في أمريكا على لبنان وسوريا، وبذلك الاختراق الأمريكي للساحة اللبنانية الداخلية. القضية هنا كما نعلم لا تتعلق بسوريا ولبنان وحدهما وإنما بكل الدول

العربية المستهدفة وعلى المستويات الرسمية وغير الرسمية تجري عمليات التآمر والاختراق هذه.

في الوقت نفسه، جاء إعلان ما سمي بجماعة "النصرة والجهاد" بأنها وراء اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري ليشكل مخرجا مريحا لكثير من المحللين والمتابعين للشأن اللبناني، إذ إنه ينتقل بنا من حسابات معقدة متشابكة، تربط بين عملية الاغتيال البشعة وبين قرار سياسي أكبر من قدرة الحكومة اللبنانية على اتخاذه بلا غطاء إقليمي على الأقل، إلى إلقاء المسؤولية على جماعة إرهابية لا ترتبط بالحكومة اللبنانية أو بأي حكومة أخرى، وهو أسهل وأفضل الحلول لتجنب تعقيد وتأزيم الأمور في المجال السياسي والطائفي والاجتماعي، ويصب في النهاية فيما يسمى بالحرب على الإرهاب الذي تعاني منه كثير من دول المنطقة، وبالتالي ستتجنب السلطة اللبنانية الاتهامات الواضحة من قبل المعارضة السياسية المتنامية.

في المقابل فإن الإجابة على سؤال: من قتل الحريري؟ حتى وإن أعلنت جماعة النصرة مسؤوليتها، يبقى سؤال غامض ومن الصعوبة بمكان الإجابة عليه، فالتحليل السياسي سيؤدي بنا إلى أطراف متضاربة واحتمالات متعددة يمكن أن تقدم الكثير من الحجج لتعزيز أي احتمال منها. لكن مسؤولية الجماعة تبقى أحد الاحتمالات، التي لا يمكن رفضها مطلقا، فالخطاب الذي قدم في الشريط المبثوث يتوافق تماما مع رؤية التيار السلفي الجهادي، والذي له وجود سري في لبنان، حتى وإن كان محدودا، لكن عملية كهذه ليست بحاجة إلى عدد كبير بقدر ما هي بحاجة إلى تخطيط متين، وهو الأمر الذي لا يعوز أبناء هذا التيار، وإذا ما قبلنا جدلا بهذا الاحتمال فإنه مؤشر خطير على "العدمية القاتلة" الخطيرة التي أصبحت سمة هذا التيار في العالم، والذي باتت عملياته وخطابه تعبيرا صارخا عن حالة الإحباط والغضب واليأس، وغياب البوصلة، والتفسير الأعمى للدين ورسالته .

من ناحية أخرى، كان موقع فيلكا الإسرائيلي اعتراف للكولونيل في المخابرات العسكرية أمان رؤؤفين أرليخ وهو أيضا رئيس مركز أبحاث التراث للمخابرات في جليلوت في إسرائيل باغتيال رفيق الحريري، متباهيا في دراسة عبرية ترجمت إلى العربية بأن الظروف التي أدت إلى قتل رفيق الحريري رئيس وزراء لبنان أدت إلى سيطرة أميركا على لبنان ونفعت الإستراتيجية الإسرائيلية.

وكانت دراسة أرليخ مكتوبة بلغة مخابراتية يفهم منها أن قتل الحريري كان مصلحة إستراتيجية لإسرائيل وبالعرف المخابراتي الإسرائيلي هذه هي الطريقة التي يعلنون فيها عن عملية إجرامية من عملياتهم التي يقومون بها .

من ناحية أخرى، كشف الضابط السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي وين مادسن، بأن وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA استغلت برنامجا للعمليات السرية حول العالم، أعد بعد ١١ سبتمبر، بغرض ملاحقة الإرهابيين، لتصفية شخصيات سياسية كبيرة كان من بينها رئيس الوزراء اللبناني الراحل رفيق الحريري .

وقال وين مادسن، الضابط السابق في وكالة الأمن القومي الأمريكي، إن برنامج " ماتريكس "، والتي يمكن ترجمته حرفيا بـ"مصفوفة الهجوم العالمي الشامل"، أتاح للاستخبارات الأمريكية اغتيال رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، رفيق الحريري، والنائب الأول لرئيس الجمهورية في السودان، الدكتور جون قرنق، ومسؤول جهاز الأمن في القوات اللبنانية، إيلي حبيقة، وشخصيات سياسية أخرى في إفريقيا وآسيا، خصوصا في باكستان.

وإذا كان الحديث عن البرنامج ليس جديدا حيث تناوله الصحفي الأمريكي الشهير بوب ودورد في سلسلة مقالات نشرت في الواشنطن بوست عام ٢٠٠٢، والتي أثارت ضجة كبيرة حينها، إلا أن الجديد هو الكشف عن أسماء شخصيات شرق أوسطية قدمها "وين مادسن" على أن خطة اغتيالها جزء من البرنامج.

لكن الخارجية الأمريكية نفت بشدة في بيان لها في ١٣ مايو ٢٠٠٥ ما وصفته

بـ"المزاعم الكاذبة" بشأن اغتيال الحريري. وقال بيان الخارجية الأمريكية: كما كان متوقعاً، ظهرت ادعاءات كاذبة منذ اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السابق رفيق الحريري في ١٤ فبراير ٢٠٠٥، عن تورط أمريكي فيه. وزعمت إحدى النظريات أن السيد الحريري اغتيل لأنه عارض بناء قاعدة جوية أمريكية في لبنان. لكن السياسة الأمريكية تحظر الاغتيالات بوضوح منذ سنة ١٩٧٦، كما أنه لا توجد أي خطط لإقامة مثل هذه القاعدة الجوية.

وأضاف البيان: في ١١ مارس، زعم واين مادسن، الذي يطلق على نفسه لقب صحفي تحقيقات، أن اغتيال الحريري جاء "بتفويض" من الولايات المتحدة لأن السيد حريري "عُرف عنه أنه يعارض بشدة بناء قاعدة جوية أمريكية كبرى في شمال لبنان". وما فتئت السياسة الأمريكية تحظر بوضوح تام الاغتيالات منذ سنة ١٩٧٦، عندما وقّع الرئيس فورد على الأمر التنفيذي رقم ١١٩٠٥.

وتابع البيان: أُعيد تأكيد حظر الاغتيالات من قبل الرئيس كارتر والرئيس ريغان، وأكد ريغان حظره في الأمر الرئاسي التنفيذي رقم ١٢٣٣٣ الذي لا يزال ساري المفعول.

من جهة أخرى، أكد مادسن، الذي يدير حاليا، موقع "وين مادسن ريبورت" الأمريكي في واشنطن، بأنه واثق كل الثقة من المعلومات التي نشرها على موقعه، كاشفا النقاب عن مصادر معلوماته، بالتشديد على أنها مصادر من داخل الاستخبارات الأمريكية وعلى وجه الخصوص مجلس الأمن القومي الأمريكي، ووكالة المخابرات المركزية، فضلا عن وزارة الدفاع.

وأجاب مادسن بتاريخ ١٤ مايو ٢٠٠٥ عن سؤال حول مصادر معلوماته بالقول لمؤلف الكتاب : "كل ما أستطيع قوله إن هذه المصادر فرنسية وبلجيكية ولبنانية أما التصريح بالأسماء فيعني وضع هؤلاء الأشخاص في دائرة الخطر الكبير في أوروبا ولبنان".

وبعد يوم واحد قال مادسن: "استطيع أن أقول لكم إن مصادري هي ضباط استخبارات لبنانيون مسيحيون ومسلمون والاستخبارات الفرنسية الخارجية

والاستخبارات العسكرية البلجيكية، وهناك أيضا من عمل لصالح المخابرات المركزية الأمريكية".

ويذكر وين مادسن في تقريره أن مشروع " ماتريكس " الذي أسسه مدير الاستخبارات المركزية جورج تينت عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١، تم استخدامه في تصفية المعارضين للسياسة الأمريكية ومشاريع بوش - تشيني الاقتصادية في مجال البترول والغاز.

وشبّه مادسن مشروع "ماتريكس" بـ"دراما جيمس بوند العميل ٢٠٠٧" وخاصة حلقة الترخيص بالقتل وبالتالي تحول إلى برنامج مخصص لقتل الإرهابيين بصرف النظر عن مكان عيشهم وتصفية قادة وشخصيات يتمردون على السياسة الأمريكية والمصالح الاقتصادية للإدارة الأمريكية ولا يشكلون أي تهديد على الولايات المتحدة".

وفي تقريره سلط وين مادسن الضوء على اغتيال إيلي حبيقة الذي قتل بتفجير سيارته في شهر يناير ٢٠٠٢ بلبنان، وقال إنه "قتل لأنه عارض خططا أمريكية لإقامة مشاريع بترولية وعسكرية في لبنان، كما قتل مساعد حبيقة مايكل (مايك) نصار في البرازيل مع زوجته".

وكان حبيقة مسؤولا لجهاز الأمن في القوات اللبنانية اليمينية أثناء وقوع الهجوم على مخيمي صبرا وشاتيلا، في أعقاب اغتيال رئيس الجمهورية السابق بشير الجميل الذي كان زعيما للقوات.

وكان حبيقة أعرب قبل مصرعه بأيام عن استعداده للإدلاء بشهادته ضد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق، أرييل شارون بشأن الدور الذي لعبه في مذبحة صبرا وشاتيلا في ١٩٨٢. وعمل حبيقة بعد الحرب كوزير في الحكومة اللبنانية، وكان يشاع عن دور كبير له في مذبحة صبرا وشاتيلا في عام ١٩٨٢، وتم اغتياله في بيروت في ٢٤ يناير ٢٠٠٢.

وفي كتابه الذي صدر حديثا تحت عنوان "اغتيال الحريري- أدلة مخفية"، يكشف

المؤلف الألماني يورغن كاين كولبل، الباحث في علم الجنايات في جامعة هومبولت في برلين تفاصيل جديدة حول اغتيال إيلي حبيقة: "التقي في بيروت بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠٠٢ كل من رئيس لجنة العدل في مجلس الشيوخ البلجيكي ورئيسي منظمتين بلجيكيتين حول التحقيق والتضامن مع ضحايا مجازر صبرا وشاتيلا بـ (إيلي حبيقة) الذي أخبرهم بتفاصيل حول المجزرة ومسؤولية شارون ودوره فيها، وفي اليوم التالي تم اغتيال إيلي حبيقة بسيارة مفخخة".

كما يتحدث وين مادسن عن اغتيال الدكتور جون قرنق زعيم الحركة الشعبية لتحرير السوادن ونائب الرئيس السوداني، قائلا إنه" قتل أيضا رغم أنه كان حليفا للولايات المتحدة وذلك في حادث تحطم مروحيته بعد معارضته لخطط أمريكية لتأسيس شركة بترولية في جنوب السودان وتم قتله بمساعدة الرئيس الأوغندي يوري موسفيني، النصير لإدارة بوش".

كما يؤكد مادسن أن CIA اغتالت رئيس الوزراء اللبناني الأسبق، رفيق الحريري، لأن الأخير "عارض بشدة إنشاء قاعدة عسكرية أمريكية شمال لبنان". وكانت هناك، بحسبه، شركة هندسية لبنانية أمريكية تريد البدء ببناء هذه القاعدة وقد عارض ذلك بشدة رفيق الحريري.

ويدعي تقرير وين مادسن، أن الاستخبارات الأمريكية قد اغتالت أخيرا حاكم إقليم بلوشستان السابق (باكستان)، نوّاب أكبر خان بغتي، الذي كان يعمل في الماضي مع قادة باكستانيين سابقين كالرئيس ذوالفقار على بوتو الذي أعدم من قبل حكومة عسكرية موالية للولايات المتحدة.

إذن يمكن أن يكون اغتيال الحريري - كما رأينا – تم في إطار مؤامرة أمريكية إسرائيلية شارك فيها بشكل أو بآخر عملاء من أصول عربية في أمريكا وربما في داخل لبنان أيضا.

و ليس هناك أي مبرر من أي نوع كان كي تحجم لجنة التحقيق الدولية المشكلة في

اغتيال الحريري عن بحث احتمال تورط الموساد الإسرائيلي والمخابرات الأمريكية، أو أي جهة أخرى.

ليس هناك أي مبرر أو معنى لأن يظل التحقيق محصورا فقط في دائرة اتهام سوريا. (وكما رأينا من هذا الكتاب وغيره كثير من الكتابات الاتهام موجه فعلاً إلى إسرائيل وأمريكا بالتورط في الاغتيال، فلماذا استبعاد هذا الاحتمال من التحقيق.

حقيقة الأمر أن أي لجنة للتحقيق لن يكون لنتائجها مصداقية حقًّا ما لم تناقش كل الاحتمالات المطروحة، وتحقق فيها وتنفيها أو تؤكدها.. والذي يجعل هذا أكثر إلحاحاً هو أن القضية كما نعلم لا تتعلق فقط باغتيال الحريري، وإنما بسلسلة أخرى من الاغتيالات شهدها لبنان، وقيدت جميعاً ضد مجهول !!



هكذا بدا مسرح جريمة اغتيال رفيق الحريري بعد أن تم تفجير موكبه في جريمة بشعة !!



جثة رئيس وزراء لبنان الراحل أثناء انتشالها من مسرح الجريمة .. إنها الصورة الأخيرة قبل مواراته الثَّرَى بعد عملية اغتيال آثمة في قلب بيروت !!



اغتيال رفيق الحريرى

انفجار ضخم ينسف موكب رئيس الوزراء اللبنانى السابق فى بيروت

مصرع ٩ بينهم الحارس الشخصى وإصابة وزيرين سابقين فى الانفجار

هكذا سيطرت أنباء اغتيال الحريري على كل ما عداها من أنباء نظراً لبشاعة الجريمة والوزن السياسي للقتيل !!

٢- سـر سقوط طائرة

علماء النووي التركية !!



●● ولم يعرف أحد حتى الآن سر سقوط الطائرة الحقيقي فقد كانت كل الشواهد والأدلـة ضد ما حاول البعض ترويجه عن أحـوال جوية سيئة لم تكن كذلك على الإطلاق !!

لا يزال سقوط طائرة خطوط " اطلس جيت " التركية في الأناضول في أول شهر يناير عام ٢٠٠٧، جنوب غربي تركيا، لا يزال يثير الكثير من الأحاجي والألغاز والتساؤلات والشكوك العميقة حتى يومنا هذا وخاصة بالنسبة للأسباب الحقيقية التي أدت إلى الحادث، لاسيما وأن لادليل - حتى الآن - على أنها تعود إلى الأحوال الجوية أو حدوث عطل فني طارئ.

ولعل ما زاد من الشكوك وعلامات الاستفهام هو وجود ستة علماء متخصصين في الفيزياء النووية على متن الطائرة، التي قتل جميع ركابها وأفراد طاقمها الـ ٥٧.

وكان العلماء الستة في طريقهم للمشاركة في مؤتمر عن أبحاث الفيزياء النووية في تركيا يعقد في مدينة اسبارطة، وبينهما العالمة إنغين إريك العضو في المركز الأوروبي للأبحاث الفيزيائية في جنيف التي اشتهرت بأبحاثها عن بدائل اليورانيوم كمصدر للطاقة.

وتعتبر أريك التي تولت إدارة معهد أبحاث الفيزياء النووية في تركيا، أهم عالمة فيزياء نووية في البلاد. اريك كانت تعمل ضمن فريق "كارلو روبيا" الحائز على جائزة " نوبل " في العلوم لاكتشافه مادة " التوريوم " المشعة التي قد تمثل في المستقبل بديلا من اليورانيوم كوقود نووي.

و كانت العالمة التركية كانت قد كشفت بأن تركيا تمتلك نحو ٧٥ ٪ من المخزون العالمي من هذه المادة الاستراتيجية، وأشارت في أحد تقاريرها الأخيرة إلى أن في تركيا ٨٠٠ ألف طن من مادة التوريوم المشعة من أصل مليون وسبعين ألف طن هي حجم الاحتياطي العالمي من هذه المادة، وأن قيمة هذا المخزون تتعدى ١٢٠ تريليون دولار.

كان محافظ إسبارطة شمس الدين أوزون قد عزا سقوط الطائرة إلى مسؤولية قبطانها الذي ربما أراد اختصار المسافة مفضلا التحليق فوق منطقة جبلية بدلا من التزام المسار المحدد الذي يلتف على هذه المنطقة الجبلية، مشيرا إلى أن الموقع الذي عثر فيه على حطام الطائرة بعيد للغاية عن طريق الرحلة، وأن الطائرة أقلعت من اسطنبول متأخرة ساعة عن موعدها.

أما رئيس الحكومة رجب طيب أردوغان فرفض التعليق على احتمال استهداف العلماء، داعيا إلى التريث في إطلاق الأفكار والترجيحات والانتظار حتى استكمال التحقيقات والتحريات التي تقوم بها الأجهزة المعنية.

ومما عزز الشكوك، ورفع سقف الغموض، أن المدير التنفيذي لشركة طيران "أطلس جيت" مالكة الطائرة قال: " إنه لا يملك معلومات حول وجود أي مشاكل فنية في الطائرة. وأضاف: "لم تكن هناك أمطار ولا ثلوج ولا عواصف والطائرة لم تكن تواجه أي مشكلة تقنية، وكان قائد الطائرة على اتصال ببرج المراقبة حتى اختفائها عن شاشات الرادار"، موضحا أن ملاحي الطائرة يتمتعون بخبرة كبيرة.

تجدر الإشارة إلى أنه في فصل الشتاء يغلف الضباب ويغطي الجليد مناطق جبلية كثيرة في تركيا. إلا أن الحادث الذي لم تعرف أسبابه وقع في ظروف جوية جيدة ولم يطلق قبله ملاحو الطائرة أي نداء استغاثة.

كانت الطائرة المنكوبة وهي من طراز إم.دي ٨٣ سعة ١٦٥ مقعدا من إنتاج شركة مكدونيل دوجلاس، في جبال إقليم اسبرطة. وكانت الطائرة قادمة من مدينة اسطنبول وعلى متنها ٤٩ راكبا إضافة إلى طاقم من سبعة أفراد. وكانت شركة الطيران قد أعلنت في البداية أن عدد القتلى ٥٦ شخصا، إلا أن العدد ارتفع إلى ٥٧ نظرا لعدم تسجيل طفل كان على الطائرة.

واختفت الطائرة من على شاشات الرادار قبيل موعد هبوطها في بلدة اسبرطة التي تبعد نحو ١٥٠ كيلو مترا إلى الشمال من منتجع انطاليا على البحر المتوسط.

وقالت وكالة الأناضول للأنباء إن سلطات الطيران فقدت الاتصال بالطائرة بعد أن قال الطيار إنه يستعد للهبوط في مطار سليمان ديمريل. ونقلت الوكالة عن طيار شاشماز نائب الحاكم المحلي قوله "مع اقتراب الطائرة من الهبوط طلبت الإذن بالهبوط وبعد أن تلقيت ردا بالايجاب من البرج فقد الاتصال".

يذكر أن ٤٦ عالما في الفيزياء النووية قتلوا في حادث سقوط طائرة العام ٢٠٠٢ فوق إيران، خلال رحلة من أوكرانيا إلى أصفهان. وسقطت طائرتهم بعد تزودها الوقود من مطار ترابزون التركي حيث توقفت لفترة قبل أن تكمل رحلتها شرقاً وتسقط فوق الأراضي الإيرانية لأسباب غامضة لم تكشف حتى الآن.

٣- ياسر عرفات..

أهدروا دمه حيًا وميتًا !!



•• الكل يعلم أنه تم تسميمه وأنه قُتل .. ولكن أحداً لم يتحرك لكشف القاتل والقصاص منه .. وقيدت الجريمة ضد مجهول، رغم معرفة القاتل وثبوت التهمة ووجود آثار الجريمة على جسد القتيل !!

منذ غياب الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات والكلام كثير عن أسباب موته الغامض حتى قبل ذلك طرحت أسئلة عديدة عن مرضه، وما الذي أدى إلى ذلك، وتدهور صحته بسرعة غير مبررة، وهو محتجز في رام الله، لا بل محاصر من القوات الإسرائيلية في مقره، إلى أن تمّ نقله إلى فرنسا حيث خضع للعلاج لكن المنية وافته في أحد المستشفيات الباريسية.

ومنذ ذلك الوقت انطلقت الأخبار والأنباء والشائعات عن أسباب الوفاة : منهم من قال إنها مؤامرة، وأنه قد تم تسميم القائد الفلسطيني التاريخي .. البعض قال إنه حقن بدم ملوث أو فيه فيروس، أدى إلى تآكل صحته .. لم يقل أحد إن ذلك نتيجة الطعون في السن، فالجريمة كانت واضحة، وكانت تستعصى على الإخفاء أو المداراة !!

ولوضع حد لكل هذه الأقوال طالبت قيادات فلسطينية ومنها وزير الخارجية الفلسطينية - آنذاك - ابن شقيقة عرفات الوزير ناصر القدوة بالإفراج عن التقرير الطبي الفرنسي، ولكن التشكيك استمر مع إعلان أسباب الوفاة الطبيعية نتيجة المرض، وأنهم لم يعثروا على شيء يشير إلى موته مسموماً .

وعلى الرغم من ذلك فإن البعض قال إن التقرير، الذي سلم للعائلة وللقيادات الفلسطينية - آنذاك - هو ناقص ومبتور وبقيت نظرية " المؤامرة " وراء ياسر عرفات، في أكثر جرائم القرن غموضاً ومأساويًا، والتي رغم اتفاق الجميع على أن القاتل من الخارج " إسرائيل " بمساعدة من داخل دائرة المقربين من عرفات " عميل فلسطيني "، إلا أن الفاعل بقى من الناحية الرسمية " مجهولاً "، والطريقة التي جرت بها الجريمة غير معروفة تحديداً، وفي النهاية أفلت القتلة، وبقيت المأساة لغزاً، وقيدت الجريمة في النهاية - عمليًا - " ضد مجهول " !! .

ورغم مرور سنوات على رحيل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات إلا أن أسباب موته الغامض لا تزال لغزاً محيراً، في ظل اقتناع الفلسطينيين مسؤولين ومواطنين عاديين بأنه قضى مسموماً وشكهم بقيام إسرائيل بدس السم له بتشجيع ومباركة من حكومة الولايات المتحدة أو تواطؤ منها، بالنظر إلى التهديدات العديدة بالقتل التي سبق أن تعرض لها من قبل رئيس الحكومة الإسرائيلية السابق أرئيل شارون وبعض معاونيه والحصار الخانق الذي فرض على مقره في رام الله من قبل تل أبيب وواشنطن معاً.

فيوم فشلت سياسة " العصا والجزرة " الأميركية في ثني الراحل عن مواقفه الوطنية الثابتة من القضية الفلسطينية وقضية الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي عندما كان يترأس الوفد الفلسطيني في مفاوضات كامب دافيد عام ٢٠٠٠،كان متوقعاً أن تتخذ إدارة الرئيس الأميركي الديمقراطي بيل كلينتون في حينه موقفاً عدائياً منه ومن القضية الفلسطينية على حد سواء.وكان متوقعاً أن ينتقل ذلك الموقف من كلينتون إلى خليفته جورج بوش بشكل تلقائي.

وبعد أن استأثرت الولايات المتحدة بالقطبية العالمية إثر تفكك الاتحاد السوفييتي إلى جمهوريات ضعيفة ومتهالكة، أصبح من غير المألوف أو المقبول من وجهة النظر الأميركية أن يقول زعيم أو قائد في العالم مهما علا شأنه ويلغ نفوذه كلمة " لا " للإدارة الأميركية ورئيسها.فكيف تجرأ ياسر عرفات، وهو في ذلك الحصار الخانق الذي فُرض عليه في كامب دافيد أن يقول " لا " بالفم الملآن لرئيس أكبر وأعظم دولة،بل الدولة العظمى الوحيدة في العالم،ولكل طاقم إدارته الذي كان يشرف على المفاوضات الفلسطينية ـ الإسرائيلية " ويدعي رعايته لها ؟ .. وطالما أنه فعل ذلك كان لا بد أن يدفع الثمن غالياً!!

أثناء تلك المفاوضات الشاقة والعسيرة، حافظ عرفات على صلابته وتماسكه وظل متمسكاً بالثوابت الفلسطينية، وبالأخص سيادة الفلسطينيين على القدس المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها المسجد الأقصى المبارك.

ولم يذعن عرفات لكل الضغوط الأميركية والدولية والعربية التي مورست عليه وعلى الوفد الفلسطيني الذي كان برفقته، والتي كانت فوق طاقتهما على الاحتمال، خاصة عندما تأكد لهما أن الرئيس بيل كلينتون قد انتقل من دور الوسيط، الذي يفترض أن يتسم بالنزاهة والحيادية إلى دور الشريك الكامل للوفد الإسرائيلي، الذي كان يرأسه – آنذاك – رئيس الحكومة أيهود باراك وأصبح لا هم له غير تنفيذ الأجندة الإسرائيلية على حساب القضية الفلسطينية والحقوق الفلسطينية المشروعة، التي أكدتها القرارات الدولية التي صدرت عن الأمم المتحدة وفي مقدمها ١٨١ و١٩٤ و٢٤٢ و٣٣٨ ومرجعية مؤتمر مدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام .

والذين تابعوا تلك المفاوضات يتذكرون حجم الإساءة التي وجهتها وزيرة الخارجية الأميركية في إدارة كلينتون حينذاك مادلين أولبرايت عندما رفعت صوتها بعهر وفجور في وجه الرئيس الفلسطيني مذكرة إياه بنبرة تهديد أنه، في حضرة رئيس أكبر دولة في العالم، متناسية أنها كانت هي ورئيسها في حضرة زعيم وقائد واحدة من أشرف وأنبل الثورات التي عرفها التاريخ على مر العصور.

وبقدر ما كان لموقف الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات الوطني والتاريخي من أثر إيجابي على نفوس الفلسطينيين سلطة وطنية وشعباً باعتبار أنه شكل ضربة قاسمة للسياسة الأميركية المنحازة لإسرائيل والعاجزة عن القيام بدور الوسيط النزيه في عملية السلام المرجوة،فإنه مثل القشة التي قسمت ظهر البعير في موقف الولايات المتحدة وإدارة الرئيس بيل كلينتون من الرئيس الفلسطيني.

كلينتون الذي كان يطمح إلى تتويج ولايته الثانية بإنجاز سياسي دولي من النوع الثقيل مثل توقيع اتفاقية سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين دون ما اعتبار من قبله لماهية تلك الاتفاقية أملاً في الحصول على جائزة نوبل للسلام ،راعه أن يحرمه الرئيس الفلسطيني الراحل بذلك الموقف المبدئي من الأمل في تحقيق حلمه!!

لكن الوقائع دللت على أن موقف الرئيس الفلسطيني ذلك لم يكن السبب، لا المباشر ولا غير المباشر، في تضاؤل أمل بيل كلينتون في الحصول على الجائزة المبتغاة بقدر ما كانت الخديعة التي أوقعه في شركها شريكه وحليفه أيهود باراك، عندما أقنعه بأن الظروف كانت ناضجة لإجراء تلك المفاوضات وأن السلطة الفلسطينية بلغت من اليأس وقلة الحيلة درجةً باتت معها على استعداد للقبول بأي حل !!

من هنا جاءت الدعوة المرتجلة فيما بعد لـ "مفاوضات الدم " التي جرت في مدينة شرم الشيخ المصرية في ظل المجازر التي كانت قوات الاحتلال "الإسرائيلي" قد شرعت بارتكابها ضد الفلسطينيين بعد اقتحام شارون الهمجي للمسجد الأقصى المبارك بتدبير من باراك وحماية من حكومته.

وكما كان متوقعاً،فقد أفشل باراك تلك المفاوضات مثلما أفشل مفاوضات كامب دافيد،فحرمت نتائجهما كلينتون من جائزة نوبل للسلام، وحرمته هو من العودة إلى السلطة بعد خسارته في الانتخابات العامة الإسرائيلية أمام زعيم حزب الليكود– آنذاك – الإرهابي آرئيل شارون.

ومع يقين الرئيس بيل كلينتون وإدراكه لمسؤولية باراك الكاملة عن فشل مفاوضات كامب دافيد وشرم الشيخ في ما بعد وقناعته التامة التي لا يلتبسها أي شك بحسن نوايا الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات وسعيه وراء السلام العادل والمشرف،إلا أنه ظل على موقفه المعادي لعرفات، والذي انتقل بناءً لتوصيته في ما بعد إلى خليفته جورج دبليو بوش،الذي عمل بنصيحة المحافظين الجدد والمسيحيين الصهاينة في الولايات المتحدة والإرهابي آرئيل شارون فنفى عنه بشكل اعتباطي وأهوج صفة الشراكة في مفاوضات السلام المتعثرة بين الفلسطينيين والإسرائيليين .

يومها مثل ذلك الموقف كلمة السر الإسرائيلية – الأميركية فيما يخص مستقبل الرئيس الفلسطيني الجسدي!!

ومن سوء طالع عرفات أن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ جاءت لتمثل فرصة ذهبية ونادرة للإرهابي آرئيل شارون الذي استغلها أحسن استغلال بتأييد ودعم المحافظين الجدد والمسيحيين الصهيونيين في ظل تردي النظام الرسمي العربي،فتفنن في ممارسة الضغوط تلو الضغوط على السلطة الفلسطينية وبالأخص عليه. ولطالما تمنى له الموت، وعمل من أجله، عندما كان جنرالاً، ومن ثم وزير دفاع وبعدما أصبح رئيساً للحكومة.

ومن هنا كان لا بد وأن يتحول عرفات إلى هدف صعب لجميع جنرالات إسرائيل وفي مقدمهم الجنرال الإرهابي آرئيل شارون.

وهناك محاولات كثيرة جرت لاغتيال عرفات، ولطالما زرع جنرالات إسرائيل بمن فيهم شارون أعداداً من الجواسيس بين ظهراني عرفات ومساعديه، واستطاع أبو عمار بحسه الأمني ويقظة المحيطين به اكتشافهم وإحباط محاولاتهم ،نتذكر جميعاً المحاولات الإجرامية التي نفذها الطيران الإسرائيلي مستهدفاً أماكن تواجده بأوامر مباشرةٍ من الإرهابي آرئيل شارون، الذي كان وزيراً للدفاع خلال حصار بيروت الذي استمر ثلاثة أشهرٍ متواصلة.

جميع الأدلة والوقائع والأحداث السياسية التي جرت منذ قام ياسر عرفات بتفجير ثورته حتى لحظة ترجله ورحيله الغامض في الساعة الرابعة والنصف من فجر يوم الخميس الحادي عشر من شهر تشرين الثاني ٢٠٠٤ " وبالأخص في فترة حصاره في مقر الرئاسة،تشير بأصابع الاتهام في مقتله إلى جنرالات إسرائيل وبالأخص رئيس وزرائها - آنذاك - الإرهابي آرئيل شارون.لقد افتروا عليه في حياته وكذلك في مماته!!

نعم كان عرفات مُفترًى عليه في حياته،لأنهم جعلوا من الإرهابي شارون " داعية سلام " واعتبروه هو "عقبة في طريق السلام" !! وهو مُفترى عليه الآن وهو موارى الثرى،لأن "العقبة " اغتيلت ومر على اغتيالها سنوات، ولم يُقم الإرهابي القديم

"داعية السلام "، ولا خليفته من بعده أيهود أولمرت بأي سلام، بل مزيد من الإرهاب .

آلاف من المقالات والتحليلات التي كُتبت حول رحيل الرقم الفلسطيني الصعب ياسر عرفات خلال السنوات الماضية اتفقت على أنه مات مسموماً، والشك بأن إسرائيل وقفت وراء قتله، بتشجيع ومباركة من الولايات المتحدة أو تواطؤ منها.

و يجدر بنا هنا التوقف عند المقال الذي كتبه الإسرائيلي يوري أفنيري المغضوب عليه يهودياً بسبب مواقفه الرافضة للسياسات الإسرائيلية، في الذكرى الأولى لرحيل عرفات.

قال يوري أفنيري،الكاتب في صحيفة "معاريف" منذ عام ١٩٩٣ وأحد مؤسسي "غوش شالوم "وأحد المدافعين عن مشروعية قيام دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل وأول إسرائيلي أقام علاقات متواصلة مع الرئيس الفلسطيني الراحل منذ حصار بيروت في العام ١٩٨٢ وحتى وفاته .. قال في مقاله الذي نُشر باللغة الإنكليزية في ٢٤ سبتمبر ٢٠٠٢ وحمل عنوان : "متى تقرر قتل عرفات ؟ " .. قال :

" وأنا أكتب لا يزال عرفات حيًّا، لكن حياته معلقة بخيط رفيع..عندما زرته لآخر مرة في مقر المقاطعة المهدم في رام الله،حذرته من أن شارون اتخذ قراراً بقتله.ومن يعرف شارون يعرف جيدا أنه لا يتردد في القتل، ولا يتراجع عن قرار اتخذه،وإذا ما فشل في تحقيق هدفه في المرة الأولى فإنه يحاول مجدداً ومجدداً،ولم يصدف أن تراجع عن قرار بالقتل.

في بيروت المحاصرة حاول أن يقبض عليه،وكلف عشرات الكتائبيين من عملائه بالبحث عنه في شوارع بيروت الغربية.لكنه نجا بنفسه مثلما نجا من محاولات عديدة لاغتياله قبل وبعد حصار بيروت.واليوم شارون مقتنع بأنه قادر على قتل عرفات،وهو لا يحتاج إلا لموافقة جورج بوش . هذه الموافقة يمكن أن تكون رسمية

أو خطية،إشارة أو غمزة عين منه تكفي،وسيكون من السهل الانتقال إلى التنفيذ.. حادث عرضي ما يكفي!".

و باعتبار أنه عارف ببواطن الأمور الإسرائيلية وشاهد من أهل البيت،لم يتردد أفنيري في إنهاء مقاله بتحميل شارون ووزرائه مسؤولية عملية اغتيال الراحل الكبير قبل حدوثها في قوله: "إذا حصلت هذه الكارثة فإن حكومة شارون سوف تتحمل المسؤولية كاملة عنها،ولن يغفر التاريخ لأي وزير تواطؤه في القتل،ولن يسامح الإسرائيليون أحداً من الذين شاركوا في المؤامرة أو الذين سكتوا عنها . كلهم مسؤولون.إنها الدقيقة الأخيرة المتبقية لكي ننهض جميعاً ونقول بصوت عالٍ: لا "!

هذا جزء مقتطف من مقال يوري أفنيري الذي لم يتردد أيضاً في كشف حقيقة ما جرى في مفاوضات كامب دافيد وتفنيد الأكاذيب الأميركية - الإسرائيلية ليبين كم افترت الإدارتان الأميركيتان السابقة والحالية على عرفات إرضاءً لعيون إسرائيل ورؤساء حكوماتها الضالعين في الإرهاب والملطخة أياديهم بالدم الفلسطيني البريء،الذي كان آخره ما أخذ شكل الشلالات المتدفقة والمرعبة في بيت حانون .

وكان بسام أبو شريف، المستشار السياسي للرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات، قد اتهم إسرائيل بقتل عرفات عمدا عن طريق إدخال السم إلى جسده بنفس الطريقة التي قتل بها د. وديع حداد في ألمانيا الشرقية عام ١٩٧٨.

وقال إنه حذر الرئيس الفلسطيني الراحل أكثر من مرة من أن لحظة اغتياله قد اقتربت وفقا لتطورات الأحداث، ووفقا لما جاء على لسان الإسرائيليين، وفي الأخبار أو في التحليلات الأمريكية التي أشارت إلى هذا الاحتمال، والتي أكدت أن إسرائيل قررت اغتياله بطريقة لا يتم فيها توجيه أصابع الاتهام لها من أحد.

وأكد أبو شريف أن ياسر عرفات قتل من خلال وضع السم له في الطعام، وأن هذا السم هو "سم غريب يدخل ويقتل من خلال مسام التذوق في اللسان ويأخذ ما بين ٨

أشهر إلى عام حتى يقتل ضحيته. أي أن مفعول هذا السم بطيء ويعمل على تعطيل كافة أجزاء الجسم الداخلية وآلياته واحدة تلو الأخرى حتى يصل إلى الدماغ ومن ثَم يقتل ضحيته".

وأكد أن الرئيس الفرنسي جاك شيراك يعرف جيدا هو وأطباؤه الثلاثة أن ياسر عرفات مات مسموما، إلا أنه لم يفصح عن ذلك من أجل المصلحة الفلسطينية حسب ادعائه. وأبدى أبو شريف في الوقت ذاته استعداده لرفع قضية في حال وجدت جهة تتبنى دعوته ضد أرييل شارون وشاؤول موفاز بتهمة القتل المتعمد لعرفات.

وقال أبو شريف إن إسرائيل أرادت طوال الوقت، ومنذ بداية الثورة الفلسطينية تصفية ياسر عرفات حتى عندما كان خارج الوطن. ومن خلال محاولات عديدة، من ضمنها محاولة استخدام السم لقتله، إضافة إلى الغارات الجوية والمتفجرات وكافة أشكال المحاولات لاغتياله.

ولكن، وحسب أبو شريف، عندما عاد أبو عمار إلى فلسطين عقد اتفاقا واضحا جدا مع الإسرائيليين حول "بند الملاحقة". وبحسب الاتفاق، تتوقف إسرائيل عن ملاحقة ليس فقط أبو عمار، بل العديد من القيادات والكوادر الذين كانت تضعهم على لوائح الاغتيال، "وبذلك انتهى السيف المصلت على رقاب بعض القادة" حسب تعبيره.

إلا أن مجيء شارون وشغله منصب رئيس الوزراء عام ٢٠٠٠ غيّر الأحوال وألغى كافة الاتفاقيات "لأن هذا الرجل لا يحترم الاتفاقات ولا يعتبر أن هناك شيئا مقدسا في العالم".

وأكد أن المحاولات الجدية لاغتيال أبو عمار بدأت فعليا منذ أن بدأت إسرائيل بإعادة احتلال الضفة الغربية بعد أن أصبح شارون رئيسا للوزراء عام ٢٠٠٠. وتلك المحاولات الجدية لاغتياله بدأت من خلال القصف المباشر من الدبابات والطائرات لمقره في المقاطعة في رام الله.

ولكن وحسب أبو شريف، خجلت بعض الدول العربية كما خشيت من محاولات قتل ياسر عرفات بالتدمير المباشر، لأنها بذلك ستصبح متهمة بالموافقة على قتله بل بالتعاون أيضا. ما دفعها إلى التحدث مع الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي طلب بدوره من شارون عدم المساس بياسر عرفات جسديا.

وتابع أبو شريف أن معلومات أكيدة وصلت له من بعض المقربين تقول إن شارون طرح وعده للرئيس بوش بعدم المساس بعرفات جسديا على الحكومة المصغرة التي تسمى "المطبخ الإسرائيلي" وأنه عندما خرج من هذا الاجتماع كان يسير إلى جانبه موفاز.

وقال شارون لموفاز "لقد ضيعنا فرصة ثمينة، للمرة الثانية بنجاة عرفات من قبضتنا" إلا أن الأخير أجابه " الفرصة لم تضع بعد ولا يزال لدينا إمكانية فأنت أعطيت وعدا لبوش بأن إسرائيل لن يكون لها علاقة بقتل عرفات...عرفات سينتهي ولن يستطيع أن يتهم أحد إسرائيل"، فرد عليه شارون "افعل ولا علاقة لإسرائيل".

وأكد أبو شريف أن هذا الحديث نقل له حرفيا، كما نقل له ندم شارون على إعطائه وعدا لبوش بالتوقف عن ملاحقة عرفات. مشيرا إلى أن إسرائيل كانت معنية جدا بالتخلص من أبو عمار لأنه كان يشكل بالنسبة لهم عقبة في وجه مخططهم الذي لا يريد أن تقام دولة فلسطينية ذات سيادة، بل يريد دولة هيكلا تكون شرطيا ينوب عن الإسرائيليين المحتلين في حكم الفلسطينيين لهم نيابة عنهم.

وقال أبو شريف "أصبحت متأكدا من أن اغتيال أبو عمار سيتم من خلال إدخال السم في جسده من خلال يد لا يعتبرها أبو عمار من الطرف الآخر. ما دفعني لتحذيره أكثر من مرة ووجهت له رسالة مكتوبة وتحدثت معه بأنني على يقين أن هناك قرارات، وستبدأ المحاولات باغتياله. ورجحت له أن يكون اغتياله من خلال السم حتى لا يستطيع أحد أن يشير بأصابع الاتهام إلى إسرائيل".

وأضاف أبو شريف أنه وفي آخر زيارة قام بها من أجل تحذير أبو عمار قال له بالحرف الواحد "حسب ما أرى في التطور السياسي، الاغتيال اقترب. أرجوك كل الرجاء..أنت لست ملك نفسك بل ملك الشعب الفلسطيني وملك التاريخ..لا تشرب من زجاجة ماء لا تعرف مصدرها ولا تأكل من أي مكان - حتى من مطبخك- من غير أن تعرف المواد الموجودة فيه ومن الذي طبخها".

وحول اتهامه للرئيس الفرنسي جاك شيراك بأنه يعرف السبب الحقيقي لموت عرفات، قال أبو شريف إنه لم يتهم شيراك لا بالتآمر ولا بالمشاركة بقتل عرفات ولا بلعب دور سلبي ضد الفلسطينيين، إلا أن شيراك يعلم، هو وأطباؤه الفرنسيون السبب الحقيقي لموت عرفات، وبأنه مات مسموما. وأن ما أعلن عنه في التقرير الطبي هو "علامات الموت وليس سبب تلك العلامات".

فقد أعلن أن عرفات مات بسبب توقف دماغه وأجزائه الداخلية وقلبه عن العمل فيما لم يعلن لماذا توقفت تلك الأجهزة عن عملها؟ "وهذا ما يعرفه شيراك وأطباؤه كما أعرفه أنا" حسب قوله.

وقال إنه من الطبيعي ألا يفصح شيراك عن السبب الحقيقي لموت عرفات، فهو رئيس دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن وعضو في اللجنة الرباعية ومهتم بالدفع بعملية السلام في الشرق الأوسط، وما يعنيه هو استمرار عملية السلام لأن موضوع الشرق الأوسط بالنسبة له وبالنسبة لدول أخرى "هو موضوع سلام وليس موضوع أفراد". وموت ياسر عرفات يجب ألا يوقف عملية السلام، فيما الإفصاح عن السبب الحقيقي لموته سيحفز العشرات من الفلسطينيين للقيام بعمليات، ربما تكون انتحارية داخل إسرائيل ما سيؤدي إلى تدمير عملية السلام حسب اعتقاده.

وفي رده على سؤال حول ما إذا كانت هناك شخصيات فلسطينية لها علاقة بمقتل ياسر عرفات وإن كانت لا تزال فاعلة في الساحة السياسية الفلسطينية، قال أبو شريف إنه لم يشر في موضوع اغتيال أبو عمار إلى اسم أي فلسطيني أو جهة فلسطينية باغتياله، وإنما أشار بالاسم إلى شارون وموفاز.

إلا أنه عاد ليؤكد أنه وجه رسائل عديدة للرئيس الراحل ياسر عرفات ذكر بها أسماء شخصيات فلسطينية تتعلق بالفساد وقلة المسؤولية وعدم الكفاءة في محاولة منه لحماية المؤسسات الفلسطينية من بعض الأشخاص الذين لم يعملوا من أجل خدمة المصلحة الوطنية العليا.

وقد تناقلت مواقع الإنترنت مؤخراً وثيقة خطيرة تكشف عن خيوط في مقتل عرفات، وقال البعض إنها تقود لطرف الخيط في مقتل الرئيس الفلسطيني .

وتضمنت الوثيقة رسالة من محمد دحلان وزير شؤون الأمن الفلسطيني - آنذاك - إلى وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز يعرض فيها واقع الفلسطينيين، الذين تسيطر عليهم المافيا التي تنشر الفوضى، متعهداً أن يتم استئصال من لا يقبل التعايش مع إسرائيل .

كما جاء في الوثيقة: تأكدوا أيضا أن عرفات أصبح يعد أيامه الأخيرة، ولكن دعونا ننهيها على طريقتنا وليس على طريقتكم، وكذلك أوضحت الوثيقة أن الوزير دحلان أكد لموفاز أنه بدأ باستقطاب الكثير من أعضاء المجلس التشريعي من خلال الترغيب والترهيب.. ولكن كيف تم نشر هذه الوثيقة .. وما هى حقيقتها ؟!

"قاتل عرفات تفضحه وثيقة خطيرة" .. هكذا عنون موقع " نوبلز نيوز" الالكتروني خبرا عن وثيقة لديه نشرها على موقعه، وهي كناية عن رسالة يصفها الموقع المذكور بـ الوثيقة الخطيرة التي تقود لطرف الخيط في مقتل الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات" .

وقد أرفق الخبر بوثيقة هي عبارة عن رسالة من وزير شؤون الأمن الفلسطيني - آنذاك - محمد دحلان إلى وزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز يعرض فيها واقع الفلسطينيين، الذين تسيطر عليهم " المافيا التي تنشر الفوضى في صفوف شعبنا وتثير النزاع والأحقاد بيننا وبينكم من أجل أهدافهم الشخصية أو أهداف عبثية "،

متعهدا باستئصال " آثارهم وأفكارهم حتى لا يبقى في صفوف شعبنا إلا من يقبل التعايش معكم " .

وجاء في " الوثيقة " : " تأكدوا أيضا أن السيد ياسر عرفات أصبح يعد أيامه الأخيرة ولكن دعونا ننهيه على طريقتنا، وليس على طريقتكم، وتأكدوا أيضا أن ما قطعته على نفسي أمام الرئيس بوش من وعود فإنني مستعد لأدفع حياتي ثمنا له" .

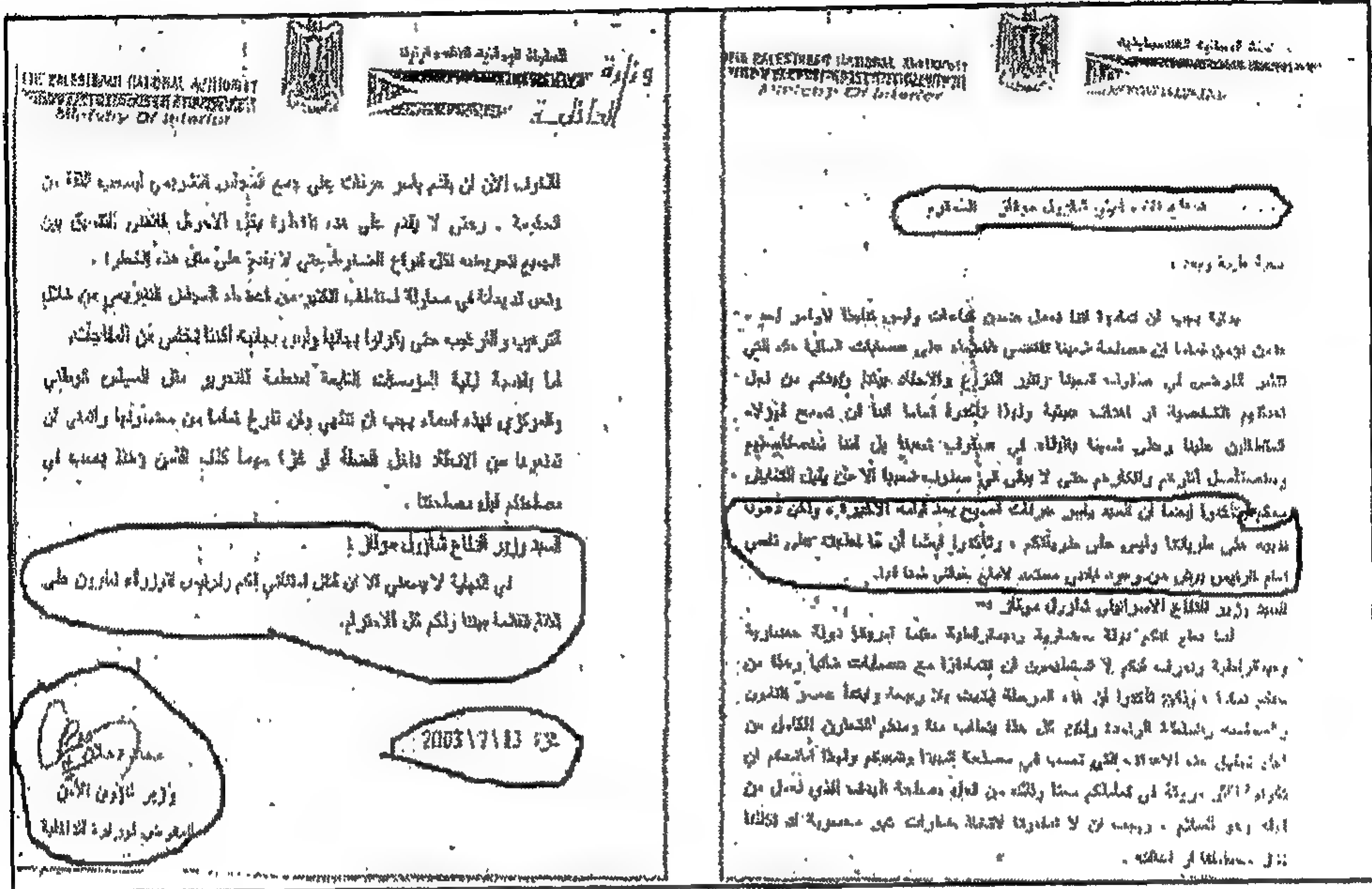
ومما جاء في الوثيقة التي نشرت على موقع " نوبلز نيوز " : " أن الوزير دحلان قال لوزير الدفاع الإسرائيلي شاؤول موفاز – آنذاك – : " نحن بدأنا في محاولة استقطاب الكثير من أعضاء المجلس التشريعي من خلال الترغيب والترهيب حتى يكونوا بجانبنا وليس بجانبه (جانب عرفات) لكننا نخشى المفاجآت " .

"أما بالنسبة لبقية المؤسسات التابعة لمنظمة التحرير مثل المجلس الوطني والمركزي فهذه أسماء يجب أن تنتهي، وأن تفرغ تماما من مضمونها، وأتمنى أن تمنعوها من الانعقاد داخل الضفة أو غزة، مهما كلف الثمن، وهذا يصب في مصلحتكم قبل مصلحتنا " .

ويختم الوزير دحلان رسالته المؤرخة في غزة ١٣يوليو ٢٠٠٣ بامتنانه لموفاز ولرئيس الوزراء شارون على الثقة القائمة بيننا " .

و الوثيقة مذيّلة بتوقيع الوزير دحلان وصادرة على أوراق رسمية للسلطة الوطنية الفلسطينية – وزارة الداخلية.

صورة الوثيقة :



Ministry Of Interior

2003\7\13

وكان يوري أفنيري قد كتب مقالاً آخر في ١٦ سبتمبر عام ٢٠٠٥ أكد فيها مقتل عرفات . . وفيما يلي نص المقال :

"نشرت صحيفة "هآرتس"، أمس الأول، في قمة صفحتها الأولى، نبأ مثيرا: "أطباء: عرفات مات من الإيدز أو من التسمم". الإيدز تصدّر المكان الأول.

طيلة عشرات السنين، خلال حياة ياسر عرفات، أدارت كل وسائل الإعلام الإسرائيلية، بإيحاء من الحكومة، حملة مركّزة ضد الزعيم الفلسطيني: (كانت "هعولام هزيه" هي الاستثنائي الوحيد). مئات ملايين عبارات الكراهية و"الأبلسة" كيلت على هذا الرجل – أكثر من أي شخص آخر في جيله. إذا كان هناك من يعتقد بأن هذه الحملة ستنتهي بموت عرفات، فإنه مخطئ. هذه المقالة، بقلم آفي يسسخاروف وعاموس هرئيل، هي استمرار مباشر لتلك الحملة.

الكلمة الفصل هي، بطبيعة الحال، "إيدز". لم تُذكر أية قرينة على هذا الادعاء في سياق هذه المقالة الطويلة. الكاتبان يستندان إلى "مصادر في أجهزة الأمن الإسرائيلية". كما ويقتبسان أطباء إسرائيليين "قد سمعوا من أطباء فرنسيين" – هذا أسلوب مميز لإجراء التشخيص الطبي. يوجد لدى طبيب إسرائيلي محترم دليل قاطع: لم يُنشر أنه قد تم إجراء فحص لعرفات للكشف عن الإيدز. أصحيح هذا؟ لقد أجرى له طاقم طبي تونسي فحصا وكانت نتيجته سلبية. لكن من يصدّق هؤلاء العرب؟

تعرف "هآرتس" بطبيعة الحال كيف تحافظ على نفسها. تختبئ في نص المقالة، بعيدا عن ذلك العنوان المثير، ست كلمات: "احتمال إصابة عرفات بالإيدز ليس كبيرا". إذن لا غبار على "هآرتس" وقد غطت مؤخرتها. وللمقارنة: تم نشر قصة مشابهة في اليوم ذاته في صحيفة "نيويورك-تايمز". لقد ذكر موضوع الإيدز فيها كأمر عابر. ولكن نيويورك-تايمز ليست صحيفة لأناس يفكرون.

هناك إثبات بسيط على عدم صحة هذه الإشاعة: لو كانت تمت إلى الحقيقة بصلة، حتى ولو كانت أضعف الصلات، لكانت آلية الدعاية الضخمة التابعة للحكومة الإسرائيلية والمؤسسات اليهودية في العالم ستعلن ذلك على رؤوس الأشهاد، ولم تكن لتنتظر عشرة أشهر. ولكن ما العمل؟ لا يوجد مثل هذا الإثبات على الإطلاق. والأنكى من ذلك، أن كاتبي المقال ذاتيهما قد اضطرا إلى الاعتراف بأن أعراض مرض عرفات لا تتوافق أبدا مع أعراض مرض الإيدز.

إذن ماذا كان سبب موته؟ .. منذ أن شاركت في مراسيم تشييع جثمانه في رام الله، امتنعت عن أن أقول رأيي في سبب موته. أنا لست طبيبا، وعشرات السنين التي كنت فيها محرر صحيفة محققة علمتني عدم توجيه الاتهامات التي لا أقدر على إثباتها في المحكمة.

ولكن لأن كل الأسوار قد انهارت الآن، أنا على استعداد بأن أبوح عما في قلبي: منذ اللحظة الأولى، كنت على قناعة تامة بأنه قد تم تسميم عرفات.

معظم الأطباء الذين تمت مقابلتهم في مقالة صحيفة "هآرتس" شهدوا بأن الأعراض أكثر ملاءمة للتسمم - وهي لا تلائم عمليا أي سبب آخر. يستشف من تقرير الأطباء الفرنسيين الذين عالجوا عرفات في الأسبوعين الأخيرين من حياته، أنه لم يُعرف أي سبب لموته. صحيح أنه لم يتم اكتشاف بقايا سموم في جسمه، إلا أن الفحوص قد تناولت السموم العادية. ليس سرا أن العديد من أجهزة المخابرات في العالم قد طورت سموما لا يمكن الكشف عنها أبدا، أو أنها تختفي من الجسم بعد وقت قصير.

قبل بضع سنوات، قام عملاء إسرائيليون بتسميم خالد مشعل زعيم حماس، بواسطة وخزة خفيفة، في أحد الشوارع الرئيسية في مدينة عَمَّان. لم يكتشف الأطباء الأردنيون بقايا السم. تم إنقاذ حياة مشعل لأن الملك حسين طالب إسرائيل بتقديم الترياق المضاد فورا. (كدفعة إضافية، وافق بنيامين نتنياهو في حينه على إطلاق سراح الشيخ أحمد ياسين من السجن، الذي قتل بعد عودته إلى غزة، بأسلوب أكثر اعتيادي - صاروخ أطلق من طائرة).

بانعدام وجود أي مؤشرات لمرض معروف، وحين تكون هناك مؤشرات واضحة لوجود تسمم، فإن الاحتمال الأكبر هو أن ياسر عرفات قد تم تسميمه بالفعل في وجبة العشاء التي تناولها قبل أربع ساعات من ظهور الأعراض الأولى.

يمكنني أن أشهد أن الترتيبات الأمنية حول الرئيس كانت تشوبها عيوب كبيرة. في اللقاءات الكثيرة التي التقيته فيها، في العديد من البلدان، استغربت سهولة وصول أي شخص يرغب في اغتياله لينفذ مأربه. كانت الحراسة من حوله غير مكثفة دائما، مقارنة بحراسة رئيس حكومة إسرائيل. لقد تناول طعامه دائما مع الغرباء، وكان يعانق زائريه دائما. يروي المقربون منه أنه اعتاد قبول الحلويات وكان يتناول الأدوية التي كان يعرضها عليه زائروه الغرباء. بعد أن اجتاز بسلام عشرات المحاولات لاغتياله، وحتى أنه نجى ذات مرة من تحطم طائرة، طور لديه توجها

قدريا واضحا، وكأنه يقول "كل شيء بإرادة الله". أعتقد أنه كان يؤمن في قرارة نفسه بأن الله سيحميه حتى إنجازه لمهمته التاريخية.

أول المشتبهين، بطبيعة الحال، هي الأجهزة الأمنية الإسرائيلية. كان أريئيل شارون قد أعلن أكثر من مرة عن نيته في قتل عرفات. تم طرح هذا الموضوع في اجتماعات الحكومة. لقد كنا على قناعة مرتين، أنا وزملائي، أن هذا الأمر يمكن أن يحدث في أية لحظة، حتى أننا توجهنا إلى المقاطعة لنشكل له "درعا حيا". كنا على قناعة تامة بأن اغتيال عرفات سيلحق ضررا كبيرا بإسرائيل. في إحدى المقابلات ادعى شارون بأن وجودنا هناك هو الذي منع القضاء عليه.

الحقيقة هي أن شارون قد امتنع عن قتل عرفات لأن الأمريكيين بالأساس منعوه من ذلك. لقد تخوّفوا من أن الاغتيال سوف يثير عاصفة هوجاء في العالم العربي، من شأنها أن تزيد الإرهاب الموجّه ضد الأمريكيين. ولكن قد ينطبق هذا المنع على القيام بعملية علنية فقط.

أثبتت حادثة مشعل أن لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية الوسائل لتسميم الأشخاص دون إبقاء آثار. لقد اكتشف أمر التسميم في تلك القضية لأنه قد تم إلقاء القبض على المنفذين فورا.

إلا أن الاحتمال، حتى وإن كان كبيرا، لا يعتبر قرينة. لا يوجد الآن ما يثبت أنه قد تم تسميم عرفات على يد أجهزة الأمن الإسرائيلية.

إذا لم يكن الإسرائيليون هم الذين فعلوا ذلك، فمن الذي فعلها؟ تتمتع أجهزة المخابرات الأمريكية بكافة القدرات اللازمة لذلك. الرئيس بوش لم يخفِ كراهيته لعرفات، وهو الزعيم العنيد الذي لم ينصع لما يمليه عليه بوش. بالمقابل، أسرع بوش لاحتضان أبي مازن. يمتنع المبعوثون الأمريكيون، حتى الآن، الذين يزورون المقاطعة عن وضع أكاليل الزهور على ضريح الرئيس في ساحة المقاطعة.

غير أن المصلحة الأمريكية ليست قرينة هي الأخـرى. يمكن أن نفكر بعدة مشبوهين آخرين، من العالم العربي أيضا" ..إلى هنا انتهت مقالة أفنيري .

وكانت قضية وفاة الرئيس عرفات خرجت عن إطارها الطبي والصحي لتدخل دهاليز السياسة والمواقف الدولية حيث شككت أكثر من جهة ومن بينها د. أشرف الكرد طبيب الرئيس الراحل في التقرير الفرنسي الذي لم يتضمن جوابا نهائيا شافيا حول فرضية التسميم خاصة أنها طالت شخصيات فلسطينية بارزة من قبله على رأسهم الشهيد وديع حداد وخالد مشعل.

القيادة الفلسطينية كانت أعلنت عقب وفاة الرئيس عرفات عن تشكيل لجنة لتقصي الحقائق المتعلقة بملابسات وفاة الرئيس الراحل ياسر عرفات خاصة بعد تزايد الشكوك والاتهامات بان الرئيس تعرض لـ «التسمم».

وجاء قرار تشكيل اللجنة بعد أن تقدمت القيادة الفلسطينية رسميا بطلب إلى فرنسا لتسليمها التقرير الطبي حول وفاة الرئيس بينما أكدت فرنسا أن قانونها ينص على تقديم التقرير والمعلومات حول الوفاة إلى عائلة الرئيس التي تملك وحدها حق نشر المعلومات.

د. غازي حمد الناطق باسم الحكومة الفلسطينية جدد الاتهام لإسرائيل بقتل الرئيس الراحل ياسر عرفات مؤكداً إصرار الحكومة الحالية على فتح ملف قتله والكشف عن ملابسات الجريمة التي تحاول إسرائيل إخفاءها.

واعتبرت الحكومة على لسان ناطقها أن جريمة قتل ياسر عرفات جاءت بعد أن قطع شوطاً كبيراً في التفاوض مع الاحتلال، وأنه دفع حياته ثمناً لمواقفه الوطنية ورفضه التنازل عن ثوابت الشعب الفلسطيني وقضيته.

ومن أكثر الشخصيات الفلسطينية التي أيدت فرضية "التسميم" خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الذي كاد يصيبه ما أصاب الرئيس عرفات

لولا تدخل العناية الإلهية والقبض على العميلين حيث كانت إسرائيل هي الجهة الوحيدة التي تملك حل لغز هذا السم وذلك في العام ١٩٩٧.

وكان وديع حداد أحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين قد اغتالته المخابرات الإسرائيلية بالسم في الثمانينيات دون أن يعثر أحد على أثر أو مضادات له مما يؤكد رواية التسميم.

من جانبه قال ناصر القدوة وزير الشؤون الخارجية السابق: "لا يمكن استبعاد احتمال تعرض عرفات للتسميم رغم عدم العثور على أي اثر لسموم في جسمه.

وثمة نقطتان أساسيتان ركز عليهما القدوة وهو ابن شقيقة الرئيس الفلسطيني الراحل خلال استعراضه التقرير الطبي في حينه هما: عدم وجود أي تشخيص واضح لأسباب الوفاة وهي النقطة التي تثير الشكوك أكثر والثانية عدم العثور على أي أثر لسم في الفحوصات التي أجريت للرئيس الراحل ياسر عرفات.

وينظر عدد من المراقبين بعين الريبة إلى النقطة الثانية ليس من باب التشكيك فيها وإنما بالاستدلال بنماذج لمحاولات وعمليات اغتيال إسرائيلية تم تنفيذها بواسطة "السم" دون العثور على أي أثر لسم في الفحوصات.

وأضاف: "ليس لدينا أي دليل على حدوث عملية تسميم، إلا أننا لا نستطيع استبعاد ذلك. ليس لدينا دليل في **اتجاه** أو في آخر".

هذه الزوبعة المثارة أظهرت العديد من الروايات الطبية المتناقضة التي يعتبرها د. ناهض النخال – دكتوراه في التحاليل الطبية – دليلا إضافيا على فرضية التسميم.

ويقول د. النخال: "ما صرح به طبيب الرئيس عرفات الخاص عن إصابته بمرضين متضاربين لا يجتمعان معا يعد خطأ طبيا فاللوكيميا تؤثر على الصفائح الدموية ولكن بدرجة ضعيفة لا تصل إلى الخطورة التي تم الإعلان عنها".

واعتبر أن الإقرار بإصابة الرئيس بمرضين هما اللوكيميا وانخفاض الصفائح الدموية "يحمل تضاربا علميا لا يمكن وقوعه".

وفسر د. النخال ذلك التضارب بقوله: "اللوكيميا وهي سرطان الدم تعمل على تكسير كرات الدم الحمراء وارتفاع عدد كرات الدم البيضاء أما انخفاض الصفائح الدموية بشكل ملحوظ فهذا يعني حدوث التسميم".

ودليل آخر على ترجيحه لفرضية التسميم يسوقه د. النخال بالإشارة إلى أن أعراض اللوكيميا تظهر بصورة تدريجية علما بأن حالة الخمول التام ظهرت على الرئيس في أيامه الأخيرة قبيل نقله لفرنسا وهي أحد أعراض التسميم.

والأمر الثالث الذي يدخل في هذا الإطار يعتبره رفض المستشفى العسكري الفرنسي الإعلان الصريح والتام عن سبب الوفاة الحقيقي للرئيس عرفات وهو ما يحمل في طياته سرا يتعلق بالحفاظ على العلاقات الفرنسية مع المجتمع الدولي وتحديدا أمريكا وإسرائيل.

ورجح د. النخال أن يكون الرئيس عرفات قد توفي قبل الإعلان النهائي عن وفاته بمدة وبُعَيْد وصوله المستشفى الفرنسي مستدلا بإعلان أحد المسؤولين الإعلاميين في المستشفى عن وفاته ثم تراجعه.

وقال: "أعتقد أنه توفي وبقي على سريره تحت أجهزة تجديد الدم في حين أن المخ لم يكن يعمل".

ولكن ماذا عن التحاليل التي لم تظهر أي أثر لسم؟ يقول أخصائي التحاليل الطبية: "ليس شرطا ظهور دلائل على وجود سم في دم الرئيس عرفات من خلال التحاليل لأن بعض السموم سرية ولا تظهر في الدم لأن موادها المركبة منها غير معروفة ولا يعلم بها إلا أجهزة استخبارات عالمية".

وأكد أن الهبوط الشديد والمفاجئ من لحظة مرضه إلى نقله للمستشفى الفرنسي وغيابه تماما عن الأضواء وتضارب الأنباء بصورة كبيرة ومثيرة للشكوك حول حالته الصحية يدل على أن ما أصابه لم يكن مرضا طبيعيا وإنما "تسمما".

مصدر فلسطيني مقرب من رئيس السلطة الفلسطينية ياسر عرفات قال في تصريحات صحفية له: "إن الاعتقاد السائد لدى المسئولين الفلسطينيين أن عرفات تعرض لسم إشعاعي تسلل إلى جسده عبر تقنية (إسرائيلية) معروفة ومجربة قبل ذلك".

وقال المصدر: "إن تقنية التسميم الإشعاعي التي احترفها جهاز الموساد الإسرائيلي، وصلت إلى جسم الرئيس الفلسطيني عن بعد "ربما عن مسافة مترين أو ثلاثة أمتار"، وأن أحد زواره ربما من الصحفيين الغربيين، أو عميل فلسطيني للموساد قام بهذه المهمة.

وأشار المصدر إلى المحاولة الشبيهة التي تعرض لها الزعيم السياسي لحركة "حماس" خالد مشعل عام ١٩٩٧ في عمّان حينما قام عميل للموساد بحقن مشعل بمادة إشعاعية سامة، ولم يتخلص من مفعول السم، إلا عندما تدخل العاهل الأردني الراحل الملك الحسين وضغط على تل أبيب التي أرسلت العلاج لإبطال مفعول السم.

وأكد المصدر أن تحليلات طبية أظهرت تعرض عرفات للسم الإشعاعي، إلا أنها ليست جازمة، موضحا أن تلقي المادة السمية عن بعد جعل تأثيرها أكثر بطئا، غير أن عوامل الإرهاق والسن أسهمت في تأثيرها الكبير على صحته.

وأضاف المصدر إن مسؤولين فلسطينيين استعرضوا مع نظرائهم الفرنسيين تعرض شخصيات عربية عديدة لعمليات اغتيال بواسطة السم الإشعاعي، حيث تبين أن الاستخبارات الأمريكية هي أول من استخدم هذا النوع من الاغتيال "ضد القائد

الفلسطيني وديع حداد وضد الرئيس الجزائري هواري بومدين.. كما استخدم ضد رئيس عربي آخر من على بعد ٢,٥ متر بسلاح إشعاعي استخدمته وزيرة الخارجية الأمريكية وقتذاك مادلين أولبرايت أثناء زيارة له، الأمر الذي أدى إلى وفاة الرئيس بهدوء ودون جلبة"، ونقل التقرير المذكور معلوماته عن الاستخبارات الروسية.

وكان الرئيس عرفات تعرض طوال مسيرته النضالية إلى العديد من محاولات الاغتيال بلغت أكثر من ١٣ محاولة اثنتين منها بالسم. ويقول أحد رفقاء دربه يحيى رباح سفير فلسطين سابقاً في اليمن: "ما أعرفه أكثر من ٣٠ محاولة اغتيال".

ويقول في حديثه عن واحدة من هذه المحاولات: في إحدى المرات ألقي القبض على مدير مكتبه اسمه أبو السعيد الذي أخفى السم في جيبه ٦ أشهر وكان مطلوب منه أن يضعه في طعام عرفات وكان هو الرجل الأقرب الذي يشرف على تفاصيل حياته حيث استطاع الموساد الإسرائيلي تجنيده وتكليفه بالاغتيال وقد كانوا يدبرون طرقا للالتقاء بأبي السعيد في الخارج ومن ثم يأخذونه داخل إسرائيل لتدريبه على المهام التي يقوم بها.

"وبقي الجاسوس الخطير في صراع بينه وبين نفسه لمدة ٦ أشهر إلى أن انكشف أمر صلاته بالمخابرات اللبنانية وكانت إسرائيل تأمر جواسيسها دائما بأن يتغطوا بالعمل مع جهاز مخابرات عربي لأنهم يعرفون أننا حينما نلقي القبض على جاسوس عربي فإن ذلك يثير حساسية معنا تدفع بعدم إعدامه ولكن اتضح فيما بعد أنه له أيضا علاقة بالمخابرات الإسرائيلية وكان مكلفا باغتيال عرفات بالسم وتم إعدامه في مقر قيادة ثكنة أل ١٧ في بيروت".

وهكذا سيبقى عرفات مُفترى عليه حتى يتم الكشف عن سر عشائه الأخير،ويلقى الذين ارتكبوا جريمتهم بحقه أشد العقاب.دمه في أعناق الذين أحبوه قبل الذين كرهوه، حتى يتم الكشف عن اللغز الذي أحاط برحيله..ترى من قتل الزعيم الفلسطيني؟ وهل سيبقى الجاني متوارياً مدة أطول!

وهكذا سيبقى لغز وفاة أو "تسميم" الرئيس الراحل عرفات قائماً وبحاجة ماسة إلى حل حتى لا يتم طي هذه الصفحة دون الإجابة على ما تحتويه من إجابات...فهل يفي المسؤولون الفلسطينيون بتعهدهم كشف حقيقة موت الرئيس؟ أم أنها مجرد زوبعة في فنجان ما تلبث أن تزول وتتجدد في كل ذكرى لرحيله ؟!







آخر ما تبقى من عرفات .. صور الوداع الأخيرة في رام الله !!

٤- ولا يزال السؤال هو :

من يغتال العقول الروسية ؟!



●●وأصبح من الطبيعي أن يتم الإعلان عن اغتيال عالم روسي كل فترة، وأصبح من الطبيعي أيضاً أن يتم قيد الجريمة ضد مجهول !!

في ظل ظروف غامضة ومجهولة لقي أكثر من ٣٠ عالماً روسيًّا من خيرة العلماء الروس حتفهم إضافة إلى العشرات الذين اختفوا وعادوا فاقدي الذاكرة خلال العقد الأخير، ما ترك تساؤلات كبيرة وكبيرة جداً. ولان البعض يعتقد أن هؤلاء العلماء اغتيلوا عن سابق تصور وتصميم .

ومن هؤلاء عالم الجريمة الروسي انطون تشيرنوف الذي أعلن أن "الاغتيالات استهدفت بالفعل نخبة العقول الروسية.

فقد قتل مدير معهد مكافحة الميكروبات الكيميائية، الخبير الدولي في منظمة الصحة العالمية البروفسور ليونيد ستراتشونسكي في فندق "سلافيانكا" التابع لوزارة الدفاع الروسية في ظروف جد غامضة، فهو كان قد وصل إلى العاصمة من مقاطعة سمولينسك وكان يتعين أن يغادر إلى الولايات المتحدة في اليوم التالي لحضور مؤتمر عالمي.

قتل البروفسور في غرفته جراء ضربة على الرأس بآلة حادة وترافق مصرعه مع اجتياح الوباء لمنطقة تفير الروسية حيث أصيب ٣٠٠ شخص. ومن التسريبات أن السبب يعود إلى استخدام الأسلحة البيولوجية، والمعروف أن المعهد الذي يعمل فيه المغدور كان يعكف على دراسة هذه المسألة بالذات".

وأضاف تشيرنوف أن "مثل هذه الوفاة الغامضة والغريبة لحقت بالعالم المشهور البروفسور سيرغي فوفكا من منطقة الأورال فهو قتل في ١٣ يوليو العام ٢٠٠٥ عند خطوط سكك الحديد في يكاترينبورغ بتسمم مجهول.

والعالم كان يعكف على دراسة تجارب الغاز ولم يتمكن التحقيق من معرفة حقيقة الجريمة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الوفاة الغامضة للعالمة الروسية نيللي

مالتسيفا التي اتهمتها المخابرات الأميركية زوراً بتسريب الأسلحة الكيميائية إلى العراق".

وكما أردف الخبير الروسي "كانت المغدورة تعمل ولمدة تزيد عن الـ ٢٠ عاما في مختبرات التجارب الفيروسية وتميزت العالمة المذكورة وفق شهادات رفاقها بنظافة كفها ونزاهتها".

وحسب رأي تشيرنوف فإن "أسباب قتل هذه العقول يهدف إلى قتل الروح الروسية التي تشهد نهوضاً علمياً واقتصادياً واجتماعياً كبيرا".

فهؤلاء وباعتقاد الخبير الروسي "يسعون إلى تخليص كوكبنا من كل الآفات الموجودة وخلق فرص حياة هادئة ومريحة للبشرية، وان هناك البعض في مكان ما يهدف إلى إخضاع روسيا القادرة على إنتاج العلماء والسباقة في تحقيق إنجازات تحدث عنها العالم بأسره".

الباحثة الاجتماعية سفيتلانا بوغدانوفا أشارت في حديث إلى "الخيمة" عن تلك الاغتيالات ووصفتها بـ "المجزرة الوطنية" وقالت إن قتل العلماء الروس وهم في ريعان الشباب وقمة العطاء هو اغتيال لعظمة روسيا ومجدها".

الباحثة الاجتماعية نوهت بالإنجازات التي قام بها هؤلاء، لذلك وضعوا في مجال استهدافات الأعداء، كما وصفتهم، ولفتت أيضا إلى "قتل مدير البناء الآلي الإلكتروني في معهد سانت بطرسبورغ ايغور غليبوف في نهاية العام ٢٠٠٢ واستهداف العالم النفسي الروسي المعروف أندريه بروشلينسكي الذي كان يعمل على نظرية الأساليب الجديدة لكشف الإرهابيين، وقبل أن يقتل قتل قبله نائبه البروفسور فاليري دروجينين كما تم قتل رئيس قسم (الميكروبيولوجيا) البروفسور فاليري كورشونوف، إضافة إلى العالم المشهور الأكاديمي إيغور سميرنوف الذي كان يعمل على نظرية إصلاح تصرفات الأشخاص. واستهدف أيضا في ٢٠ نيسان ٢٠٠٤ في

موسكو بروفسور قسم دراسة الرياضيات في جامعة موسكو الحكومية فياتشيسلاف فيودوروف وعثر على جثته في شقته في العمارة ذات الرقم ٤ في شارع ستوليتوفا وإلى جانبه سلاح الجريمة، سكين عادي. وبعدها قتل بروفسور أكاديمية العلوم الزراعية نيكولاي فالياغين (٥٩ عاما) وعثر على جثته في شقته في شارع متالورغوف وقد قتل بسكين أيضا".

وألمحت إلى أن "المحاكمة التي جرت لقضية مقتل البروفسور ايرينا بروسكورياكوفسكايا (٥٧ عاما) في جامعة سانت بطرسبورغ لم تؤد إلى اكتشاف المجرمين.

كما قتل عالم الجينات ليونيد كوروتشكين في ١٩ أغسطس ٢٠٠٦، ونائب مدير متحف الارميتاج المعروف ريتشارد دونين في نوفمبر ٢٠٠٦".

المثير للاهتمام أن سلسلة الجرائم التي لم يتم كشفها حتى الآن بدأت بعدما نشرت وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه) وثيقة تحت عنوان (نزعات العالم ٢٠١٥، الحوار مع خبراء غير حكوميين حول المستقبل) على موقعها على شبكة الإنترنت في ٢٠٠٠. ورأى هؤلاء الخبراء إمكانية أن تتفكك روسيا لتظهر في مكانها ٨ دول قبل عام ٢٠١٥. وتساءل مؤلفو الوثيقة: هل يمكن أن تقبل روسيا بوضع كهذا من دون أن يتأثر بذلك استقرار المنطقة؟

البعض في روسيا يتهم المخابرات الأميركية، فيما يصر الجميع أن تعاد التحقيقات في كل هذه القضايا بشكل منفصل وبعدها كملف كامل متكامل وأن تسلم التحقيقات إلى لجنة أمن الدولة لأن هذه الاغتيالات أثرت وتؤثر على حضارة روسيا ماضيا ومستقبلاً.

٥- بي نظير بوتو .. سر اللغز

كلهم لديهم الدوافع !!



●● كان الجميع يعلم أنها ستقتل .. لم يتحرك أحد لمنع الجريمة فقد كانت لدى الجميع مصلحة في تصفيتها ومن هنا كانت صعوبة تحديد الفاعل .. ومن هنا أيضاً التواطؤ لكي تقيد الجريمة ضد مجهول !!

كانت بى نظير بوتو تدرك أنها قد تغتال عندما قررت العودة إلى باكستان فى ١٨ أكتوبر عام ٢٠٠٧، بعد ٨ سنوات فى المنفى، وقد أرسلت قبل عودتها بأيام رسالة شهيرة إلى الرئيس برفيز مشرف تتضمن معلومات محددة - كما قيل وقتها - حول الجهات، وربما الشخصيات، التى تخطط لاغتيالها، ولم تتحدث بعدها كثيرا حول فحوى الرسالة، لكنها لم تكن فى حاجة إلى ذلك، فقد كانت أعمال القتل قد حصدت حوالى ٢٣٥ شخصا منذ منتصف العام، وكانت التهديدات الموجهة ضدها من جانب زعماء الجماعات الإسلامية المتطرفة معلنة تقريبا، وبالفعل لقيت خلال ذلك اليوم استقبالا دمويا فى كراتشى، أدى إلى مقتل ١٣٩ من أنصارها، لكنها نجت فى تلك المرة من الموت .

إن عملية ١٨ أكتوبر ٢٠٠٧ تمثل نقطة البداية لفهم ما جرى يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٧ عندما تم التمكن من اغتيالها بالفعل، فقد صنفت تلك العملية على أنها الأكثر دموية فى تاريخ باكستان، استنادا إلى أعداد الضحايا، وكان من الممكن أن تقتل بوتو وقتها لولا واحدة من الصدف غير المخططة، فقد كانت قد هبطت لتستريح قليلا داخل سيارتها المدرعة، قبل أن تواصل تحية المستقبلين، حين وقع التفجير، وكان المعنى الواضح لذلك هو أن هناك قرارا قاطعا باغتيالها، وهو ما حدث فى المرة التالية، التى لم تترك فيها الأمور للمصادفات، فقد أطلقت عليها رصاصات القناصة قبل حدوث التفجير الانتحارى الكبير.

وفي كل جريمة اغتيال سياسي، ضحية واحدة، وعشرات الجناة .. لم يستثن من هذه الظاهرة أحد في تاريخ الاغتيالات السياسية التي عرفها العالم .. بالأمس القريب سقطت بي نظير بوتو " ابنة القدر " كما كان يحلو لها أن تطلق على نفسها، أو " ابنة الشرق " كما كان يسميها العالم .. لحقت رئيسة وزراء باكستان السابقة

بوالدها وشقيقيها الذين لاقوا من قبلها نفس المصير، وكأن الحظ شاء إلا أن تمنى عائلة ذو الفقار على بوتو زعيم باكستان الراحل بنفس لعنة الاغتيالات التي طالت زعيم الهند الراحل غاندي وعائلته من بعده .

قصة اغتيال بي نظير أشبه بدراما إغريقية ولكن على الطريقة الشرقية التي تلجأ لتفجير الجسد للتخلص من الغريم السياسي، مع تعديل بسيط وهو وجود الأمريكيين في خلفية مشهد الاغتيال، المشهد الإجرامي الذين استغلوا تطلعات بي نظير الجامحة للعودة لباكستان، ولهثها الغريب لاستعادة السلطة من الجنرال مشرف الذي عزلها وسجنها ثم نفاها للخارج، وكذلك أفول نجم مشرف حليفهم العتيد، وحاجتهم لبديل نموذجي "بي نظير" يضرب بقوة على أيدي طالبان والقاعدة ويؤمن النووي الباكستاني، ويقضي على نفوذ الجماعات الإسلامية، فرتبوا صفقة مسمومة لتقاسمها السلطة مع مشرف لم يرض عنها أحد حتى مشرف نفسه!!

ومن هنا دفع الأمريكيون بوتو – مدفوعين بمصالحهم – للموت عندما زجوا بها في مواجهة مع جميع الأطراف، حتى نواز شريف رئيس الوزراء الذي أعادوه معها لباكستان كورقة توت لإضفاء طابع ديمقراطي على تدشينها من جديد في الحكم، فعقدت معه بعد العودة تحالفاً ضد مشرف يمكن تسميته بـ "زواج المتعة السياسي"، ولكنه استمر في النظر إليها كمنتج أمريكي صمم ليزيحه بعيداً عن الساحة أيضاً، ومن هنا طالته أصابع الاتهام بالنسبة لاغتيالها !!

كان من الخطأ الظن بأن عهد الدماء انتهى باكستانيا بعد عودة الزعيمين المنفيين، بي نظير بوتو، ونواز شريف، باعتبار أن الملفات ستقفل، ويبدأ عهد جديد مفعم بالديمقراطية ، فما جرى عندما تم اغتيال بوتو يؤكد أن المسلسل الدامي لن ينتهي !!

تضاربت الأنباء بشأن المسؤول عن اغتيال رئيسة وزراء باكستان السابقة بي نظير بوتو، ويصعب جدا الأمور على المحققين الباكستانيين المطالبون بسرعة الوصول إلى

الجناة، خاصة بعد نفي القاعدة مسئوليتها عن عملية الاغتيال رغم إصرار حكومة إسلام آباد على إلصاق التهمة بهما.

نعم تضاربت التقارير حول ملابسات اغتيال بوتو، لدرجة أن الروايات الرسمية خلال الـ ٧٢ ساعة الأولى فقط بعد مقتلها بلغت ثلاث روايات مختلفة، آخرها إشارة الحكومة الباكستانية إلى أن أسباب الوفاة كانت نتيجة كسر بالجمجمة إثر اصطدام رأسها بسقف السيارة التي كانت تقلها.

وكانت مساعدة بارزة لرئيسة الوزراء الباكستانية السابقة بي نظير بوتو قد ناقضت روايات الحكومة الباكستانية المتضاربة بشأن اغتيالها بالكشف عن أنها أصيبت بطلق ناري في الرأس.

فيما وصفت السكرتيرة الصحفية لحزب الشعب الباكستاني، شيري رحمن، مزاعم الحكومة بأن بوتو قضت بتحطم جمجمتها إثر اصطدام رأسها بسقف سيارتها المتحرك بأنه الأكثر غرابة، وهراء خطير، مضيفة قولها: من الواضح أنهم يريدون التملص من كافة المسؤوليات.

وقالت رحمن، التي ساعدت في تكفين جثمان بوتو: كانت هناك جروح واضحة لإصابة بطلق ناري في الرأس.. شاهدنا ذلك عندما غسلناها فيما تشير أصابع الاتهام إلى حركة طالبان وتنظيم القاعدة بالوقوف وراء اغتيال أوّل رئيسة وزراء مسلمة في تاريخ باكستان والعالم.

وجاء آخر تفسير للحكومة الباكستانية لأسباب وفاة بوتو على لسان الناطق باسم وزارة الداخلية، العميد جاويد إقبال شيما، قائلاً إن إصابة بالجمجمة تسبب بها اصطدام رأس بوتو، ٥٤ عاماً، بقطعة معدنية ملحقة بسقف السيارة المتحرك، كانت سبب الوفاة. وتناقض تصريحات شيما ما نقلته وكالة الأنباء الباكستانية الرسمية عن الوزارة في وقت سابق بأن شظية من انفجار قنبلة أودت بحياة بوتو، بجانب أكثر من ٢٠ آخرين، فضلاً عن إصابة ١٠٠، على الأقل بجراح.

وكانت الوزارة قد أعلنت قبيل ذلك أن طلقاً نارياً في عنق بوتو أدى لوفاتها. وأظهرت مقاطع شريط فيديو للحادث شخصاً وهو يطلق ثلاثة أعيرة نارية من مسدس باتجاه سيارة بوتو قبيل وقوع انفجار.

وفي المقابل وصف حزب بوتو - حزب الشعب الباكستاني - تفسيرات الحكومة الباكستانية بأنها حزمة أكاذيب. وقدمت فرزانا راجا من الحزب تفسيراً مغايراً وأن إصابة قناص كانت وراء مقتل بوتو، متهمة الحكومة بالتقصير في التدابير الأمنية.

هذا وقد أشارت الحكومة الباكستانية إلى الزعيم القبلي في مناطق جنوبي البلاد والمرتبط بتنظيم القاعدة، بيت الله محسود، كمشتبه رئيسي في اغتيال بوتو. ومن جانبه أيد مسؤول أمريكي بارز اتهامات إسلام أباد قائلاً هناك معلومات تقودنا للاعتقاد بأنه محسود هو الشخص المسؤول.

إلا أن الناطق باسم محسود نفى مزاعم إسلام أباد بتورطه في اغتيال بوتو، واصفاً إياها بالدعاية الحكومية.

وقال الملا محمد عمر في حديث لوكالة الأسوشيتد برس: ننفي بشدة مزاعم تورط محسود في اغتيال بوتو.

وكانت وكالة الأنباء الإيطالية قد أشارت إلى تلقيها مكالمة هاتفية من مصطفى أبو اليزيد، قيادي التنظيم في أفغانستان والناطق باسمها، أعلن خلالها مسؤولية القاعدة عن اغتيال بوتو. وذكرت الوكالة الإيطالية أن الرجل الثاني في التنظيم، أيمن الظواهري، تحدث عن استعدادات لاغتيال بوتو !!

وفي الوقت الذي ينظر إلى تشريح جثة بوتو على أنه السبيل الأوحد الذي سيتيح للعالم فرصة الوقوف على أسباب وفاتها، أشارت مصادر باكستانية إلى رفض زوج بوتو، آصف على زرداري، السماح بتشريح جثمان زوجته قبيل مواراتها الثرى.

وقد ووري الجثمان الثرى في مدفن عائلة بوتو في قرية غاري خودا باكش بالقرب من والدها رئيس الوزراء الأسبق ذو الفقار على بوتو.

وكان قد تم نقل جثمانها من منزل عائلتها إلى المدفن الذي يبعد عنه ٧ كيلومترات، وسط نحيب الآلاف من أنصارها.

جدير بالذكر أن " لياقت باغ " - حديقة لياقت على خان - هو المكان الذي اغتيل فيه رئيس الوزراء الباكستاني الأول لياقت على خان عام ١٩٥١. وبالصدفة أصبح مسرحا لمصرع رئيسة وزراء سابقة مرة أخرى ؛ لكن الصعوبة أنه لم يتم الكشف عن المؤامرة التي كانت وراء اغتيال لياقت على خان ولو بعد مرور نحو ستة عقود.

ومن هذا المنطلق يرى معظم الشعب الباكستاني أن الحكومة لن تكشف عن أسرار اغتيال بي نظير بوتو أيضا. والذي يمعن النظر في تاريخ باكستان يلاحظ أن باكستان هي مسرح للحوادث الكثيرة والخطرة لكن قلما تم الكشف عن خبايا أي حادث يذكر بدءا من اغتيال لياقت على خان إلى تفجير طائرة الجنرال ضياء الحق إلى سقوط طائرة مصحف على مير رئيس الجوية الباكستانية .

وباتت الإجابة على السؤال المطروح بقوة حاليا وهو : من قتل بوتو.. ولماذا ؟، أمرا في غاية الصعوبة نظرا لتعدد الجهات التي كانت تطالب برأس بوتو..

و يعتقد الكثير من المراقبين أن المستفيد الأول من رحيل بوتو في باكستان هو الجنرال مشرف، الذي أدرك أن بقاءه في السلطة — من وجهة نظر الأمريكيين— مسألة وقت، حتى يتم تدشين بي نظير بوتو في الحكم من جديد، ثم التخلص منه في مرحلة لاحقة !!

و قد وجه الكثير من أنصار زعيمة حزب الشعب بوتو، أصابع الاتهام إلى مشرف وحكومته، ورددوا شعارات تندد برئيس باكستان برفيز مشرف وتصفه بـ" الجنرال القاتل" !!

وقد خرجت هذه الاتهامات، خلال الجنازة الحارة التي شارك فيها مئات الآلاف من أنصار بنظير بوتو، لدفن رئيسة الوزراء السابقة في مسقط رأسها بإقليم السند.

كما تعالت الدعوات المطالبة بالقصاص من القتلة وسط أجواء مشحونة بالعواطف والحزن خيمت على الآلاف من محبيها وأنصارها الذين تجمعوا حول مدفن عائلتها، الذي يضم رفات والدها رئيس الوزراء السابق ذو الفقار على بوتو.

وكان قد تم نقل جثمانها في تابوت خشبي بسيط من منزل عائلتها إلى المدفن الذي يبعد عنه ٧ كيلومترات، وسط نحيب الآلاف من أنصارها.

وقد رافق الجثمان في رحلته زوجها آصف على زرداري وأولادهما الثلاثة.

وأصيب البعض بالإغماء فيما احتشد الآلاف لإلقاء النظرة الأخيرة على جثمان بوتو قبل أن يوارى الثرى، وهم يرددون الشعارات المنددة بمشرف !!

وهتف البعض بشعارات ضد شخصيات تنتمي للحزب السياسي المؤيد للحكومة فيما صاح البعض " طالما الشمس والقمر موجودان، سيظل اسم بوتو حيا" !!

وردد المشيعيون الذين تجمعوا في الجنازة بشكل متكرر هتافات مناهضة لكبار المسؤولين المنتخبين السابقين في إقليمي السند والبنجاب، والذين يحوزون على عضوية الحزب الحاكم المؤيد للرئيس برويز مشرف.

ويؤكد أنصار بوتو في أن هـؤلاء المسؤولون كانوا ضالعين في الهجمات التي استهدفت زعيمة المعارضة الأبرز في باكستان، وهو ما تنفيه الحكومة.

وقال رحمة الله، البالغ من العمر ٢٥ عاما "نحن أبناء السند لا نريد باكستان من الآن فصاعدا. لماذا يغتال أو يقتل رؤساء الوزراء من أبناء السند فقط؟"

ويشير رحمة الله، إلى بنظير بوتو، ووالدها ذو الفقار على بوتو وإلى أول رئيس وزراء في باكستان لياقت على خان والذي اغتيل عام ١٩٥١، وقد قتل الثلاثة في منطقة راولبندي حيث يقع مقر الجيش الباكستاني.

ومما يزيد المسألة تعقيدا أن باكستان في عهد برويز مشرف أصبحت ساحة شديدة التعقيد بسبب التدخلات الغربية الرهيبة، وبخاصة ضغوط الولايات المتحدة الأمريكية، واضطراب الرؤية لدى صانعي سياستها الخارجية، بين المراهنين على قدرة الجنرال على متابعة سيرته المرفوضة شعبيا، والمقتنعين بضرورة إعادة بوتو إلى الواجهة لإنقاذ المصالح الأمريكية هناك، في ظل تزايد السخط الشعبي على ممارسات مشرف وسياساته الداخلية والخارجية على حد سواء.

لقد أدرك مشرف أنه وقع في خطأ تاريخي وهو أنه وضع أوراقه السياسية مع بوش ففقد ثقة الشعب الباكستاني الذي اتهمه بأنه فرط في سيادة باكستان ومصالحها وحتى المؤسسة العسكرية فقدت الثقة به لأنه ورطها مع الشعب الباكستاني وانهارت معنويات الجنود لمحاربتهم أهلهم وذويهم في منطقة القبائل لحساب واشنطن .

وبالنسبة لواشنطن فإن الرئيس مشرف فقد السيطرة على باكستان سياسيا وأمنيا واقتصاديا ولذا لن تتوانى عن البحث لبديل له ويبدو بحسب المراقبين أنه لن يكون بأى حال من الأحوال رئيس الوزراء الباكستاني الأسبق وزعيم حزب الرابطة الإسلامي نواز شريف الذى يحظى بشعبية واسعة في باكستان على عكس زعيمة حزب الشعب الباكستاني الراحلة التي فقدت مصداقيتها عندما لعبت في الخفاء للتحالف مع واشنطن حيث لا تَنسى الجماعات الإسلامية تصريحاتها إبان أزمة المسجد الأحمر وتحذيرها من خطر المدارس الإسلامية في باكستان.

و لكن لا يجب أن نستبعد تورط برويز مشرف، الرئيس الباكستاني، في عملية الاغتيال، لرغبته في عدم وجود منافس قوي له، بالإضافة إلى أنه يريد الانفراد بالسلطة، ومن الاحتمالات أيضاً أن يكون الفاعل هم الإسلاميون المتشددون، أو من لهم مصالح في وجود باكستان مضطربة، مما يستدعي التدخل الأمريكي.

ويرى محللون آخرون أنه يمكن توجيه أصابع الاتهام إلى أجهزة الاستخبارات الباكستانية كجزء من لعبة مشرف، لكن ليس إلى قياداتها ، بل إلى قدامى المسؤولين

في الجهاز الذي رعى وغذّى إنشاء نظام الطالبان في أفغانستان وساعده بين العامين ١٩٩٢ و١٩٩٦ على الاستيلاء على السلطة في البلاد.

وكانت بوتو قد اتهمت الاستخبارات الباكستانية بممارسة ضغوط على مرشحي حزبها لحملهم على سحب ترشيحاتهم، وطالبت بأن تتخذ إجراءات لوقف مثل هذه الضغوط.

وأكدت بوتو أن لدى حزبها أدلة دامغة على هذه الضغوط والتدخلات، وطالبت بوقفها من أجل ضمان إجراء انتخابات حرة.

ويأتي رئيس الوزراء الباكستاني السابق نواز شريف الأرستقراطي الحالم بالعودة إلى السلطة والأضواء بعد سنوات من عزله ثم سجنه ثم نفيه خارج البلاد، في دائرة الاتهام أيضاً بالنسبة لاغتيال بي نظير بوتو كثاني أكثر المستفيدين من اختفائها من الساحة بعد مشرف !!

وسر توجيه أصابع الاتهام لشريف شأنه شأن أطراف أخرى ذات مصلحة مباشرة في اختفائها من الساحة هو ببساطة كسر الرهان الأمريكي على الراحلة كحصان الحلبة الرئيسي في المرحلة المقبلة إلى جانب برويز مشرف، واستخدامه هو " نواز شريف " إلى غطاء للصفقة المسمومة التي توصلت إليها إدارة بوش مع الاثنين، بمعنى أن يتم السماح لبوتو بالعودة، ولذر الرماد في العيون، وحتى يبدو الأمر جزءًا من توجه ديمقراطي عام، يتم السماح أيضاً لنواز شريف بالعودة معها، وكلاهما عزل وسجن ونفي من قبل .

ولكن شريف أدرك أن قسمة السلطة – حسب السيناريو الأمريكي – ستكون على " اثنين " وليس " ثلاثة "، بمعنى أنه فقط " للتمويه " ولإخراج المسرحية الانتخابية بالشكل الديمقراطي كانتخابات متعددة الأطراف .

وأدرك شريف أيضاً أن نظام مشرف لديه القدرة على تزييف الانتخابات بحيث يستثنى هو من الوصول للسلطة المعدة سلفاً لاثنين فقط " بوتو ومشرف !!

وإذا كان من غير السهل تصور انخراط شريف بنفسه في التخطيط لاغتيال بوتو، إلا أن من مصلحته اختفاء بوتو، كما أن أنصاره – كما تقول التحليلات – كان لديهم الدافع لاغتيالها، حتى يتم إفساح الساحة لزعيمهم نواز، لكي لا يكون أمام الأمريكيين بديلاً عن الرهان عليه، بعد اختفاء حليفتهم الرئيسية بوتو !!

ويرى البعض أن نواز شريف ربما عرف أن أنصاره كانوا يرغبون في تصفية بوتو، وأنه ربما تآمر بالصمت، وتركهم يفعلون ذلك – دون أن يتلفظ بكلمة تشير إلى موافقته الصريحة – ما لم يكن قد أمر فعلاً بتصفيتها !!

ويأتي هذا بالرغم من أن بوتو كانت قد خرجت عن حدود الصفقة المبرمة مع واشنطون ومشرف في انتهازية واضحة بالتحالف مع نواز شريف ضد مشرف .

ووصف المراقبون الباكستانيون تحالف زعيمي المعارضة الباكستانية بوتو وشريف من أجل إسقاط نظام الرئيس برويز مشرف بأنه : " زواج متعة سياسي "، مشددين على أن بوتو كانت ستستخدم ذلك التحالف "الهش والمؤقت" لخدمة أغراضها السياسية، ثم تتخلى عنه.

وقال – آنذاك – المحلل السياسي إكرام سيجال:"إن التحالف بين زعيمي المعارضة سيكون بمثابة زواج متعة سياسي بينهما.. فشريف وبوتو مختلفان في أيدلوجيتهما السياسية" .

ورأى سيجال أن "شريف سيتضامن مع بوتو من خلال جدول أعمال مشترك لإسقاط نظام مشرف، ولكن هذا التحالف لن يدوم طويلا" .

وقال : "كما أن بوتو "المعروفة بمناوراتها السياسية سوف تستخدم شريف كأداة لتحقيق مكاسب سياسية.. ويجب أن يضع شريف في ذهنه أن السيدة بوتو لم تَعُد شخصية يمكن الوثوق بها" !!

واعتبر المحلل الباكستاني – آنذاك – أنه "من الخطأ أن يمد شريف يد التعاون لبوتو.. فهي لا تسعى إلا لاستعادة الدعم الشعبي في إقليم البنجاب الذي فقدته على مدى السنوات القليلة الماضية بسبب مواقفها السياسية الغامضة والمشبوهة".

وذكر بأن بوتو وشريف سبق أن تحالفا عام ٢٠٠١ تحت ما كان يسمى بـ"التحالف من أجل استعادة الديمقراطية" المناهض لنظام مشرف، مشيرًا إلى أن بوتو "ضحت بهذا التحالف عندما قبلت بصفقة تقاسم السلطة مع مشرف والتي عادت بموجبها إلى باكستان بعد ٨ أعوام في المنفى".

وفي هذا السياق أوضح شميم أخطر، المحلل السياسي، رئيس قسم العلاقات الدولية بجامعة كراتشي سابقا، أن "الولايات المتحدة لا تحب شريف، ولن تتخذ بوتو أي خطوة تغضب الإدارة الأمريكية.. وكل ما ستفعله بوتو هو أن تستغله لممارسة ضغوط مكثفة على الجنرال مشرف لتقديم مزيد من التنازلات".

وأردف "أخطر" قائلا: "بمجرد أن يتحقق الهدف الذي تبتغيه بوتو، فلن تتردد لحظة في التخلص منه مجددا".

وأضاف: " بوتو لم يكن لديها من خيار آخر للضغط على مشرف سوى التحالف مع شريف بالرغم من فقدان الثقة المتبادل"، هكذا يبرر المحلل السياسي صهيل إقبال سبب عودة التحالف بينهما".

وأوضح إقبال آنذاك – أنه : "بعد تشكيل الحكومة الانتقالية قبل أيام بقيادة محمد ميان سومرو لم يعد لدى مشرف شيء منصب يعطيه لبوتو.. وبالتالي لم يعد لديها خيار آخر سوى التحالف مع المعارضة، وخاصة رئيس الوزراء السابق، نواز شريف" !!

وكانت بوتو بعد "مقامرات" استمرت طويلا مع الرئيس مشرف قد غيرت، من سياستها بدعوة خصومها السابقين من الأحزاب الإسلامية، وشريف، لتشكيل تحالف ضد مشرف.

وأجـرت بوتو اتصالات هاتفية مع خصوم قدامى، من بينهم قاضي حسين أحمد، زعيم الجماعة الإسلامية في باكستان، وعمران خان لاعب الكريكيت السابق والناشط السياسي، والذي اعتقلته الشرطة فيما بعد.

وردا على دعوة بوتو، كان شريف قد أعلن من منفاه بالسعودية قبيل عودته لباكستان : "نحن مستعدون لتجنيب خلافاتنا مع حزب الشعب الذي تتزعمه بوتو والعمل من أجل عودة الحكم الديمقراطي".

وكان شريف وبوتو خصمين في أواخر ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين، حيث تولى كل منهما رئاسة الوزراء مرتين، وكانا يتبادلان المنصب إلى أن أطاح مشرف بحكومة شريف في انقلاب عسكري عام !!

نظرية أخرى تقول إنه لا يُمكن استبعاد فِكرة أن أحد المتعصِّبين الدِّينيين قد اغتال بوتو في منطقة شهدت قِيام مثل هـؤلاء العشوائِيين أو المهَوُوسين بأعمال اغتيالٍ مُروّعة لكثير من الزعماء السياسيين الكِبار، لكن الأمور في باكستان لا تسير بتلك الصورة.

فقد كانت هناك دائما مؤشِّرات على وجود فاعل "منظم" وراء كل عملية اغتيال، بحيث لم يعد من المُمكن أن يفسّر مجرّد سقوط طائرة على أنه حادِث، وبالنسبة لبي نظير تحديدا، كان هناك مَن ينتظرون وصُولها ويخطِّطون لاغتيالها، وقد تعرّض أنصارها في الأيام السابقة لمقتلها، إلى عمليات قتل شِبه جماعية في عدّة ولايات، بينما كانوا يستعدّون لانتخابات يناير ٢٠٠٨، فما جرى لم يكُن حادثا بالتّأكيد.

ويرى بعض المراقبين أن الجماعات الدِّينية المتشدِّدة هي التي اغتالت بوتو على الأرجُح، فقد سَيطرت على تلك الجماعات مُيول عَنيفة في السنوات الأخيرة، وتنامت قُوّتها بصورة مكّنتها من السَّيطرة تقريبا على القبائل في المنطقة الشمالية الغربية وتداخلت علاقاتها مع عناصر القاعدة، المتواجدة على الحدود وطالبان في

الجوار، وسَيطرت تقريبا على الساحة الإسلامية في المجتمع وبدأت في الاندفاع نحو ما يُعرف بمُحاولة "طلْبَنة" باكستان، قبل أن تندفِع إلى مواجهة الدولة، متجاوزة قواعِد الاشتباك التي حكَمت علاقة النُّظم العسكرية بها لعقود طويلة، وكانت بوتو بالنسبة لها، تمثل دائما هدفا شرعيا وِفقا للطّريقة التي يفهمون الشرع بها.

لكن مسؤولية نظام مُشرّف عن قتلها لا تقِل على الإطلاق عن مسؤولية الجماعات الراديكالية ذاتها. فقد قامت تلك النُّظم بتوظيف العناصر الدّينية طِوال الوقت، للعمل ضد الحكومات المدنية وإثارة القلاقل، تمهيدا للإطاحة بها أو لإبقائها خارج السلطة. ولأن المسألة تتعلّق بمتطرّفين حقيقيّين، أصبحَت توجُّهات التنظيمات الدّينية إزاء الأحزاب السياسية وقياداتها، كبي نظير بوتو أو نواز شريف وغيرهما، ممَّن يعتبرونهم دُعاة للديمقراطية العِلمانية، لا تقِلّ عُنفا عن توجُّهاتهم إزاء الدكتاتوريات العسكرية، لذا، كانت القائمة التي أعلنَها وزير الداخلية الباكستانى قبل يوم واحد من الاغتيال، كأهداف مُحتملة للقتل من جانب تلك الجماعات، تضُم مُشرّف وبوتو معا.

الفارق الأساسي، هو أن مُشرّف قد اضطُر لاتخاذ أصعب قرارات حياته بمواجهة المتطرّفين في المسجد الأحمر، في ظل حالة من "اللاخيار"، عندما وضَّح أنهم يتَحدَّوْن سُلطته عَلنا، بينما كانت بوتو قد تبنّت نفس موقِفه الأخير طوال الوقت.

فقد كانت تؤكّد دائما أنه من غير المُمكن عقد صفقات مع المتعصّبين دينِيا وأن حكومة ديمقراطية يمكنها أن تستعيد السَّيطرة على المناطق، التي تقول الحكومة إنه تصعُب السيطرة عليها، لِذا، كانت المباراة بينها وبين الجماعات الإسلامية صفرية، من وجهة نظرها ومن وجهة نظرهم، فإمّا أن تكون حاكما أو مقتولا، وقد تمكّنوا مِنها.

أما السؤال الخاص بالسّبب، في أنه لم تتوفّر لها الحماية الأمنية الكافية، فإنه يفتح الطريق واسعا لنظرية المؤامرة.

فقد كانت العلاقات بينها وبين مُشرّف قد توتّرت بشدّة في الأيام السابقة لاغتيالها بسبب دعوتها لما يُشبه ثورة شعبية ضدّ سياسته، إضافة إلى ما تواتر حول قيامها بعقد صفقة من نوع ما مع المؤسسة العسكرية، ترسي صيغة مفادُها بأن حُكمها، استنادا على توافُق مع قيادات المؤسسة، يمكن أن يكون المخرج الأنسب للبلاد من أزمتها الراهنة، لكن لا يمكن تصديق أنّ مُشرّف قد قام باغتيالها أو أنه سمح بحدوث ذلك.

فمُشرّف يختلف عن ضياء الحق، الذي أعدَم والدها، رغم أنها أعلنت مرارا أنها تعود إلى باكستان لإحداث تغيير، بينما كان هو يستميت للحفاظ على بقائه.

لكن القصة لا تنتهي عند هذا الحدّ، فإحدى مُشكلات باكستان، التي لا يعرف أحد حجمها بالضبط، هي أن التيارات الدّينية قد اخترقت صفوف المؤسسة الأمنية- العسكرية على نطاق واسع، وأن هناك مُيولا دينيّة واسعة النّطاق داخل تلك المؤسسة، من جانب مَن اعتادوا مُسبقا على اللّعب مع المتطرفين أو على دعم حركة طالبان أو إقامة علاقة مع الأفغان العرب أو قبائل الحدود، وأن أعمال التنقّلات أو التطهير، لم تُنه تلك المشكلة.

ويؤكد خبراء أن الأسلوب المستخدم في اغتيال بوتو يشبه أسلوب القاعدة، ولكنه ليس بالتأكيد أسلوبها، لأنها لا تفعل عمليات مع إطلاق رصاص بهذه الدقة.

ويقول هؤلاء إن تصريحات البيت الأبيض نفسها تؤكد أن مرتكبي عملية الاغتيال هم أعداء الديمقراطية الذين استخدموا أساليب (القاعدة) وهم المتشددون غير الإرهابيين.

ولكن هناك من يقول إن هذه العملية ليست منفردة ولكنها مشتركة، فالأسلوب الانتحاري أسلوب الإسلاميين، ولكن طبيعة العملية تشير إلى أنها من داخل جهاز الدولة.

ويرى البعض أن التحالف الاستراتيجي بين الغرب وباكستان موجود بالفعل ضد الإرهاب، وذلك بسبب القاعدة والملف النووي، مشيراً إلى أن أمريكا لن تنهيّ ارتباطها بباكستان لأن الأخيرة مدخل لأفغانستان.

ويرى بعض الباحثين في شؤون الحركات الإسلامية إن مسألة تحديد من قتل بوتو لا يمكن الجزم بها، وإن كانوا يميلون إلى أن رؤيتها العلمانية وخطابها المتشدد ضد الجماعات الإسلامية قد استفزهم.

ويقول البعض إن المسؤول عن هذا الحادث هو المدارس الدينية المتشددة في المناطق الشمالية، خصوصاً منطقة وزيرستان لأن الموجودين فيها من تربية القاعدة وطالبان، مؤكداً أن الحكومة لن تصل للجاني .

أما تنظيم القاعدة فقد كان المتهم النموذجي !!.. كان لافتا للنظر بشدة الإعلان السريع من وكالة الاستخبارات الأمريكية عن تحميل تنظيم القاعدة مسؤولية اغتيال بي ناظير بوتو، رئيسة وزراء باكستان السابقة، كان هذا الإعلان السريع والمتعجل بينما العالم لم يفق من الصدمة بعد، أشبه بمن على رأسه "بطحة" فسارع إلى نفي التهمة عن نفسه بإلقائها على أقرب شخص أو تنظيم، وبينما تجاهل العالم تلك التصريحات "المريبة" للاستخبارات الأمريكية سارعت صحف وقنوات فضائية عربية معروفة الولاء للاستخبارات الأمريكية بترديد نفس الكلام كما نشرته في صدر مواقعها على شبكة الإنترنت، اغتيال بوتو أتى في سياق تغيرت فيه لهجة الأمريكيين عن برويز مشرف، وإبداء دوائر أمريكية قلقها من أن تقع الولايات المتحدة في نفس الخطأ الذي وقعت فيه عندما تخلت عن رجلها في إيران الشاه محمد رضا بهلوي لتنتقل السلطة في إيران إلى الجماعات الدينية المتشددة .

وكان واضحا أن هناك صفقة تمت على عجل مع مشرف تنتهي بإلغائه حال الطوارئ والقبول بالانتخابات مع قبوله برئاسة الجمهورية وتخليه عن قيادة الجيش في مقابل دعم أمريكي لتثبيته ولمطاردة القاعدة ونفوذ طالبان في المناطق الحدودية وأيضا تهميش وردع القوى الإسلامية في باكستان .

وكان الدور المفترض لـ بي نظير بوتو هو التحالف مع مشرف من أجل تنفيذ الأجندة الأمريكية، ولكن بوتو الإيرانية الأم - والدتها السيدة نصرت أصفهاني الإيرانية المولد والجنسية - التي أظهرت ولاءً أكثر تطرفا للأمريكيين تحولت إلى مرحلة أخطر وهي التحرك من أجل إسقاط مشرف والتحالف مع نواز شريف، مما يكون من شأنه فتح الملف الباكستاني الخطير على المجهول .

فجاءت حادثة اغتيال بوتو من أجل أن تنهي الاثنين : بوتو السياسية المتمرسة والمجهولة النوايا وبرويز مشرف الذي بدأت البلاد تفلت من يده، وذلك تمهيدا للجنرال الجديد الذي يبدأ صفحة جديدة للإدارة العسكرية في باكستان.. الحديث عن اتهام القاعدة باستهداف بوتو فيه استخفاف بالعقول، كما أنه معاكس للسياق المتكرر لاختيارات القاعدة وأفقها السياسي، تنظيم القاعدة لم يستهدف أبدا شخصيات سياسية غير سلطوية لمجرد أنها من الممكن أن يكون لها سلطة أو دور معادٍ له في المستقبل، الأفق السياسي والاستراتيجي للتنظيم لا يعمل وفق هذا المنطق أبداً، وهم عادة يستهدفون الشخصيات التي تتوسد السلطة مباشرة وعمليا أيا كان مستواها، كما أن الرواية الأشهر لعملية الاغتيال تعني أن اختراق السياج الأمني حول بوتو كان من أشخاص قريبين جدا منها، كما أن القاتل ربما لم يدر أنه سيتم تفجيره بعد ثوانٍ من إطلاقه الرصاص على بي نظير، عملية الاغتيال عملية دقيقة شاركت فيها أجهزة استخبارات محترفة، وسيتم التعتيم على القتلة الحقيقيين، ومن المحتمل أن يتم تقديم آخرين قربانا، لطمس الحقيقة .

وقد لوحظ أنه بعد نفي السلطات الباكستانية وجود أي إشارة إلى دور لتنظيم القاعدة إلا أنهم بعد الإعلان الأمريكي المتكرر أخرجوا وزير الداخلية ليعلن أنه "رصد مكالمة" لتنظيم القاعدة تتحدث عن الاغتيال، ولكنه لم يصل به إلى حد القول بأنه سمع بن لادن نفسه، أو أن المكالمة كانت صادرة من الديوان الأميري لأيمن الظواهري !... قتلت بي نظير، كما قتل أخوها من قبل، ومات القاتل في الحالتين بكل تأكيد، وتبقى أوضاع باكستان مفتوحة على كل الاحتمالات السيئة .

وفي ما يلي ترجمة أجرتها وكالة فرانس برس للنص الحرفي للمحادثة الهاتفية التي أجراها المسؤول الكبير في القاعدة بيت الله محسود مع عضو آخر في التنظيم، وتقول وزارة الداخلية الباكستانية إنها رصدتها بعد اغتيال بينظير بوتو.

مولوي صاحب: السلام عليكم!

بيت الله محسود: وعليكم السلام

صاحب: تحياتي فقد عدت لتوي هذه الليلة.

محسود: تحياتي لك، هل كانوا رجالنا؟

صاحب: نعم كانوا رجالنا.

محسود: من هم؟

صاحب: كان هناك سعيد وبلال وأكرم الله.

محسود: هؤلاء الثلاثة فعلوها؟

صاحب: أكرم الله وبلال قاما بها.

محسود: أهنئكم إذا.

صاحب: أين أنت؟ أريد أن ألقاك.

محسود: إنني في ماكين (مدينة في منطقة وزيرستان الجنوبية القبلية) مر على أنا في منزل أنور شاه.

صاحب: حسناً سأحضر.

محسود: لا تبلغوا منزلهم في الوقت الحالي.

صاحب: حسنا.

محسود: كان جهدا رائعا. إنهم حقا فتية شجعان هؤلاء الذين قتلوها.

صاحب: الحمد لله، عندما أصل سأبلغكم بكل التفاصيل.

محسود: إنني في انتظاركم. تحياتي وأهنئكم من جديد.

صاحب: تحياتي لكم.

محسود: هل هناك شيء أستطيع أن أفعله لكم؟

صاحب: شكرا جزيلا.

محسود: السلام عليكم.

صاحب: وعليكم السلام.

وقد استغل الأمريكيون اغتيال بوتو واتهام القاعدة لتصفية حسابات سياسية مع إدارة الرئيس بوش، باعتباره من وجهة نظر معارضيه فشل في الحرب على الإرهاب، والقضاء على تنظيم القاعدة .. بينما استغل فريق بوش اغتيال بوتو للتأكيد على ضرورة استمرار جهود إدارة بوش في مكافحة الإرهاب، أي أن كل من الحكومة والمعارضة في أمريكا وجدت في اتهام القاعدة فرصة لتحقيق مكاسب سياسية على حساب الطرف الآخر !!

ويرى البعض أن من شأن الدفع بضلوع تنظيم القاعدة بدور في اغتيال زعيمة المعارضة الباكستانية بي نظير بوتو أن يبرهن على أنه بوسع هذه الجماعة المتشددة أن تحبط بدرجة كبيرة من توجهات السياسة الأمريكية الخارجية بعد أكثر من ست سنوات من إعلان الرئيس الأمريكي جورج بوش عزمه إنزال الهزيمة بالجماعة.

وقال مايكل شيوار وهو موظف سابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية كان قد قاد عمليات البحث عن زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن : " أتصور في بعض

الأحيان أنه يتعين على ابن لادن ونائبه أيمن الظواهري أن يتصافحا ويقولا الأمر في غاية السهولة" .

وكان الظواهري قد وصف بوتو قبيل اغتيالها بأنها أداة تخدم السياسة الأمريكية.

وقالت الحكومة الباكستانية أنها حصلت على أدلة تشير إلى مسؤولية تنظيم القاعدة عن قتل بوتو في هجوم انتحاري لدى مغادرتها لتجمع انتخابي.

وقال متحدث باسم وزارة الداخلية "لدينا معلومات وبيانات اعتراض استخباراتية تشير إلى أن بيت الله محسود الزعيم بالقاعدة وراء الاغتيال" .

وقد نفى متحدث باسم بيت الله محسود المتشدد الباكستاني المرتبط بالقاعدة تورطه في اغتيال زعيمة المعارضة.

ووصف مسؤول أمريكي في مجال مكافحة الإرهاب محسود الذي كان قد سبق أن وجه تهديدا إلى بوتو بانه زعيم قبلي «وجهادي متمرس يحتفظ بعلاقات وثيقة بالقاعدة وبطالبان ومنظمات إرهابية أخرى»

ولايزال الشك يساور عددا من المحللين بأن من مصلحة الرئيس الباكستاني برويز مشرف أن يركز الأنظار على القاعدة فيما تواجه حكومته نفسها شكوكا داخلية بالضلوع في جريمة الاغتيال.

وقال ريتشارد كلارك المسؤول الأمريكي السابق في مجال مكافحة الإرهاب "ربما يكون الباكستانيون يكذبون" .

و يقول محللون إنه لو صح ذلك فإن تنظيم عمليات القاعدة يبين أن بوسعها شن هجمات مؤثرة من مناطق القبائل في غرب باكستان حيث أعادت القاعدة تنظيم صفوفها بعد غزو قادته الولايات المتحدة ونجح في استئصال شأفة الحركة المتشددة من أفغانستان المجاورة عام ٢٠٠١.

وأضاف مسؤول مكافحة الإرهاب أن للقاعدة حيزا نفسيا وبدنيا متاحا "كي تجند وتدرب كوادر إرهابية وتخطط لهجمات" .

وعندما أصدر بن لادن تسجيلا جديدا بالفيديو قبل حلول الذكرى السنوية السادسة هذا العام لهجمات ١١ سبتمبر قالت مستشارة البيت الأبيض لشؤون مكافحة الإرهاب آنذاك فران تاونسند أن بن لادن بات عاجزاً فعليا إلا أن تقييما للمخابرات صدر في يوليو نوه إلى تعزيز صفوف القاعدة من جديد وإلى قدراتها القتالية وهي الجماعة التي كانت غالبا ما تلجأ إلى العمل من خلال جماعات إقليمية.

وقال شيوار إن هدف القاعدة لم يعد مهاجمة أهداف داخل الولايات المتحدة بقدر ما هو طرد قواتها من المنطقة.وكانت بوتو مؤيدة للسياسات الأمريكية فضلا عن تاريخ من العداء مع ابن لادن يرجع إلى ٢٠ عاما إلى الوراء لذا فقد كانت هدفا مؤكدا.

وقال شيوار وهو يشير إلى تأييد من الولايات المتحدة وبريطانيا لبوتو لدى عودتها إلى أرض الوطن " لم يكن من الصواب الزج بها إلى حتفها " .

وأضاف : " ما وجدته حقا على نحو مقزز هو أن بصمات السيد بوش وبصمات رئيس الوزراء البريطاني جوردون براون وبصمات معظم مرشحينا للرئاسة ظاهرة على جثة السيدة بوتو" .

وقال إنهم الآن " يواجهون حالة من الفوضى العارمة» مع تدهور الأحوال في باكستان وعدم وجود خطة واضحة لمكافحة ضغوط متجددة في أفغانستان من القاعدة وحليفتها حركة طالبان.

وفي الجارديان تحدث إيوين ماكاسكيل مراسل الصحيفة في واشنطن كيف أن إدارة بوش تعمل بسرعة لوضع خطة بديلة بعد اغتيال بينظير بوتو.

ويقول ماكاسكيل إن اغتيال بوتو قد ضيع آمال إدارة بوش في تحقيق قدر من الأمان في باكستان.

ويضيف أنه منذ الحادي عشر من سبتمبر اعتمد بوش على الحكومة العسكرية للرئيس برويز مشرف كحليف له في حربه ضد طالبان والقاعدة. ومع خسارة مشرف لشعبيته وضعت الإدارة آمالها في العودة إلى الديمقراطية وتشكيل ائتلاف بوتو- مشرف.

وقالت الصحيفة إن محللي الاستخبارات الأمريكيين قد حذروا من تعزيز قوة القاعدة التي تحتفظ لها بموقع قوي في المناطق القبلية في باكستان وفي بعض المدن كمدينة كراتشي والتي تعتقد الولايات المتحدة أن أسامة بن لادن يختبئ فيها وذلك بسبب الفوضى في أعقاب حادث الاغتيال.

وتشير الصحيفة إلى أن الإدارة قلقة من وقوع الباكستان في أيدي الراديكاليين مما يقوض معركتها ضد طالبان والقاعدة، ويعزز إمكانية سقوط الأسلحة النووية في أيدي الإسلاميين المعادين للغرب.

وتشير الصحيفة إلى تصريح وزارة الدفاع الأمريكية " البنتاجون" بأنه مطمئن إلى سلامة الأسلحة النووية حاليا رغم الاغتيال لكنه أقل ثقة بالنسبة للمستقبل.

ويقول المراسل إلى أن إحدى الخطط البديلة هي أن تعمل القوات الأمريكية الخاصة بالتعاون مع الجيش والمخابرات الباكستانية على تهريب أية أسلحة يحيق بها خطر مباشر، "إلا أن الولايات المتحدة ليست واثقة من تعاون الجيش الباكستاني التام في هذا الوقت".

وتشير الصحيفة إلى ريبة الحكومة الباكستانية في النوايا الأمريكية رغم تلقيها دعما ماليا منها، وتقول إنها حجبت معلومات حول مواقع ترسانتها من الأسلحة النووية وغير ذلك خوفا من زرع الأمريكيين أجهزة تبطل عمل الأسلحة النووية.

وقال المحلل انطوني كوردسمان من مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية إن قوة طالبان تضاعفت في المناطق الحدودية الغربية من باكستان خلال الأشهر الاثنى عشر إلى الأشهر الثمانية عشر الماضية. وأضاف أن اغتيال بوتو سيجعل من الصعوبة بمكان على الولايات المتحدة أن تقنع الرئيس مشرف بشن حملة صارمة على الأقاليم الحدودية.

وقال كوردسمان " أي شيء من شأنه أن يضعف باكستان... يخلف حالة من الفراغ يمكن أن تستغلها القاعدة " .

وكانت بوتو قد ناصبت القاعدة العداء صراحة عندما انتقدت مشرف لفشله في القضاء على من أسمتهم بالمتطرفين بالإضافة إلى مطالبتها بإغلاق المدارس الدينية، ولذا سارع محمود الحسن عضو حزب المجاهدين المرتبط بحزب "الجماعة الإسلامية" في باكستان إلى التحذير من أن حوالى ٣ آلاف انتحارى مستعدون لتفجير أنفسهم لاغتيال رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة بنظير بوتو بعد نجاتها من تفجيرين استهدفا موكبها وهى عائدة من المنفى في ١٨ أكتوبر .

ونقلت صحيفة "الحياة" اللندنية في ٢١ أكتوبر عن محمود الحسن قوله إن تصريحات بوتو المتكررة حول الإسلاميين وإعلانها أنها ستسمح بعمليات أمريكية لمطاردة زعيم القاعدة أسامة بن لادن في باكستان تجعلها خائنة ويجب أن تقتل.

وتصاعد عداء القاعدة أكثر لبوتو عندما تسربت تقارير صحفية مفادها أن الإدارة الأمريكية تبحث عن بديل للرئيس برويز مشرف وهذا البديل يرجح أن يكون بوتو الأمر الذى يعنى أن هناك صفقة سرية بين بوتو وواشنطن .

وكانت صحيفة "نيويورك تايمز" الأمريكية قد نقلت في ١٤ نوفمبر عن مسئولين كبار في الإدارة الأمريكية قولهم إن مسئولين في إدارة بوش باتوا فاقدين للأمل بإمكانية بقاء مشرف في مركزه على ضوء الأزمة السياسية المتفاقمة التي تعيشها باكستان.

وقال المسئولون الأمريكيون للصحيفة : " يوم بعد يوم يزيد الاعتقاد لدى إدارة بوش بأن أيام مشرف باتت معدودة وأنه يجب أن تتحول الإدارة الأمريكية إلى البحث عن الخطط البديلة المحتملة .

واشنطن لا تريد - بحسب المسئولين- تشجيع حصول انقلاب عسكري جديد لكنها بدأت تعتقد أن مشرف بات جزءا من المشكلة " .

وأضاف المسئولون أيضا " المناطق النائية في شمال غرب باكستان تأوي مقاتلين من القاعدة وتنظيمات إسلامية أخرى، ولذا هناك حاجة لبديل وسوف يكون بالأغلب من خلال انقلاب صغير ينفذه ضباط الجيش الذين قد يحاولون أيضا تعيين رئيس مدني والدفع لإجراء انتخابات برلمانية تقود إلى تعيين رئيس جديد للوزراء سوف تكون على الأرجح بوتو على الرغم من التوتر الذي كان سائدا بينها وبين الجيش في السابق"، وجاء لقاء بوتو مع جون نيجروبونتي نائب وزيرة الخارجية الأمريكية في ١٦ نوفمبر ليدعم صحة التقرير السابق .

وعن اتهام حكومة مشرف للقاعدة، وفي هذا الإطار أجرت إذاعة الـ بي بي سي الأردية مقابلة هاتفية مع فرحة الله بابر أحد أبرز القيادات لحزب الشعب الباكستاني لمعرفة موقفه مما تقول الحكومة. فوصف فرحة الله التصريحات الأخيرة محاولة لتغطية المجرمين الحقيقيين. كما أنه دعا إلى إجراء تحقيق حسب خطوط عريضة أشارت إليها بينظير بوتو بعد تفجيرات كراتشي للتوصل إلى الحقائق. أضف إلى ذلك أنه رفض تورط بيت الله محسود في ذلك الحادث الأليم.

و تأتي حركة طالبان التي أسقط الأمريكيون حكمها في أفغانستان عند غزوهم لهذه الدولة في عام ٢٠٠٢ كأحد المتهمين في اغتيال بوتو . والمعروف أن لطالبان وجوداً مكثفاً داخل باكستان، كحليفة لبعض رموز المعارضة الباكستانية، كما أن لها قواعد وعيوناً وعملاء داخل معظم أجهزة الأمن في إسلام أباد، كما أن لها قواعد في مناطق القبائل الشمالية وخاصة منطقة " وزيرستان " .

ويدلل من يشيرون بأصابع الاتهام إلى حركة طالبان بمقال بي نظير بوتو قبل مقتلها، عندما هاجمت الحركة بضراوة .. وتحدثت عن خطتها لما أسمته بهزيمة طالبان، حال بلوغها السلطة !!

واعتبر المحلل السياسي الباكستاني مصباح الله عبد الباقي أن حركة طالبان وأنصارها هم من يقفون وراء مقتل بوتو، ورد ذلك لتصريحاتها المنددة بما أسمته "التشدد الإسلامي".

وأشار عبد الباقي إلى أن: "بوتو اعتادت قبل عودتها لباكستان في ١٨ أكتوبر الماضي على الإدلاء بتصريحات تقول فيها إنها في حال وصولها للسلطة ستسمح للجيش الأمريكي بتعقب عناصر طالبان وتنظيم القاعدة على الأراضي الباكستانية".

وأردف قائلا : "من التصريحات الخطيرة التي ألبت الجماعات الإسلامية ضد بوتو تصريحاتها التي قالت فيها قبل عودتها لباكستان بأنها ستسمح لأمريكا والوكالة الدولية للطاقة الذرية باستجواب أبي القنبلة النووية الباكستانية عبد القدير خان".

وكان مشرف أعلن في فبراير ٢٠٠٤ العفو عن خان، بعد أن أقر بأنه سرب أسرارا نووية لليبيا وإيران وكوريا الشمالية. وكانت واشنطن هي التي أثارت قضية تسريب خان هذه الأسرار.

واعتبر المحلل الباكستاني أن "الجماعات الموالية لطالبان استقبلتها يوم عودتها بتفجير انتحاري استهدف موكبها في مدينة كراتشي، ونجحوا أخيرا في اصطيادها هذا اليوم، خاصة بعد إعلانها أن مشرف مقصر في الحرب على الإرهاب والتشدد الإسلامي".

المحلل السياسي الباكستاني عبد الرحمن حياة من جانبه اتفق مع رؤية عبد الباقي بشأن ضلوع القاعدة وطالبان في اغتيال بوتو.

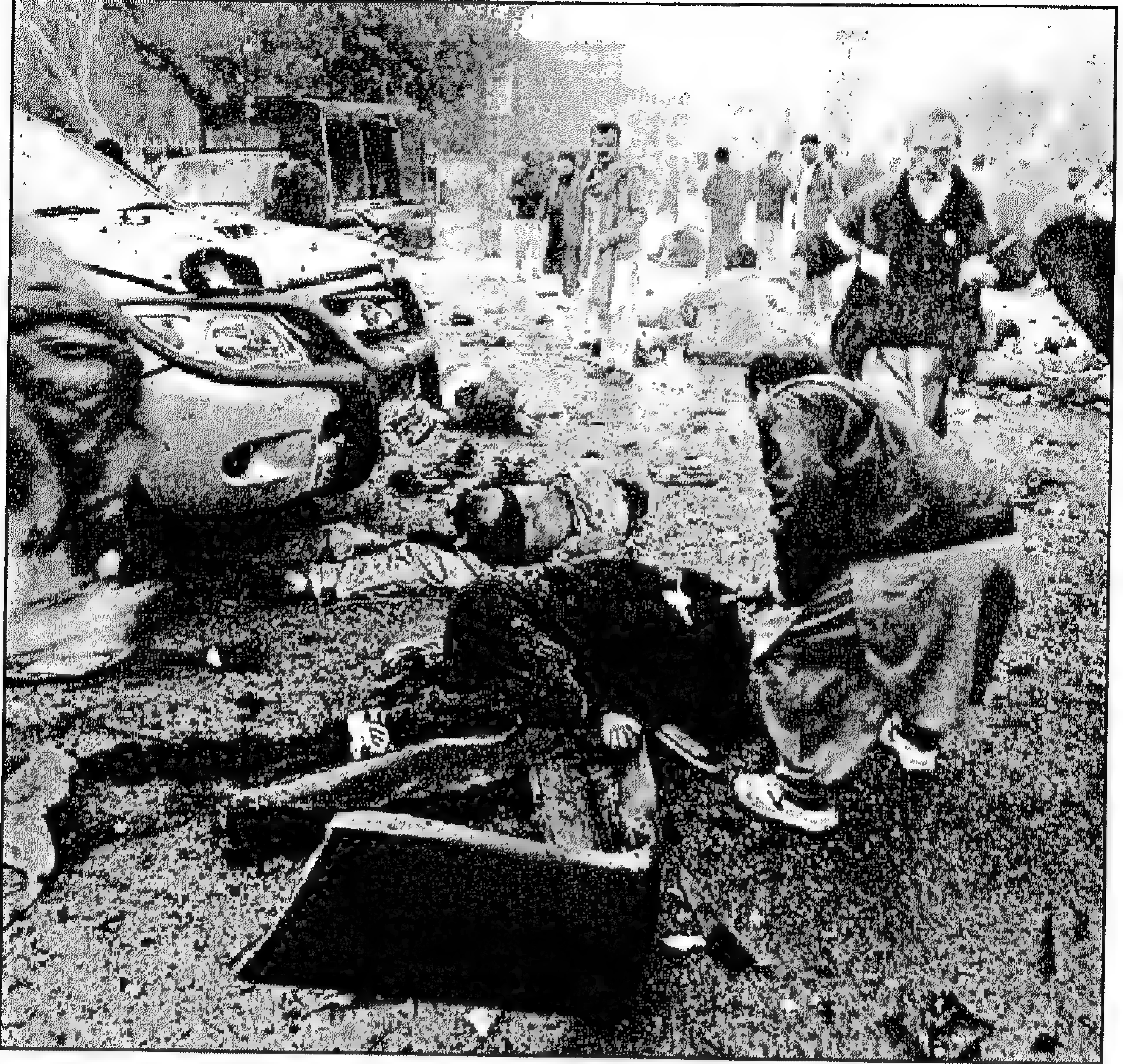
واعتبر أن "التصريحات الأخيرة التي كانت تصدرها زعيمة حزب الشعب الباكستاني بشأن أهمية دعم باكستان لأمريكا في الحرب على ما يسمى الإرهاب عجل بقتلها من قبل طالبان وأنصار القاعدة في باكستان".

وفي الوقت الذي استبعد فيه حياة ضلوع مشرف في مقتل بوتو، "على أساس أن أمريكا رعت عملية التقارب السياسي بينهما"، رأى آخرون أن أصابع الاتهام تشير إلى مشرف الذي يرى في بوتو منافسا سياسيا له في البلاد.

فقد اعتبر شريف عطوي الخبير في الشأن الباكستاني، أن: "احتمال ضلوع مشرف في اغتيال بوتو مطروح في إطار مساعيه للتخلص من خصومه السياسيين، بعد أن أظهر للعالم تعاونه معهم، لا سيما أن تعاونه مع بوتو كان برعاية أمريكية ومقتلها في هذا التوقيت يظهره أمام أمريكا بالبريء".

كما لم يستبعد عطوي أيضا تورط الجيش والاستخبارات الباكستانية في التخلص من بوتو بعد تصريحاتها التي أبدت فيها استعدادها تسليم الخبير النووي الباكستاني عبد القدير خان للولايات المتحدة، وبعد أن استعدت رجال الدين الذين وصفتهم بالتشدد.

وفي النهاية يبقى السؤال : من اغتال بنظير بوتو؟ ! .. الحقيقة لا يمكن أن نجد إجابة فورية، بل قد لا نجد إجابة على الإطلاق في ظل الأوضاع المسيطرة على البلاد، ولئن صدر عن أي جهة من الجهات تبني المسئولية عن عملية الاغتيال، فلن يكون ذلك أكثر من الإعلان عمن خطط للعملية ونفذها، وقد يكون إعلانا صحيحا أو ناقصا أو كاذبا، أما السؤال الأصح الذي يجب طرحه في باكستان فهو: ما الذي اغتال بنظير بوتو؟



هنا سقطت بوتو في تفجير موكبها في عملية مدبرة صدمت العالم !!



مشرف المتهم الأول بقتل بوتو لا يزال يمارس مهامه كرئيس !!



شريف وبوتو فى الخصام إلى التحالف ضد مشرف قبل الاغتيال



بوتو لم تدرِ أن هناك من أوشك على التخلص منها !!



آخر لقطة لبوتو قبل ثوانٍ من اغتيالها في أبشع جريمة !!

٦- عفاريت في شقة المطربة القتيلة !!



●● وأصبح ما يجرى في شقة ذكرى مصدر هلع ورعب لسكان الحى وفشل الجميع في حل اللغز وكشف الغموض الرهيب، الذي يحيط بالموقف !!

فجر يوم الجمعة ٣٠ نوفمبر من عام ٢٠٠٣ جرى نهر من الدماء فى الشقة رقم ١١٢ بسراى السلطان بشارع محمد مظهر بحى الزمالك .. إنطلقت ٦٩ رصاصة خلال ربع ساعة من مدفع رشاش أمسك به رجل الأعمال "أيمن السويدى" وصوبه تجاه زوجته المطربة التونسية "ذكرى" ومدير الأعمال "عمرو الخولى" وزوجة مدير الأعمال "خديجة" .. وبعد المذبحة البشعة أمسك رجل الأعمال بمسدسه وصوب الفوهة إلى فمه وأطلق على نفسه رصاصة واحدة وانتحر.

وبعد ٢٠ شهرا من وقوع المذبحة الدامية عادت الجريمة لتطفو على سطح الأحداث من جديد.. وكانت هذه المرة من خلال بلاغ تقدم به "محمد" شقيق "أيمن السويدى" إلى نيابة قصر النيل طلب فيه الإذن بفتح الشقة مسرح الجريمة بعد إغلاقها بالشمع الأحمر بعد أن أخبره رجال الحراسة بسراى السلطان بأن هناك أصوات غريبة تنبعث من الشقة .. كما أنهم لاحظوا شباك غرفة النوم انفتح فجأة !

بالإضافة لمشاهدتهم أحجاراً صغيرة تتطاير من الشقة كل ليلة!..وكيل النائب العام سمح بفتح مسرح الجريمة .. وتوجهت قوة من رجال مباحث قصر النيل إلى الشقة .. وهناك تلقوا أكثر من طلب من حراس العقار وعدد من الجيران بضرورة تشغيل الراديو على إذاعة القرآن الكريم لأن الشقة أصبحت مسكونة!

تعالوا نتعرف على حقيقة ما يجرى كل ليلة داخل شقة شهدت مصرع أربعة أشخاص وظلت مغلقة ومهجورة منذ وقوع الجريمة .

ضابط مباحث بقسم شرطة قصر النيل قال:دخلت شقة "ذكرى" و"أيمن السويدى" أكثر من مرة عقب وقوع الجريمة.. وتجولت فى كل أرجاء المكان وقتها

بلا خوف رغم مشاهدتى للجثث الأربعة ضحايا الحادث فطبيعة عملى وكثرة مشاهداتى لجرائم مماثلة أزالت عنى رهبة النظر لجثث الموتى .. ولكن هذه المرة عندما وصلنا وزملائى بقرار وكيل النائب العام بفتح الشقة مسرح الجريمة بعد البلاغ الذى تقدم به شقيق "أيمن السويدى" انتابنى إحساس غريب وشعرت بقليل من الخوف لم أكن أعلم سببه.

ويضيف ضابط المباحث قائلا:فى الحادية عشرة ظهرا توقفت سيارة "البوكس" أمام سراى السلطان بشارع حسن مظهر بالزمالك .. نزلت مع زملائى الضباط والقوة المرافقة لنا ودخلنا إلى العقار حيث كان فى انتظارنا "محمد" شقيق "أيمن السويدى" وكان يقف مع الحراسة الخاصة المكلفين بحراسة سراى السلطان وراح يستمع منهم حكايات غريبة تحدث داخل شقة شقيقه كل ليلة.

إحدى الحكايات التى سمعتها منهم كانت تقول إن مصعد العقار كلما أعلنت الساعة عن تمام الخامسة فجرا وهو نفس موعد ارتكاب الجريمة يتوقف عند الطابق الثانى .. نفس الطابق الذى توجد فيه شقة "ذكرى" و"أيمن السويدى".. وهو طابق ليس به أى من الشقق الأخرى .. فمن الذى يستدعى المصعد يصمت ضابط المباحث للحظات ثم يكمل قائلا:حكاية أخرى أشد غرابة سمعتها من حارس العقار أثناء وقوفنا فى مدخل سراى السلطان فى تلك اللحظات وكانت تؤكد سماع أصوات شجار تصدر من داخل الشقة عند منتصف كل ليلة وبعدها تنطلق صرخات أشبه بصرخات "القطط" فى العراك لمدة خمس دقائق فقط.. هذه الأصوات يسمعها حراس العقار الذين يتولون وردية الليل من الثامنة مساء وحتى الثامنة صباحا.

ويستطرد ضابط المباحث ويقول: المهم.. فى ذلك اليوم صعدنا إلى شقة "ذكرى" و"أيمن السويدى" من خلال مصعد العقار والذى توقف بنا فى الطابق الثانى وبدأنا فى فض الشمع الأحمر من على باب الشقة بناء على قرار وكيل النائب

العام .. ودخلت إلى الشقة مع القوة المرافقة لنا تلاحقنا رجاءات حراس العقار بضرورة فتح راديو بالشقة على إذاعة القرآن الكريم لأن الشقة يحدث بها أشياء غريبة ومخيفة.

بمجرد دخولى إلى مسرح الجريمة اكتشفت أن المكان لم يتم تنظيفه من آثار الدماء منذ يوم وقوع الحادث.. كانت دماء الضحايا تلطخ جدران الصالة وأرض المكان والأثاث.. وبدأ شريط ذكريات يمر فى خيالى عندما دخلت هذه الشقة لأول مرة عقب وقوع الجريمة.. هنا على هذه الأريكة شاهدت المطربة الراحلة "ذكرى" ترقد وهى ترتدى "ترنج" أبيض اللون جثة هامدة والدماء تغطى كل جسدها وهى تحتضن "مخدة" صغيرة اخترقتها عدة طلقات .. الآن الأريكة ليس عليها جثة "ذكرى" ولكن رائحة الدماء والموت ما زالت تملأ أرجاء المكان.

ويكمل ضابط المباحث قائلا :قدومنا إلى مكان الحادث كان هدفه الاطمئنان على ما بالشقة من أشياء ثمينة خاصة وأن هناك شباكاً انفتح فجأة ذات يوم بلا سبب وهو شباك غرفة نوم "ذكرى".. وبالفعل انطلق "محمد" شقيق رجل الأعمال "أيمن السويدى" يجوب كل أرجاء الشقة مع أفراد القوة المرافقة لنا للاطمئنان على منقولات الشقة والأشياء الثمينة بها من تحف وأثاث .. وكانت المفاجأة أنه اكتشف عدم ضياع أى شىء من الشقة!

إذن.. شباك غرفة نوم "ذكرى" لم يفتحه لص كما كنا نعتقد أو نتصور .. فمن الذى فتح الشباك فجأة؟ .. هذا السؤال لم نعثر له على إجابة خاصة وأننى قمت بمعاينة الشباك جيدا ولم يكن به أى آثار لفتحه من خارج الشقة.. بمعنى آخر الشباك انفتح من داخل الشقة!

حارس أمن من الحارسين المكلفين بحراسة سراى السلطان فى وردية الليل قال: ذات ليلة.. سمعت بأذنَىَّ أصوات "عراك قطط" تنطلق من الطابق الثانى.. نظرت لزميلى الذى يشاركنى الوردية فى رعب وبسرعة تحولت نظراتنا إلى مصعد العقار

لنكتشف انه متوقف فى الطابق الثانى الذى لا يشغله سوى شقة "ذكرى" و"أيمن السويدى" .. وتساءلنا من الذى استدعى المصعد لهذا الطابق؟ ولم نعثر على إجابة لهذا السؤال.

ويستطرد حارس العقار قائلا:لم تمض ثوانٍ حتى سمعت أنا وزميلى أصوات غريبة لم ننجح فى تفسيرها ولم نعرف سوى أن مصدرها الطابق الثانى.. دب الرعب فى قلبينا .. وزاد خوفنا عندما سمعنا صوت ارتطام ضعيف يأتينا من خارج باب العقار .. غادرنا العقار مهرولين من الفزع المصحوب بالقلق فى أن يكون هناك لص يحاول دخول العقار .. خرجت مع زميلى إلى الشارع فلم نجد شيئا .. قررنا العودة إلى أماكننا داخل العمارة ولكن قبل أن ندخل من باب سراى السلطان رفعت رأسى لأعلى إلى الطابق الثانى لأكتشف أن شباك غرفة نوم "ذكرى" مفتوح وأحجار صغيرة تتطاير منه!

بعد هذه الواقعة الغريبة .. أبلغت شقيق رجل الأعمال "أيمن السويدى" بضرورة فتح الشقة وقراءة القرآن بها لأنها أصبحت مسكونة..

قاطعت حارس الأمن بسؤال: وهل اشتكى سكان العقار مما يجرى فى شقة "ذكرى"؟

وأجاب الحارس قائلا:أغلب سكان سراى السلطان من الأجانب .. ولكن البعض بالفعل شكى لرئيس اتحاد الملاك من سماعهم لأصوات غريبة من بعد منتصف الليل وعند الفجر تأتيهم من الطابق الثانى.. وكان رده على شكواهم بأن تلك الأصوات الغريبة التى يسمعونها ربما تكون صادرة من طابق آخر بالعمارة حتى يهدأ من روعهم .. ولكن الحقيقة المؤكدة التى لا تقبل الشك والتى رأيتها بعينى .. تؤكد أن هناك أشياء غريبة تحدث داخل الشقة رقم ١١٢ من عمارة سراى السلطان كل ليلة!

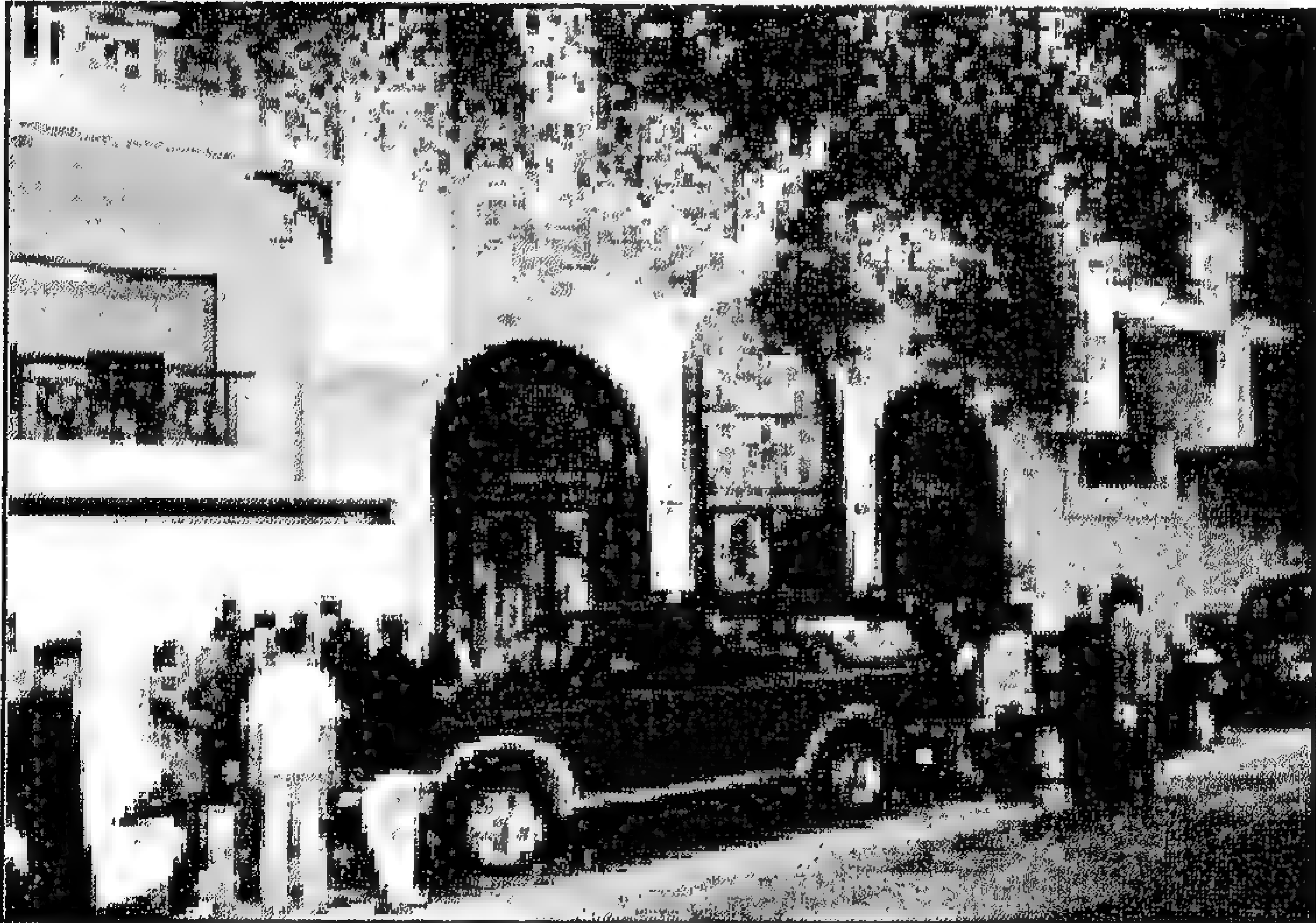




المطربة القتيلة كما عثر عليها عقب الجريمة في شقتها بالقاهرة وفي نفس المكان ظهرت الأشباح الغامضة !!



وأثناء نقل الجثة إلى المستشفى مدرجة في جراحها
وقد لفظت أنفاسها الأخيرة !!



سكان الحى أسفل منزل القتيلة بعد استدعاء الشرطة
لكشف سر العفاريت والأشباح !!

٧- أبو نضال .. مات منتحراً

أم انتحروه في بغداد !!



●●ولم يبتلع أحد تأكيد مسئولي صدام على أن الرجل انتحر، فقد كانت الشواهد تقول غير ذلك !!

فجأة ودون سابق إنذار، خرج رئيس مخابرات الرئيس العراقي صدام حسين إلى العالم في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من شهر أغسطس عام ٢٠٠٢، ليعلن في مؤتمر صحفي – بطريقة مسرحية – أن صبري البنا " أبو نضال " انتحر بعد أن توجه رجال أمن عراقيون لمنزله في بغداد للقبض عليه !!

وصرح طاهر جليل الحبوش رئيس جهاز المخابرات العراقي في مؤتمره الصحفي بأن رجال الأمن العراقيين كانوا يهمون بإلقاء القبض على أبو نضال لاستجوابه، ومحاكمته بتهمة دخول العراق بصورة غير مشروعة، عندما وضع مسدساً في فمه وأطلق الرصاص !!

وعرض الحبوش صورا لجثة أبو نضال وهي ملطخة بالدم وجوازات سفر وبطاقات هوية مزورة وصورا لمجموعة أسلحة قال إنها ضبطت في منزل أبو نضال منها بنادق ومسدسات مزودة بكاتم للصوت وثماني حقائب بها متفجرات !!

وأضاف أن رجال الأمن اكتشفوا أيضا رسائل مشفرة في المنزل تظهر أن أبو نضال كان يتلقى أموالاً من دولة لم يذكر اسمها !!

وأبو نضال أحد أبرز الشخصيات المطلوب القبض عليها في العالم. وتنسب إلى حركة فتح " المجلس الثوري" التي يتزعمها المسؤولية عن هجمات وقعت في ٢٢ بلداً وسقط فيها مئات القتلى والجرحى. ووقعت معظم هذه الهجمات في السبعينيات والثمانينيات.

هذا هو ما قاله رئيس مخابرات صدام – آنذاك – ولكن ما قاله كان من الصعب على أي شخص لديه ولو قدر بسيط من الذكاء أن يبتلعه، أو يصدقه، حتى أن الإعلان العراقي كان بالنسبة لبعض المعلقين والمراقبين والمحللين السياسيين أشبه بـ " نكتة " !!

فقد دخل أبو نضال عراق صدام " الأرض الحرام " وأقنع نفسه بالتعايش مع ألغامها فانفجر عليه لغم موقوت في غفلة، وقد يكون وصف أبي نضال بـ " البندقية المستأجَرة " هو أفضل وصف لـ " الثورجي " الفلسطيني الراحل صبري البنا أو "أبو نضال" الذي عاش حياة يحيطها الغموض، ومات ميتة تكتنفها الأسرار.

فبعد أن تنقل طوال خمس وثلاثين سنة بين لبنان والعراق وايران والكويت وليبيا ومصر وسوريا والسودان كان لديه في كل بلد أصدقاء وأعداء. واجه البنا سلسلة انشقاقات في تنظيمه لم تكن دوافعها ذات صلة بالمبادئ بل كانت على الدوام ذات صلة بالغنائم والأموال التي يحصل عليها التنظيم حتى انقلب عليه أقاربه ورفاق دربه القدامى وكشفوا بعض أسراره.

وطوال ثلاثة عقود ونصف العقد اكتشف العالم أن صبري البنا (مناضل فلسطيني) ينشط ضد الجميع ما عدا إسرائيل، فقد أصبح أشهر بندقية مستأجرة، لكنه لن يكون آخرها فالبنادق المستأجرة مبذولة في بلاد العرب وما يحيطها من بلدان لكن هؤلاء أصغر حجما وشهرةً من (أبو نضال).

وتعكس حياة (أبو نضال) وتصرفاته صفة الابتزاز التي طبعت مرحلة السبعينيات من القرن العشرين فيما كان يستهدف شخصيات وحكومات إما استجابة لعطاء قدم إليه أو أتاوات يريد أخذها من الآخرين وكان يبتز الحكومات مثلما يبتز كل رجل يعتقد أن لديه مالاً يمكن أن يدفعه الخوف لكي يدفع للقاتل المحترف.

ومن مفارقات التاريخ أن الشخص الذي أعلن عن انتحار (أبو نضال) كان طارق عزيز المسؤول العراقي البارز الذي كان أحد اثنين بدءَا العلاقة السرية العراقية معه، أما الشخص الثاني فكان سعدون شاكر رئيس المخابرات العراقي الأسبق.

ربما نحره رفاقه العراقيون القدامى.. أو أنهم دفعوه إلى الانتحار بعد أن اكتشفوا أن البندقية التي طالما استأجروها واستخدموها للعمل ضد خصومهم يمكن أن تستأخر من خصومهم للعمل ضدهم.

أوهم الجميع بأنه المنقذ ساعة الضيق.. وكان يعمل وفق نظرية الناجي الوحيد. دخل الأرض الحرام وأقنع نفسه بالتعايش مع ألغامها حين ضاقت الأرض.. فانفجر لغم موقوت في لحظة .. ثمة ارتياح خفي في جميع العواصم العربية من رحيل (أبو نضال)، ذلك الشخص الذي أوهم عرباً كثيرين بأهميته وسطوته وهيمنته على المفاتيح السرية لحركة المنظمات الفلسطينية وملفاتها المتداخلة ذات الطابع الشخصي والمخابراتي والصفقاتي..حتي غدا اسم (أبو نضال) حلقة بين سلسلة من حلقات تأخذ أشكالاً مختلفة ومتلونة تبعاً للأماكن التي توضع فيها، فأصبح الشخص المسؤول من دون مسؤولية والقائد من دون رعية والحامل لشعارات أكبر من حجمه من دون أن يكون لها سند في أرض الواقع.. ووظف جميع ما حصل عليه من صداقات وعداوات فلسطينية- عربية وإقليمية ودولية في إدامة عجلة الصفقات التي ظلت تشتعل بكثافة طوال سنوات مظلمة وكابوسية مرّ بها العرب في رحلات صراعاتهم الداخلية وأزماتهم الخارجية.. فأراد أبو نضال أن يكون ذلك المطلوب لأهميته في كل ساعة لدي العرب الموهومين بتلك الأهمية أو الذين يعرفون حجمه حقيقة لكنهم كانوا ماضين معه في اللعبة حتى نهايتها.. ويبدو أنها مضت حتي نهايته هو شخصيًّا.

سعى أبو نضال ان يكون الناجي الوحيد حين تنقلب المراكب بأحمالها في البحار وظل يسوّق نفسه في الكواليس على أنه المنقذ في ساعة الأزمات والمنسق السري في حالة الاضطراب العلني للأمور.. عاملاً في الوقت ذاته على تغطية غايته الأساسية في كل المغامرات والصفقات والألعاب التي اشترك فيها.. وهي النجاة منفرداً وتسهيل إغراق الجميع وإيهام الغرقي بأنهم ضحايا لأناس آخرين سيجدون أنفسهم أيضاً ضحايا مؤكدين..لكنه كان ضحية سهلة منذ أن ضاقت الأرض به، وأصبح في كل شبر منها هناك من يتربص له ليصفي صفحة سوّدها (أبو نضال) ذات يوم بسخام بندقيته المؤجرة..

دخل أبو نضال الأرض المحرمة وبقي في مربع القتل زمناً طويلاً.. كان كمقتول لكنه لم يحن موعد إعلان مقتله.. وقد حان الآن وأعلن.

ولد صبري البنا المعروف بـ (أبو نضال) في المدينة الفلسطينية الساحلية (يافا) وكان والده من التجار المعروفين في هذه المدينة، وفي إحدي رحلاته الاستجمامية إلى لواء الاسكندرونة تعرف خليل على والدة صبري وتزوج منها وكان زواجه مرفوضاً من العائلة المعروفة بنسبها واتهموا والدة صبري بأنها كانت تعمل راقصة في أحد ملاهي الإسكندرونة، وهكذا عاش صبري البنا منبوذاً من العائلة، وعاش حياة قاسية .

لا يعرف الانتماء الحقيقي لأبيه أو لأمه. وتلقى تعليمه المتوسط وغادر إلى السعودية ليعمل بها وكان يشرف على بعض العمال هناك وقد استطاع أن يدير عمله بشكل جيد لما يمتلكه من عقلية تنظيمية وحسن إدارة. وتزوج من هيام البيطار وله منها بنتان وولد سماه نضال.

وفي بداية الستينيات استطاع أبو نضال أن يبدأ حياته السياسية، مع حزب البعث، وكان من النشطين في الحزب وكانت له آراؤه المستقلة وعقليته المتمردة، ومثله مثل بقية الشباب الفلسطيني أخذ يبحث من خلال انتمائه الحزبي عن دور له ولحزبه في عملية الصراع العربي ــــ الإسرائيلي، وهنا بدأ نشاطه السياسي في الخليج مع بعض الشباب الوطني إلى حين أن انطلقت حركة فتح، لينخرط في صفوفها، إلا أنه سرعان ما اعتقل وتم إبعاده إلى لبنان ومنها عاد إلى الأردن.

وهناك بدأ عمله في حركة فتح وأخذ بتأسيس الخلايا للعمل وكان يمتلك عقلية أمنية متقدمة بعد أن عمل مع صلاح خلف أبو أياد وتم تأسيس أول جهاز أمن للثورة الفلسطينية الذي عرف باسم (الرصد الثوري).

وبعد أحداث أيلول عُين أبو نضال ممثلا للحركة في السودان، ومن خلال علاقاته السابقة ومعرفته بأعضاء حزب البعث استطاع أبو نضال أن يقيم علاقات واسعة

في السودان، وكان له نشاط ملحوظ أخاف رفاقه قبل أعدائه، وعليه تم إرساله إلى العراق معقل حزب البعث حيث كانت ثورة تموز العراقية ما زالت فتية، ومن هذه الأرضية أيضا استطاع أبو نضال أن يكسب العديد من العلاقات ولقي بدوره اهتماماً مميزاً من الحكومة العراقية.

وكان للعراق حساباته في لعب دور مهم على الساحة الفلسطينية ووسيلة للانتشار العربي وتمكن حزب البعث من لعب دور قومي من خلال القضية الفلسطينية. أرادت الحكومة العراقية أن يكون لها نصيب في تركيبة حركة فتح الحركة الجماهيرية الواسعة الممتدة على طول الوطن العربي، ومن خلال عملية الصراع الداخلية والخارجية تقدم اسم أبو نضال الصفوف، ليكون اسما معروفا لدي العديد من دول الوطن العربي والعالم أيضا حيث حظي بلقاء الزعيم الراحل جمال عبد الناصر، كما قام بزيارة مهمة لدولة الصين الشعبية ومنح مساعدات سخية منها، وهي عبارة عن سفينة تحمل شحنة عسكرية كاملة، إلا أن الحكومة العراقية وضعت يدها عليها إلى عام ١٩٧٣ خلال حرب تشرين، حيث تم تسليمها لأبو نضال بعد أن أقام معسكرا في مدينة هيت العراقية على ضفاف نهر الفرات بالقرب من مدينة الرمادي، وهناك استطاع أبو نضال أن يدرب ويسلح أعضاء تنظيم حركة فتح في العراق لينطلق من خلالهم إلى أرجاء العالم.

كان لأبو نضال آراء خاصة به ووجهة نظر مستقلة من كل الأحداث التي دارت بعد حرب تشرين وأخذ يعمل على هذا الأساس... وله طموح بالاستقلالية عن حركة فتح الأم، وأخذ يلتقي بأعضاء المجلس الثوري في حركة فتح ونجح في استمالة بعضهم، ليشكل تنظيماً جديداً أطلق عليه حركة فتح الخط الصحيح . وهنا اتهم اللجنة المركزية بالخيانة ومحاولتها دخول لعبة التسوية.. وبدأ الصراع لتعلن حركة فتح اللجنة المركزية حكماً بالإعدام على أبو نضال، وهنا تمرد أبو نضال على قيادته ليتحول الصراع من سياسي إلى عسكري ويقوم بعمليات عدة اغتيال لقادة منهم على ياسين ونعيم خضر وعز الدين القلق وسعيد حمامة وغيرهم. وفي عام ١٩٧٨

وبعد لقائه ناجي علوش تم تأسيس حركة فتح المجلس الثوري ولا يزال التنظيم معروفاً بهذا الاسم لغاية الآن.

أبو نضال الذي تجاوز الخامسة والستين من عمره هذه الشخصية الغامضة والتي أقلقت العديد من عواصم العالم قيل عنه بندقية للإيجار أو أنه يقود حركة تصحيحية داخل حركة فتح، وقالوا إنه رجل سياسي محنك حافظ دائما على علاقات مع ألد أعدائه،وقيل عنه رجل أمن من الطراز الأول استطاع أن يبني تنظيماً عقائدياً متماسكاً من النخبة... فماذا حصل له وكيف جرت فيه الأمور.

في شهر تموز من عام ١٩٩٨ اقترب رجلان من المخابرات المصرية من أبو نضال وهو يخرج من منزله في مصر الجديدة وقالا له نرجو من حضرتك أن تتشرف معنا فهناك ما يشكل خطرا على حياتك. وبكل هدوء ذهب أبو نضال معهم إلى مقر خاص للمخابرات المصرية ليطلعوه على ما توافر لديهم من معلومات حول ما حدث في مقره السري في القاهرة بعد أن نشب خلاف حاد بين أبو نضال وأقرب رجاله الذين في يوم من الايام كانوا هم من خيرة رجاله. لماذا انقلبوا عليه وماذا حدث في الثاني من يوليو عام ١٩٩٨؟

وفي نهاية حزيران (يونيو) من عام ١٩٩٨ دعا أبو نضال لاجتماع للجنة المركزية في القاهرة التي كان يقيم فيها منذ عام ١٩٩٦ هذا الاجتماع الذي أخذ منحي آخر في حياة ومستقبل هذا التنظيم حيث طرح أبو نضال على هامش الاجتماع قضية إعدام أحد أعضاء اللجنة المركزية المسمي هشام حرب وطرد عضوين آخريين هما زكريا إبراهيم وجمال فهمي لكن أعضاء اللجنة المركزية لم يوافقوا على ما تقدم وطالبوا أبو نضال أن يكون على جدول الاعمال كل ما آلت إليه أوضاع الحركة في السنوات الأخيرة ودار سجال حاد حول هذا الموضوع ولم يخرج المجتمعون بنتيجة. وطرح موضوع الثمانية ملايين دولار التي افرج عنها أحد البنوك السويسرية بعد تهديد ووعيد من أبو نضال للسلطات السويسرية وكان هذا المبلغ مسجلاً باسم

إحدى بناته المتزوجات من رجل يوغسلافي الجنسية بوسني الأصل وحصل خلاف حول تقسيم هذا المبلغ الذي أصر أبو نضال أن يأخذ النصف وأعضاء التنظيم النصف الآخر.وتفاقم الأمر إلى أن قام عضوان من أعضاء اللجنة المركزية بسرقة الأسلحة الموجودة في مقر أبو نضال ليتسنى لهم محاورته وإجباره على النقاش الديمقراطي دون استخدام العنف وكان شعارهم في النقاش (كفانا دماء) إلا أن المعركة كانت أوسع من الخلافات الدائرة بينهم والنيات المبيتة من الطرفين كلٌّ تجاه الآخر.

وكل كان يطرح قضيته الخاصة بعيدة عن أي التزام عقائدي أو مهني. ولم تكن الخلافات التي وقعت في القاهرة إلا القشة التي قسمت ظهر البعير فهذه الخلافات كانت متراكمة منذ أن بدأ العد العكسي في هذا التنيظم الذي أخذ يتحول بعد عام ١٩٩٢ إلى جهاز عاطل عن العمل وأصبح أعضاؤه يتساءلون التنظيم إلى أين؟ وما هو الدور الفعلي لهذا التنظيم بعد تقلص دوره في العديد من الاقطار أو العواصم العربية وحلفاء الأمس تحولوا إلى أعداء والعكس صحيح؟

وعلى الرغم من أن أبو نضال طرح في تلك المرحلة بعد عام ١٩٩٢ مرحلة الإنقاذ الوطني حسب ما أطلق عليها وغيّر في تركيبة وهيكلية العديد من الدوائر والبنيان التنظيمي وشكل محاكمة لكل الذين اتهمهم بالتقصير أو عدم تأدية دورهم بشكل فعلي، إلى أن أصبحت تلك محاكمة لأبو نضال نفسه ولأسلوبه في العمل. وخرجت نتائج التحقيق تصفع الجميع في هذا التنظيم. وذلك أن التنظيم لم يكن بمستوي السلوك أو الممارسة أو الفكر الذي كان يطرحه، وأتت قرارات أبو نضال تباعا متناقضة غير مدروسة وأحيانا عشوائية ليرجع ويعيد صياغتها من جديد والكل في قيادة أبو نضال يتهكمون على بعض القرارات ويقولون (لننتظر غدا تأتي قرارات غير التي أتت اليوم) وهكذا أصبحت النتيجة ما حدث في القاهرة.

أما الوضع الاقتصادي للتنظيم فقد كان المشجب الذي يعلق أبو نضال عليه كل الإخفاقات وكان دائما يحمل الآخرين سبب هذه الخسائر كما كان يحلو له أن يسميها وكانت الأموال تبدد في كل اتجاه والانهيار التنظيمي يتفاقم بشكل مستمر ولم يعد ينظر إلى هذا بكل جدية سوي سعيه إلى الانتقام من الآخرين وأخذته العزة بالإثم.

اما هذه القلعة التي فقدت كل مقومات وجودها بعد أن فقدت كل أبراجها فقد بدت سفينة بلا دفة وراح أعضاء التنظيم كل يبحث عن لقمة عيشه وتأمين مستقبل أطفاله بعد أن أدركوا تماما أن لامناص من هذا العناء وهذا الجهد الذي لا يأتي منه سوي الدمار والقتل.

أحرج المصريين كثيرا ووقع هذا الحدث عندما كانت مصر تسعي لعقد مؤتمر دولي لمناهضة الإرهاب ولملمة جراحها وبعد أن تعرضت لضربات عدة أثرت بشكل كبير على السياحة التي تعتبر من أهم مقومات الاقتصاد المصري وما كان للمصريين إلا نفي ما تردد حول أبو نضال ووجوده في مصر.وعندما سئل المصريون قالوا إن هذه الجماعة تتحرك بوثائق سفر مزورة ومن الصعب متابعتهم أو كشف حقيقتهم. وبعد أن هدأت العاصفة طلب أبو نضال مغادرة مصر دون عودة والبدء بانهيار الوضع التنظيمي في مصر.

ضربة أخرى لهذا التنظيم بعد أن اتيحت له الفرصة أن يجد القاعدة للتحرك والانطلاق. سعى أبو نضال حثيثا إلى تدمير كل هذا ونيته المبيتة. وخرج من مصر إلى بغداد عبر طهران بعد أن تم ترتيب ذلك مع كل من الإيرانيين والعراقيين كلا على انفراد واستقبله على الحدود العراقية قريبه معن أدهم وقد رافقه في هذه الرحلة أحد رجالاته، والذي طرده أبو نضال من الفندق في طهران بعد أن اعطاه مبلغ ١٠ آلاف دولار.

أما باقي أعضاء اللجنة المركزية الذين خرجوا عن تنظيم أبو نضال فقد توجهوا جميعا إلى أراضي السلطة الفلسطينية ولم يبقى مع أبو نضال إلا من تاهت به السبل، ولم يستطع الحصول على وثيقة أو جواز سفر أردني أو حتى المال الكافي لرحلة العودة.

وهنا عاد أبو نضال ليتهم المصريين وآخرين بأنهم اجبروا أعضاءه على الدخول إلى أراضي السلطة وشرح ذلك برسالة أرسلها إلى الرئيس المصري حسني مبارك ليزيد من إحراج المصريين أولا وليبرر ما فعله في مصر قالبا الحقائق على رأسها. وبعد اطلاعهم على هذه الرسالة كانت ردة فعل المصريين الأولى (أن أبو نضال هو الذي يتحمل مسؤولية ما حدث) وأن الذين خرجوا إلى الأراضي الفلسطينية لا غبار عليهم طيلة حياتهم في التنظيم. ومنهم وصفي حدون وزكريا إبراهيم ومنير أحمد وغيرهم.

وفي ما يلي نص الرسالة التي حصلنا على نسخة منها:

السيد الرئيس محمد حسني مبارك حفظه الله:

تحية العروبة والإسلام

يطيب لي أن اتقدم باسمي ورفاق اللجنة التنفيذية وباسم كوادر وأعضاء حركة فتح - المجلس الثوري مهنئا إياكم بالثقة العالية التي عبر عنها نجاحكم بالاستفتاء الشعبي لولاية رابعة من رئاستكم لجمهورية مصر العربية الشقيقة.

راجين لكم موفور الصحة والتوفيق ولأهلنا في مصر المزيد من التقدم والازدهار. لقد شهدت مصر في عهدكم الكثير من الانجازات والتحولات الإيجابية ورغم التركة الثقيلة التي تصديتم لمعالجتها وتجاوز تبعاتها.وعلي الرغم من دقة وخطورة المرحلة التاريخية التي تعيشها أمتنا العربية، ويواجه مصر وتتحمل عبئا كبيرا من مسؤوليات النهوض بالواقع العربي الذي يرزح تحت تأثيرها لذلك نحن ندرك حجم التعقيدات والأخطار الراهنة. نرى ما تمليه طبيعة هذه المرحلة من تحديات تواجهها القوى القومية وانطلاقا من واقعنا كمناضلين عرب نحمل قضايا الأمة هما دائما لنا. وقضية فلسطين في طليعتها. وكان وسيبقي خيارنا الثابت بالتوجه نحو مصر من أجل أن تسترد دورها ومكانتها في حياة الأمة، بل إن هذه الرابطة العضوية بين قوة

أهل فلسطين ومصر ستبـقى ضرورة وركيزة لصيانه الأمن القومي الأمة فوق كل الاعتبارات السياسية الأنية والعثرات العارضة؟

السيد الرئيس

لقد لجأنا مضطرين إلى المخاطبة المباشرة لسيادتكم بهذه الرسالة بعد أن أغلقت (القناة المعنية) بالعلاقة مع الحركة وسائل الاتصال بها، عقب قيامها بإغلاق مكتب حركتنا في أيلول الماضي. وللأسف فقد رفضت استلام رسالة سابقة موجهة إليكم بحجة الانشغال وظروف التحضير للاستفتاء.

وأمام ما أصابنا من الأضرار، وبعد أن استنفدنا السبل لتصحيح وضع العلاقة، وجدنا لزاما علينا اللجوء إليكم لأننا نثق بالرئيس الذي تعلمنا منه رفض الغدر والتآمر والخيانة، ولنعرض بعض وقائع الأزمة التي مرت بها العلاقة مع الهيئة المعنية.

أن الخطوة الأخيرة التي أقدمت عليها القناة المعنية، بإغلاق مكتب الحركة واعتقال عدد من الرفاق قد مثلت الذروة في سلسلة الإجراءات المتصاعدة منذ ما جري مساء ٨ تموز (يوليو) عام ١٩٩٨، تلك الاجراءات التي مورست بوسائل لم نرها ضرورية أو مبررة. آنذاك تمت مداهمة مكتب الحركة وعدد من البيوت، واستولت على موجوداتها، وقامت باحتجاز عدد من الرفاق ونجحت في حمأة هذه الإجراءات في تجنيد العضو السابق في الحركة المدعو أحمد الحلبي ثم بدأت بالإفراج عن الرفاق تباعا ثم أعيد فتح المكتب من دون الإيفاء بالتعهدات التي قطعت ومن بينها إعادة الوثائق والملفات ومن بينها عدم التدخل في مسار القضايا المالية المرفوعة للقضاء المصري بعد أن جمدت أرصدة الحركة البالغة أربعة ملايين دولار.

وعلى مدار الفترة الفاصلة بين يوليو ١٩٩٨ وسبتمبر ١٩٩٩ وفيما عملنا بكل ما اوتينا من الصبر والحكمة لتجاوز الأزمة وذيولها تم رصد الممارسات التالية:

- شنت حملة صحفية مستعينة بصحفيين موظفين لديها ولدي امن الدولة

نعرفهم جيدا، مما فتح الباب لحرب نفسية تعرضت لها الحركة وعلاقتها بمصر من قبل الدوائر المعادية واستغلت أبواق إعلامية ليس لها عد أولها في تل أبيب ولا آخرها في البيت الأبيض. ومسجل في هذا المقام لكم وللدبلوماسية المصرية كل الشكر والتقدير.

- قدمت هذه القناة التسهيلات لإيصال خمسة من الرفاق إلى معتقل غزة.كما جري التنسيق مع أجهزة عربية لإطباق الحصار على الحركة وشرذمتها، وعملت على تجنيد اثنين من الرفاق تحت ضغط الظرف الاستثنائي، والاختناق المالي الذي نجم عن قيام أحمد الحلبي بسحب كل رصيد الساحة وقدرة سبعون ألف دولار عبر إحدي العواصم العربية ثم قامت بسحب مبلغ مقداره ثلاثمائة وخمسة وخمسون ألف جنيه مصري مسجلة باسم احسان صالح رضوان خاصة بنفقات مكتب الحركة في القاهرة ثم قامت بارساله على الفور إلى معتقل غزة وهو يقيم الآن في رام الله وقد نجم عن هذا الحصار وضع بعض الرفاق تحت الأمر الواقع وترحيلهم لمعتقل غزة كما جري الإستيلاء على شقة ملك وسيارة في القاهرة يوجد بها وكالة تنازل رسمية من قبل أحمد الحلبي تم سحبها من قبل القناه المعنية.

- أما الخاتمة الأخيرة لهذا المسلسل فقد كان إغلاق المكتب وإغلاق وسائل الاتصال وتجنيد رفيقين واعتقال الرفاق بالتزامن مع موعد الإفراج عن الأموال المحتجزة وترحيل ثلاثة من الرفاق المعنيين بتمثيل الحركة ورعاية مصالحها. وهكذا كان رفض استلام رسالتكم المغلقة أخيرا ورغم تاكيداتنا بهم قبل قطع الاتصال بان الحقيقة مهما حاولنا إخفاءها ستظهر بعد حين، وأن ما جري ما كان ليجري إلا بعيدا عن سمع الرئيس ومعاونيه.. لماذا؟

- لأننا يا سيادة الرئيس نعيش هذه الثقة الراسخة ومستندين إلى أن هذه العلاقة مع حركتنا قد أنشئت بإرادتكم والتي أسهم بانشائها المجاهد اللواء عبد السلام المحجوب الذي جمعتنا إليه زمالة نضالية منذ ما يزيد عن ثلاثين عاما. لقد نشأت

هذه العلاقة النقية بالتضحيات المشتركة بين عشرات الضباط المجاهدين من أبناء الجيش المصري الأبي وقوي أهل فلسطين ومناضليها وقد تبلغنا على لسان سيادتكم وبواسطة اللواء المحجوب أن (مصر بلدكم فتحركوا بها من دون أن تحرجونا).. وبعد فإننا لا نرغب أن نثقل ونطيل في سرد هذه الوقائع والمعطيات التي نقف أمامها بغاية الاستغراب، نجد أن الكثير من التساؤلات تمثل أمامنا، فإذا توقفنا أمام مجريات ونشاطات مكتب الأمن الوقائي بقيادة محمد دحلان في القاهرة، إذ تبين بعد افتتاحه بشهرين أنه أخذ في اجتذاب وتجنيد عدد من أبناء الوزراء وكبار الضباط، وكلنا يدرك أن إدارة عرفات قد ذهبت وانخرطت في مخطط تصفية العرب في فلسطين وسلمت لشروط مخطط التهويد ضمن منهج واضح بأدق التفاصيل فقد كان موقفكم المشرف بسؤال عرفات ما هي الدوافع والأسباب ولمصلحة من)؟ إن الاجابة لا تحتاج إلى عناء البحث.

أما إذا نظرنا في الدائرة العربية فإننا نري أن الإجراءات التي اتخذت من قبل بعضهم ضد حركة حماس تندرج في مخطط تصفية القضية والتضييق على قوي أهل فلسطين ولا غرابة فيما نواجهه على أيدي الحلف اليهودي - الامريكي مدركين ان هذا جزء من الواقع الذي نمر به والذي حول الأقطار العربية إلى جزر متباعدة أمام جماهير الأمة في الوقت الذي تستباح الأرض العربية لكل القوي المعادية تحت عناوين السلام المفروض بقوة العدوان والتجويع كما هي مزاعم العولمة وحقوق الإنسان والأقليات المضللة وبيننا جيوش الدبلوماسيين والخبراء الأمريكان يستهلكون جل المساعدات الغير بريئة التي تقدم للدول النامية وتعيث فسادا في بناها الاقتصادية والسياسية.

فقد بلغ عدد الموظفين في السفارة الأمريكية في القاهرة ٣٨٤ وهذا رقم أسطوري بعملية القياس كما بلغ عدد الموظفين الذين يعملون في إطار المعونه الأمريكية المقدمة لمصر ٣٠٦٤ وهو رقم أسطوري يستهلك حجما كبيرا من هذه المعونة إضافة إلى تسعة وثلاثين ألف أمريكي في مصر لا يعلم أحد مهمتهم.

إننا نحن نعيش هذه المسيرة من الصراع مع قوي الحلف المعادي، ويحدونا الأمل والبشر بالموقف الجامع والواسع لجماهير أمتنا في مواجهة التهويد أو التطبيع أو المعادلات الاستراتيجية الجديدة التي يجري العمل لفرضها بكل الوسائل، ونقف أجلالا لصمود أمتنا كما نزجي التحية لأهلنا في أرض الكنانة من خلال سيادتكم وبعد أن قطعت مصر في عهدكم أشواطا مهمة في المجالين العربي والدولي، ومع إدراكنا كما أسلفنا لما تحمله مصر ونحن على ثقة من أن استمرار هذا العهد سيمكن مصر من استرداد درورها الريادي والذي نتطلع لأن يندفع باتجاه تعزيز الموقف الصامد في سوريا ولأن تمد مصر يدها بقوة للعراق إلى جانب تعزيز الروابط القوية بأهل فلسطين، لأن تفتيت هذه الروابط لن يسهم قطعا بتحقيق ما حلمنا به أو توفير ما تقتضيه مسؤولية الدفاع عن الأمن القومي لأمتنا... وبرغم كل الاتفاقيات والمعاهدات المفروضة والتي نحرت المواطن العربي من الوريد إلى الوريد. فإن الصحوة والنهوض لن يبزغ إلا من وسط هذا المخاض العسير والصبر الذي لا يلين.

ختاما لكم منا أسمي التحية والتقدير وأننا لواثقون أن السيد الرئيس لن يسجل على عهده ما حدث، آملين معالجة هذا الأمر ورد الأموال والحقوق لأن الكثير من أسر المجاهدين والمرضى وعشرات العائلات التي تقطعت بها السبيل بالانتظار.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وثورة حتي النصر

أخوكم أبو نضال

أمين سر اللجنة المركزية لـ:

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

المجلس الثوري

التاريخ ٢ رجب ١٤٢٠

الموافق ١١ /١٠/١٩٩٩

واجه إلبنا سلسلة انشقاقات في تنظيمه لم تكن دوافعها ذات صلة بالمبادئ بل كانت على الدوام ذات صلة بالغنائم والأموال التي يحصل عليها التنظيم حتى انقلب عليه أقاربه ورفاق دربه القدامي وكشفوا بعض أسراره.

دخل الأرض المحرمة واقتنع نفسه بالتعايش مع ألغامها حين ضاقت الأرض.. فانفجر لغم موقوت في لحظة

حتي غدا اسم (أبو نضال) حلقة بين سلسلة من حلقات تأخذ أشكالاً مختلفة ومتلونة تبعاً للأماكن التي توضع فيها، فأصبح الشخص المسؤول من دون مسؤولية والقائد من دون رعية والحامل لشعارات أكبر من حجمه من دون أن يكون لها سند في أرض الواقع.. ووظف جميع ما حصل عليه من صداقات وعداوات فلسطينية - عربية واقليمية ودولية في إدامة عجلة الصفقات التي ظلت تشتعل بكثافة طوال سنوات مظلمة وكابوسية مرّ بها العرب في رحلات صراعاتهم الداخلية وأزماتهم الخارجية.. فأراد أبو نضال أن يكون ذلك المطلوب لأهميته في كل ساعة لدي العرب الموهومين بتلك الأهمية أو الذين يعرفون حجمه حقيقة لكنهم كانوا ماضين معه في اللعبة حتي نهايتها.. ويبدو أنها مضت حتي نهايته هو شخصياً.

سعي أبو نضال أن يكون الناجي الوحيد حين تنقلب المراكب بأحمالها في البحار وظل يسوّق نفسه في الكواليس على أنه المنقذ في ساعة الأزمات والمنسق السري في حالة الاضطراب العلني للأمور.. عاملاً في الوقت ذاته على تغطية غايته الأساسية في كل المغامرات والصفقات والألعاب التي اشترك فيها.. وهي النجاة منفرداً وتسهيل إغراق الجميع وإيهام الغرقى بأنهم ضحايا لأناس آخرين سيجدون أنفسهم أيضاً ضحايا مؤكدين..

لكنه كان ضحية سهلة منذ أن ضاقت الأرض به، وأصبح في كل شبر منها هناك من يتربص له ليصفي صفحة سوّدها (أبو نضال) ذات يوم بسخام بندقيته المؤجرة..

دخل أبو نضال الأرض الحرام وبقي في مربع القتل زمناً طويلاً.. كان كمقتول لكنه لم يحن موعد إعلان مقتله.. وقد حان الآن وأعلن.

وأنشأ أبو نضال قوات العمل الانتحاري وبدأ بضرب أهدافاً سورية وفلسطينية على حد سواء حيث قام بعملية في دمشق باحتلال فندق وأخذ رهائن كما وجه بندقيته إلى بعض سفارات فلسطين في باكستان كما قام بإرسال مجموعة انتحارية أخرى إلى فندق الكونتننتال في عمان وهنا أخذ أبو نضال يبرز كشخص دموي له قدرة عالية في توجيه بنادقه إلى حيث شاء.

في عام ١٩٧٧ وقع اتفاق كامب ديفيد ودخلت مصر حلبة الصراع فقام أبو نضال باغتيال يوسف السباعي الكاتب المصري المعروف ووزير الإعلام المصري في قبرص وقد شكلت هذه العملية منعطفا خطيرا لما خلفت إليه من ضحايا من الجيش المصري بعد أن قامت قوة كوماندوس مصرية بمحاولة فاشلة لإطلاق سراح الرهائن الذين وقعوا بين أيدي قاتلي السباعي.

وكان أبو نضال مستمرا في حواراته مع المجموعة في لبنان وتم استدعاء ناجي علوش وأبو داوود لإعلان تشكيل حركة فتح المجلس الثوري إلا أن هذا الأمر لم يكتمل فقد أصيب أبو نضال بجلطة حادة في القلب واستغل ناجي علوش هذا الحدث محاولا السيطرة على مقومات التنظيم وكانت الحكومة العراقية في هذه الفترة تعاني من صراعات متعددة لمحاولة صدام حسين استلام زمام الأمور في بغداد وتنحية أحمد حسن البكر عن السلطة وكان لصدام حسين وجهات نظر مختلفة حول أبو نضال فكان يريده أكثر مطواعا وأقل استقلالية لما يخدم مصلحة العراقيين وأبقاء أبو نضال كورقة رابحة في الملف الفلسطيني.

وبدأت الصدامات ما بين أبو نضال والحكومة العراقية بعد أن تعافى أبو نضال من ازمته القلبية واعادة امور تنظيمه إلى نصابها وخروج ناجي علوش بحركة ثورية جديدة واتهم أبو نضال السلطات العراقية بالوقوف إلى جانب ناجي علوش ومده بالأموال والسلاح.

ففي الوقت الذي كان مصنع السلاح الذي أنشأه أبو نضال بمشاركة عراقية أخذ مكانةً لايستهان بها في تصنيع بعض أنواع الاسلحة منها قاذفات آر بي جي ٧ وهاون ٦٠ وبعض الصواريخ الموجهة لاسلكيا واستدعي أبو نضال العديد من الكوادر الفنية الفلسطينية بهذا المصنع حتي أن أبو نضال فكر بمساعدة العراقيين بإنشاء مصنع للسلاح النووي ومن خلال علاقات خاصة لتنظيم أبو نضال في باكستان تم استدعاء عالم نووي باكستاني لمحاورته بإمكانية إنشاء هذا المصنع في بغداد وكانت باكستان في حينها قد عملت على بناء مصنعها النووي إلا أن الأمر لم يستمر بدخول جهات متعددة ومحاولة جهات أخري جمع معلومات عن المفاعل النووي الباكستاني وتم إلقاء القبض على بعضهم في باكستان إلا أن ملفا سريا قد قدم للعراقيين حول تصنيع القنبلة النووية.

وتحولت أفكار أبو نضال إلى العمل العسكري أكثر وأكثر لإثبات وجوده بعد أن بدأ العراقيون بمحاصرته وأخذ يهرب السلاح إلى عواصم العالم مستخدما بغداد كمحطة انطلاق وقام باغتيال كل من نعيم خضر وسعيد حمامي وعز الدين القلق وعلي ياسين.

وفي الفترة نفسها قرر صلاح خلف التخلص من أبو نضال وقام بمحاولة لاغتياله إلا أن المحاولة فشلت وقام أبو نضال بإلقاء القبض على القائمين بها حيث خطط لتفجير مقر أبو نضال بواسطة صهريج مليء بالمتفجرات في مكتبه الكائن في منطقة البتاويين وفي الوقت ذاته حاول شخص بمتابعة أبو نضال في مكتبه الكائن في منطقة الكرادة إلا أن أبو نضال استطاع أن يكشف شخصيته وقام باطلاق النار عليه شخصيا.

وعلي إثر هذه المحاولة قام برزان التكريتي الذي كان يشغل مدير المخابرات العراقية آنـذاك بإرسال سيارة مصفحة لأبـو نضال إلا أن الأخـير رفض تسلم السيارة.

وخرج أبو نضال من العراق وصار يقود التنظيم من بولونيا وكان يتردد على العراق بين الفينة والأخري وأخذ أبو نضال ينشئ موارده الاقتصادية الخاصة من خلال انشاء مؤسسات تجارية ومصانع وتجارة سلاح وغير ذلك وكان له علاقة متميزة مع الرئيس البولوني يارزولسكي في الفترة التي كانت فيها بولونيا مثقلة بالاضطرابات والمشاكل السياسية التي نشأت منذ حركة التضامن بقيادة ليخ فاليسيا وهنا عرض أبو نضال على القيادة البولونية اغتيال فاليسا إلا أن السلطات البولونية رفضت هذا العرض.

وهنا شعر العراقيون أن لامناص من العلاقة المتكافئة بينها وبين أبـو نضال وحاول العراقيون ومن خلال طارق عزيز أن يبدأ الحوار مع أبو نضال وتشكيل قيادة مشتركة من جبهة التحرير العربية وأبو نضال عقد لقاء موسع بحضور طارق عزيز لهذا الغرض لكن النيات لم تكن صادقة بين الطرفين .

ولم يستمر هذا الأمر طويلا إذ سرعان ما عادت الخلافات مرة أخري وكان في حينه يعد العدة لحربه مع إيران بعد أن استطاع الخميني من الاستيلاء على الساحة وإزاحة الشاه من إيران وكان العراقيون في موقف لا يحسد عليه حيث كان العراق يعاني من عزله سياسية وأوضاع داخلية ممزقة بعد أن فشلت المحادثات ما بين السوريين والعراقيين وعلي أثرها قامت بغداد بإعدام نصف قيادته بتهمة العمالة لسوريا.

ماذا دار بينه وبين صدام حسين؟

وفي لقاء خاص بين أبو نضال والرئيس العراقي تحدث صدام عن مشاكل المنطقة وبروز الثورة الإسلامية في إيران وتحدث طويلا عن أهمية منطقة الخليج العربي وقال صدام حسين لأبو نضال إن روسيا طلبت منه رسميا أن يمنحها قاعدة في الخليج فرد علية أبو نضال بأن يوافق ما دام أنه غير قادر على حماية المنطقة وبعد أن استرسل صدام في هذا الموضوع قال له أبو نضال (إياك والحرب مع إيران) فانتفض صدام من مكانه وتساءل على فوره لماذا فقال له أبو نضال بأنهم أي الإيرانيين سيرسلون لك موجات من البشر لا تقدر على صدها.

وقعت حرب الخليج الأولي وكان أبو نضال في بولونيا وأصدر المكتب الإعلامي لحركته في بغداد بيانا يدين العراقيين في حربهم إلا أن أبو نضال استاء من هذا البيان متذكرا ما قاله لصدام حسين وعاد أبو نضال إلى بغداد وأصدر بيانا مختلفاً تماماً عن البيان الأول محذرا من هذه الحرب وكان للعراقيين موقفهم من هذا البيان.

هنا شعر العراقيون بأنهم في حاجة إلى من يمدهم بالمعلومات والسلاح وغير ذلك وبدأت العلاقات العراقية الأمريكية تأخذ منحيً آخر وقدم الأمريكان بعض المعلومات للعراقيين عن طبيعة القوات الإيرانية.وكان بعضها غير دقيق وقدم وفد أمريكي التقى طه ياسين رمضان وعرض الوفد الأمريكي شروطه لمساعدة العراقيين في حربهم هذه وكان أحد شروط الوفد الأمريكي إنهاء وجود أبو نضال في العراق وعرض العراقيون هذا الأمر على أبو نضال متذرعين أن هناك ضغوطات دولية على وجوده في بغداد.

لم يكن هذا رأي أغلب القيادة العراقية فكان هناك من يقول إنه لا بد من إبقاء أبو نضال في العراق والاستفادة منه على أكثر من صعيد ويمكن خداع الأمريكان لأنهم قد أخرجوا أبو نضال وأن يطلب من الأخير ان يستبدل مكاتبه وإبقاء مكاتب

سرية غير معلنه وتخفيف الوجود والمظاهر العلنية وعدم إصدار بيانات من داخل العراق إلا أن طارق عزيز استطاع أن يقنع صدام حسين بعدم جدوي ذلك.

وهنا يتهم أبو نضال طارق عزيز بأن له علاقة بالحركة الماسونية وهو الذي فتح أبواب العراق أمام الفاتيكان وفرنسا.

أخذ أبو نضال يعد العدة للخروج من العراق أو مساومة العراقيين على هذه العلاقة المستجدة وهنا شعر العراقيون أن لا بد من إبقاء شعرة معاوية مع أبو نضال وطلب الرئيس العراقي من أبو نضال إصدار بيان تأييد للموقف العراقي في حربه مع إيران وإرسال عناصر من التنظيم للمشاركة في هذه الحرب إلا أن أبو نضال وضع شروطاً للموافقة على هذا الطلب ومنها إعادة الدعم المادي للتنظيم وتخفيف الإجراءات التي وضعتها السلطات العراقية ضد أبو نضال إلا أن هذا اللقاء باء بالفشل.

كما استغل طارق عزيز حادثة أخري في نهاية ١٩٨٢ عندما وقع صدام عائلي في بيت الرئيس العراقي صدام حسين حيث تقدم السبعاوي تكريت الأخ غير الشقيق لصدام بخطبة بناته لأبنائه ولم يعطه جوابا وأسرع صدام في حينها إلى تزويج بناته لحسين كامل حسن وشقيقه وامتعظت العائلة والسبعاوي واتصلوا ببرزان التكريتي مدير المخابرات في حينها للتوسط في الموضوع ولكن صدام كان قد زوج بناته فتحرك السبعاوي ومجموعة من المسلحين باتجاه القصر وبدأوا بإطلاق النار في منطقة الكرادة على بوابة القصر فتم الاتصال بصدام وقام بتهدئة الأمر وجمع العشيرة وجاء طارق عزيز وأبلغ صدام أن من زود السبعاوي بالسلاح أبو نضال بالتآمر مع التكريتي إلا أن أبو نضال نفي ذلك الأمر ورغم نفيه طلب صدام من أبو نضال رسميا الخروج من العراق.

في ذلك الحين تم إغلاق المصنع ووقعت مساومة مع أبو نضال مقابل مبلغ مالي قدره ٥٠ مليون دولار مقابل التخلي عن المصنع وكان هدف العراقيين الاستيلاء

على المصنع ووضعه كاملا تحت سيطرتهم لنية العراقيين بإنشاء مصنع للأسلحة البلاستية ومنها صواريخ سكود وغيرها وقد تعرض هذا المصنع لاحقا لعملية تخريب قامت بها أجهزة غربية والتي على إثرها أعدم العميل (بازوفت) الإيراني الجنسية حامل وثيقة السفر البريطانية.

وفي المحطة الأخيرة لقاطرة أبو نضال في بغداد قامت وحدات خاصة بمحاصرة جميع مكاتبه ومعسكره في هيت وتم إخراج جميع عناصره بالقوة وكادت أن تقع مجزرة في معسكر هيت بما يحتوي هذا المعسكر من إمكانات عسكرية وخرج أبو نضال وجماعاته من بغداد.

وحاول العراقيون أن يبرروا موقفهم هذا موعزين الأمر إلى ضغوط خارجية واستمرار الحرب العراقية الأولي وعدم إمكانية العراقيين من الاستمرار في هذه المعركة دون دعم خارجي وتحديدا من أطراف لها مواقف من وجود أبو نضال في بغداد.

وفي دمشق كان هناك استياء كبير من موقف العراقيين وعقدت لجنة أبو نضال المركزية لقاء موسعا نوقشت فيه ملابسات ما حدث في بغداد وأصدر تعميماً داخليًّا يتحدث فيه عما حصل في بغداد متهما العراقيين بالعمالة والخيانة وأشياء أخرى، إلا أن هذا التعميم سرعان ما وقع في أيدي العراقيين مما زاد من حدة الأزمة.

ولكن ماذا عن علاقة أبو نضال مع العراق وصدام التي كانت سبباً في نحره أو انتحاره المزعوم الذي لم يبتلعه أحد !؟

ارتبط أبو نضال بعلاقة خاصة مع العراقيين ولدت منذ أن كان أبو نضال يعمل في العربية السعودية في بداية الخمسينيات وارتباطه بعلاقة ما بحزب البعث العربي الاشتراكي وكان له نشاطات متعددة مع هذا الحزب ولهذا نشأ تنظيمه وتلقى الدعم منذ ما يزيد عن ثلاثة عقود. بالرغم من مرور هذه العلاقة بين مد وجزر لكن أبو نضال تلقى ترحيبا في هذا البلد ليكون له محطة انطلاق إلى أنحاء العالم.

بعد حرب أيلول عام ١٩٧٠ كان أبو نضال من أطلق عليه (جهاز الرصد) وكان أبو نضال أحد تلاميذ أبو إياد في هذا الجهاز وتم تشكيل عدد من الخلايا والمخبريين ليبدأ عمل هذا الجهاز وفي أكثر من ساحة.

لكن هذا الجهاز لم يكتب له الاستمرار بسبب الأحداث التي وقعت في الأردن وغادر أبو نضال كممثل لحركة فتح في بغداد.

وعندما استلم أبو نضال زمام الأمور في بغداد قام باعتقال جميع قيادة حركة فتح الموجودة وكان منهم عيسي أبو الذنيين وأبو جهاد ماضي كما قام باقتحام منزل ممثل حركة فتح السابق أبو جعفر صادق البحر واستطاع الأخير بعد ذلك المغادرة إلى سوريا وبذلك تمكن أبو نضال من السيطرة على الساحة العراقية بعد أن استطاع إبعاد الخصوم المحتملين له.

من جهة أخري، تم التخطيط لاغتيال الملك حسين في عمان بقيادة محمد داوود عودة إلا أن العملية لم يكتب لها النجاح وتم إلقاء القبض على جميع عناصر المجموعة بمن فيهم أبو داوود وكردة فعل لصديقه القديم قام أبو نضال باختطاف الملحق العسكري الأردني في بغداد حيث قام كل من محمود معين وموسي جرادات باختطاف الملحق العسكري ووضعه في منزل معين للضغط على السلطات الأردنية لإطلاق سراح أبو داوود ومن معه. ونتيجة لعدة عوامل تم إطلاق سراح أبو داوود والإفراج عن الملحق العسكري الأردني في بغداد وقد استحسن العراقيون هذا العمل من أبو نضال لموقف حزب البعث من الأحداث الدائرة في الأردن.

في تلك الفترة تحرك وفد من حركة فتح إلى الصين وكان أبو نضال أحد أعضاء هذا الوفد وقد تأثر أبو نضال كثيرا بالتجربة الصينية وكأن التاريخ يعيد نفسه بخروج الصين عن الركب الشيوعي وخروج أبو نضال عن ركب حركة فتح ونتيجة هذه الزيارة منحت الحكومة الصينية الشعب الفلسطيني باخرة محملة بأحدث أنواع الأسلحة الموجودة في تلك الفترة ومنها اسلحة ثقيلة ووصلت السفينة إلى ميناء

البصرة. كما منح العراقيون أبو نضال قاعدة عسكرية في منطقة هيت تبعد ٧٥ كيلو متراً عن بغداد خلافا للقاعدة التي كانت في معسكر الرشيد والتي كان يطلق عليها معسكر منعم.

وبدأت القوات العسكرية التي خرجت من الأردن وتحديدا الجرحى منهم بالتوافد على العراق لتكون محطتهم المعسكر الجديد الذي أُطلق عليه قاعدة الشهيد أبو علي إياد وقائد هذه القاعدة ضابط متمرس من الجيش الأردني انضم إلى صفوف فتح يدعي أحمد جلاد أبو زكي وتحولت هذه القاعدة إلى معسكر إعداد وتدريب متميزيين لما تمتلكه هذه القاعدة من مواصفات طبوغرافية متميزة حيث إنها تقع على نهر الفرات وتحيط بها مرتفعات وكثبان تصلح لحرب العصابات.

كما أعد أبو نضال مجموعات خاصة لإرسالها إلى الأردن حيث كانت هناك مفاوضات جارية بين السلطات العراقية والأردنية لفتح الجبهة الشرقية لفلسطين إلا أن الحرب لم تدم طويلا.

كان لـ(أبو نضال) وجهات نظر مختلفة حول ما دار في حرب تشرين وقد عبر عن رأيه هذا لصلاح خلف مباشرة الذي استاء من هذه الآراء ولمس أن هناك نعرة انشقاق بما يطرحه أبو نضال وحجب أبو نضال جميع ما تصدره حركة فتح من سجلات وكتيبات عن أعضاء التنظيم في بغداد وأخذ يبني أعضاءه بمنهجية خاصة وبأفكار يأخذها الطابع الصيني في التجربة الشيوعية وبدأ أبو نضال بإقامة علاقات متعددة مع حركات التحرر العربية والأجنبية وبدا يستقل بآرائه وأفكاره في الوقت الذي كان العراقيون يبحثون عن طرف فلسطيني يستميلونه اليهم بعد فشلهم في تجربة عصام السرطاوي الذي أنشأ حركة الهيئة المناضلة في بغداد ووجد العراقيون مخرجا لهم في الدخول إلى الساحة الفلسطينية من خلال أبو نضال أما في بيروت فقد مد أبو نضال جذوره مستخدما علاقاته الشخصية مع بعض قيادات حركة فتح ومنهم ناجي علوش وسميح أبو كويك ومنير شفيق وأحمد عبد الغفور وكان هؤلاء

جميعا يتبوؤون مناصب أعضاء مجلس ثوري في حركة فتح ولذلك استطاع أبو نضال أن يمتلك الامكانيات العسكرية والسياسية والاقتصادية من خلال منح العراقيين مبلغ خمسة ملايين دولار شهريا.

وبدأ أبو نضال يعد تنظيمه في بغداد مستغلا بذلك الطلبة الوافدين للدراسة في بغداد وأخذ يرسل بنواة إلى كل ساحة من هؤلاء الطلبة وقد ركز في حينها على كل من باكستان وتركيا ويوغسلافيا وبعض الدول الأخرى التي يكثر فيها الطلبة الفلسطينيون من أجل إنشاء تنظيم في أكثر من ساحة وهكذا بدأ أبو نضال بتشكيل مجموعات لها أفكارها الخاصة ومفاهيمها التي كان يدعي أنها الخط الصحيح في حركة فتح.

وفي عام ١٩٧٤ عقد لقاءً في بغداد ضم العديد من المذكورين الثلاثة من قيادات حركة فتح لإعلان انشقاق حركة فتح وتشكيل حركة فتح الخط الصحيح وقد تبلور الصراع بشكل أوسع في صفوف حركة فتح وطرح بعض منهم أن يكون النضال من داخل الحركة وبعض آخر يقول من خارج الحركة لعدم توفر الديمقراطية في الحوار وكان هذا رأي أبو نضال.

وقتل أحمد عبد الغفور في بيروت واتهم أبو نضال ياسر عرفات بقتله وتحول الصراع إلى صراع مسلح وصدر على إثره قرار محاكمة أبو نضال وإعدامه وكان رد أبو نضال عنيفا حيث واجه قيادات وممثلي حركة فتح في عدة ساحات وبدأ أبو نضال بإصدار مجلته الخاصة التي أطلق عليها في البداية اسم المقاومة وبعدها حول اسمها إلى فلسطين الثورة كالتي يصدرها عرفات في بيروت.

اما في الجانب العراقي فقد تميزت علاقة أبو نضال مع الرئيس العراقي الراحل أحمد حسن البكر وكانت هناك علاقة متميزة ما بين الطرفين وعرض أبو نضال على السلطات العراقية بإنشاء مصنع أسلحة بخبرة فلسطينية وتمويل عراقي وبدأ المصنع عمله في معسكر الرشيد وهو أكبر موقع عسكري عراقي في ضواحي بغداد.

وفي عام ١٩٧٦ بدأت الصراعات في لبنان تزداد حدة وكانت فرصة لأبو نضال لإرسال أعداد كبيرة من الأسلحة والمقاتلين الذبن شاركوا في معارك الفنادق والأسواق التجارية في بيروت تحت قيادة أبو داوود وفي الوقت ذاته سعي أبو نضال إلى استماله كل من أبو خالد العملة وأبو موسي وأبو صالح وكان أبو نضال يسعى إلى إيجاد البديل للساحة العراقية وكانت الساحة اللبنانية هي خبر محطة لانطلاق أبو نضال.

في الجانب السياسي بدأ أبو نضال يتهم القيادة الفلسطينية بالخروج عن مبادئ واهداف حركة فتح والسعي إلى تسوية مع الإسرائيليين .



صبري البنا .. أو " أبو نضال " .. كان في حياته لغزاً كما في مماته !!

٨- مقتل الدبلوماسي المصري ..

الغموض سيد الموقف !!



•• وبقي السؤال : إذا كان الرجل قد قتل فعلاً فأين الجثة !!

رغم تأكيد الأوساط الرسمية نبأ اغتياله، إلا أن عدم العثور على الجثة حتى الآن، جعل الجريمة غامضة، وعدم التأكد من الجناة زاد من مساحة هذا الغموض !!

ومما جعل من هذه الجريمة لغزاً هو اتهام أكثر من جهة بقتل الدبلوماسي المصري .. وأصبح من الصعب تحديد ما إذا كان المسؤولون عن العملية هم القاعدة أو الإيرانيون، أو الموساد الإسرائيلي، أم فلول صدام أم أنه لم يقتل أصلاً !!

لقد سادت حالة من الغضب والشعور بالصدمة كافة الأوساط الشعبية والرسمية فى مصر والعالم العربي والعالم في أعقاب سماع نبأ مقتل رئيس البعثة الدبلوماسية المصرية بالعراق الدكتور إيهاب الشريف على أيدى إحدى الجماعات الإرهابية التي تطلق على نفسها زوراً وبهتاناً اسم " المقاومة العراقية " !!

وقد فتح هذا الحدث العديد من الملفات ذات الأهمية فى الشارع المصري على المستويين الشعبي والرسمي، منها ما يرجع إلى الحدث ذاته وهو اغتيال سفير مصري بالعراق، الأمر الذى أثير العديد من علامات الاستفهام حول السياسة الخارجية المصرية وحدود الدور الإقليمي الذى تلعبه مصر فى المرحلة الحالية، لاسيما تجاه القضية العراقية بكل ما تشمله من تعقيدات وأبعاد متشابكة.

كما أن جريمة اغتيال د. إيهاب الشريف أثارت كذلك مجموعة من الإشكاليات التى تعد محلا للجدال بين المعنيين بقضايا حقوق الإنسان فى عمومها وبالمسألة العراقية على حد سواء.

ومن أهم تلك القضايا حدود التمييز بين المقاومة والإرهاب، وما هى الخطوط الفاصلة بين الأعمال المشروعة للمقاومة من جانب والهجوم على المدنيين بصفة عامة بما فى ذلك الدبلوماسيين.

واقع جماعات المقاومة فى العراق وحقيقة تعبيرها عن موقف الشعب العراقى بتنويعاته المختلفة، وهل ما تقدمه هذه الجماعات من أطروحات يتوافق مع المبادئ والأفكار المرتبطة بالديمقراطية وحماية الحقوق الأساسية للإنسان والنهوض بالشعب العراقي، ومن ثم ما هي حدود التواصل معها ودعمها؟

هل يعد الوجود الدبلوماسي للدول المختلفة فى العراق اعترافا بالاحتلال وتقنينا لوجوده؟، وهل يعد وقوع العراق تحت الاحتلال مبررا لعدم إقامة علاقات دبلوماسية معه، أم أن ذلك يعد إهدارا لفرص التواصل مع الشعب العراقي والجاليات غير العراقية وفتح قنوات الاتصال بينهم وبين العالم الخارجي؟ وهل يعد وجود أى بلد تحت الاحتلال دليلا على فساد العملية السياسية برمتها فيه أم أن الخبرة التاريخية فى هذا المجال قد تعد مؤشرا على إمكانية تجاوز سلبيات الاحتلال والاستفادة مما قد تتمتع به البيئة السياسية فى البلد المحتل من فرص واحتمالات الانتقال نحو وضعية أفضل.

وقد تضاربت المعلومات حول هوية الجناة على وجه التحديد، فقد أعلنت مجموعة أبو مصعب الزرقاوي في بيان على موقع على شبكة الإنترنت أنها قتلت الدبلوماسي المصري الذي تحتجزه رهينة إيهاب الشريف.

وقال البيان "نعلن نحن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين أن حكم الله تعالى في سفير الكفار سفير مصر، قد نفذ ولله الحمد".

وأضاف البيان أن "سفير الكفار هذا أدلى بمعلومات بينت كفر نظامه وموالاته لليهود والنصارى وقد سجلت اعترافاته".

وأكد البيان أن "أول من قام بالحرب على الإسلام والمسلمين هو النظام المصري منذ عقود عدة"، مشددا على أن "سجون مصر مليئة بالمجاهدين والمحاكم المصرية التي تحكم بغير ما أنزل الله حكمت على كثير من الموحدين بالإعدام منهم شيخنا

إيمن الظواهري"، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة بزعامة أسامة بن لادن والذي حوكم غيابيا.

واتهم البيان أيضا النظام المصري بأنه "أول من وافق على تدريب كوادر الجيش والشرطة الموالين للصليبيين من المرتدين العراقيين".

وأكد البيان إن "إخوانكم في تنظيم القاعدة ماضون في قتل ومحاربة كل من تعاون مع اليهود والنصارى ووقف في صفهم ومضى في مخططاتهم".

وكان إيهاب الشريف (٥١ عاما) خُطف بينما كان بمفرده في أحد شوارع بغداد التجارية.

وهددت مجموعة المتطرف الأردني أبو مصعب الزرقاوي زعيم تنظيم القاعدة في العراق، بقتله بعد أن تبنت عملية اختطافه.

وقالت المنظمة في بيان على الإنترنت أن "المحكمة الشرعية بتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين قررت تحويل المرتد سفير دولة مصر الموالية لليهود والنصارى إلى المجاهدين كي ينفذوا حد الردة فيه".

وفي شريط فيديو ألحقته مجموعة الزرقاوي بيانها اليوم، ظهر إيهاب الشريف يرتدي قميصا "تي-شيرت" أبيض وقد عصبت عيناه. وقال إنه كان في وزارة الخارجية المصرية وفي سفارة بلاده في إسرائيل.

وكان الظواهري دعا الشهر الماضي، إلى متابعة الجهاد ضد القوات "الغازية" الأميركية، وإلى الإصلاحات على أساس الشريعة الإسلامية، في شريط فيديو بثته قناة الجزيرة الفضائية القطرية.

وانتقد الظواهري في حينه بشدة، الحكومات الباكستانية والعربية والمصرية، كما أوضحت الجزيرة.

وقد فجر هذا الإعلان أو البيان مشاعر الحزن والأسي في الأوساط السياسية والدبلوماسية والشعبية في مصر، وأثار العديد من الأسئلة واتخذ أبعادا مختلفة، فماذا لو كان السفير لا يزال حيا؟!.. وهل يكفي أن تعلن جماعة مسلحة تعمل في الظلام نبأ إعدام السفير لكي يسارع الجميع بتأكيد النبأ ؟ فكيف تأكدوا من وفاته؟

ومن يتحمل مسئولية جريمة اغتيال السفير بعدما غلت الحكومة العراقية يدها من الجريمة واتهمت السفير بالتقصير في إجراءات الأمن.

الحادث أعاد للمصريين ذكريات أليمة بدأت بإعدام السائق محمد متولي حيث تم بث حفل الإعدام على الإنترنت والسائق إبراهيم المهيلي وتم إعدامه رميا بالرصاص. عمليات خطف المصريين كرهائن في العراق أو ذبحهم كخونة عملاء للاحتلال لم تتوقف.. فمن المسئول عن الدماء المصرية التي تسيل على أرض الرافدين.. وهل يتوقف نزيف الدم المصري في العراق؟

ورغم ذلك، ومما يثير الشكوك، ويزيد من الغموض بالنسبة لهذه الجريمة المروعة هو تأكيد بعض المراقبين العراقيين على استبعاد القاعدة، واتهامهم إسرائيل، وبالتحديد جهاز مخابراتها " الموساد " !

مقداد مصطفى رئيس تحرير صوت القوى العراقية قال اغتيال السفير المصري عملية مخابراتية .

وقال: الشارع العراقي هزه هذا الحادث الأليم، خاصة أن مصر والمصريين لهم مكانة متميزة في قلب كل عراقي.. هذا عن المستوى الشعبي، أما على المستوي الحكومي فإن البعض يحلو له أن يسرب أنباء تتعلق بعمل السفير إيهاب الشريف في إسرائيل، وأنباء أخرى تقول إنه كان يجري اتصالات مع بعض علماء السنة لحثهم على المشاركة في العملية السياسية بالعراق وهي كلها أنباء مريبة.

ويقول: بحكم معايشتي للأحداث في العراق أؤكد أن الذي قتل السفير المصري هو جهاز مخابرات تابع لدولة من اثنتين أولاهما إسرائيل وثانيهما دولة مجاورة

للعراق.. فالموساد الإسرائيلي يمكنه أن يرتكب هذه الجريمة، إذا ما وجد مثلا أن السفير المصري سيكتشف كم التواجد والتغلغل الإسرائيلي في العراق، والسفير إيهاب الشريف كان يمكنه أن يكتشف ذلك بسهولة بحكم عمله في إسرائيل لعدة سنوات.

وحول ما جعله متأكدًا من أن مرتكب الجريمة جهاز مخابرات وليس إحدي الجماعات المسلحة بالعراق قال : طبيعة الجريمة نفسها هي التي جعلتني متأكدًا من أن مرتكبها جهاز مخابراتي وليس جماعة مسلحة.

ورغم أن إحدى هذه الجماعات بثت على الإنترنت أنها هي التي ارتكبت الجريمة يرد بقوله : ما ينشر على الإنترنت لا يعد دليلا على شيء ولا يجوز الارتكان إليه في تحليل الأحداث، وعموما العملية المسلحة التي تشهدها العراق تختلف كثيرا عما تردده أغلب وكالات الأنباء والفضائيات.

ويوضح : العمليات المسلحة في العراق يمكن تقسيمها إلى نوعين رئيسيين مقاومة مسلحة وطنية، ثم عمليات إرهابية مبرمجة.. المقاومة المسلحة الوطنية يقوم بها فلول الجيش السابق للعراق إضافة إلى رجال وطنيين من العراق وعدد من الدول العربية والإسلامية وهؤلاء جميعا يوجهون عملياتهم إلى قوات الاحتلال سواء جنود أو معدات، ويكبدونهم خسائر كبيرة في الأرواح والمعدات.

وينضم إلى المقاومة المسلحة الوطنية أعضاء جدد بشكل يومي وهم ضحايا المداهمات والاعتقالات والانتهاكات التي ترتكبها قوات الاحتلال في حق عدد من العراقيين.

أما العمليات الارهابية المبرمجة فتقوم بها أجهزة استخبارات لدول أجنبية، وهذه تتواجد بكثرة في المدن الرئيسية وتتخفي تحت مسمى جمعيات أو شركات أو مؤسسات، وبعضها يتخذ من المطارات العراقية وكرا يختفي فيه.

وبعض العمليات الإرهابية تقوم بها ميليشيات مسلحة تابعة لبعض الأحزاب، كما تقع عمليات جنائية فردية يقوم بها قطاع الطرق وعصابات الاختطاف، وقد استغل

الأمريكيون هذه العمليات وادعوا زورا أن المقاومة العراقية هي التي تنفذها وذلك بهدف تشويه سمعة المقاومة.

وحول احتمال أن تكون إحدى عصابات الاختطاف هي التي قتلت السفير المصري إيهاب الشريف يقول مقداد : مستحيل.. فعصابات الاختطاف ينحصر دورها في خطف أفراد ثم مساومة ذويهم على فدية، وبمجرد أن يحصلوا على الفدية يطلقون سراحهم، ونحن لم نسمع أن الذين خطفوا »الشريف« طلبوا فدية.

وبسؤاله : لماذا لا تكون إحدى جماعات المقاومة المسلحة هي التي خطفت السفير المصري وقتلته بناء على أفكار مشوشة أو مغلوطة، يجيب : وهذا أيضا مستحيل لسبب بسيط وهو أن جماعات المقاومة المسلحة لا تخطف وإنما تقتل مباشرة، أما عمليات الخطف فلا يستطيع القيام بها سوى جهاز مخابراتي لأن الخطف يحتاج إلى معلومات كثيرة وإلى أماكن آمنة ينقلون إليها المختطَف وهذا لا تملكه جماعات المقاومة وإنما تملكه الأجهزة المخابراتية الأجنبية الموجودة بالعراق.

ويؤكد مقداد وجود أجهزة مخابراتية أجنبية في العراق وكأن الأراضي العراقية تحولت إلى مسرح تتلاعب به أجهزة المخابرات.. هذا بالضبط ما يحدث، فالعراق الآن في حالة فوضى، وبدون جهاز أمني حقيقي، صحيح أن لدينا الآن ١٠٠ ألف جندي في الجيش و١٥٠ ألف شرطي ولكن هؤلاء جميعا بلا حول ولا قوة، فحدود العراق مستباحة وكذلك سماؤها، ويمكن لأي جهاز مخابرات أن ينقل عملاءه عبر الحدود أو في طائرة تهبط مباشرة في أي مطار عراقي، وهذا لا يحدث بالطبع إلا بالاتفاق مع القوات الأمريكية، وهذا ما فعله الموساد الإسرائيلي الموجود حاليا في منتجع صلاح الدين وداخل القواعد الجوية بمحافظة أربيل.

ومن الغريب أن الأمريكيين وأجهزة الإعلام لا تتوقف عن المطالبة بإحكام الرقابة على الحدود الغربية للعراق وتتجاهل عمدا الحدود الجنوبية البرية والبحرية التي تمارس التخريب الاقتصادي المنظم بتهريب الوقود والآثار والعملات وممارسة

تجارة الرقيق الأبيض، كما تتجاهل بصمت مريب الحدود الشرقية التي تضخ إلى داخل العراق المخدرات بكل أنواعها والطاعون والإيدز والقتلة بكل أصنافهم.

ورغم ذلك فقد كان للمسؤولين العراقيين رأي آخر، ومنهم وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري الذي اتهم جماعة " أيتام صدام " باغتيال الشريف .

وقال في مؤتمر صحفي عقب إعلان مقتل الدبلوماسي المصري إنه اقترح على السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية الأجنبية والعربية العاملة في العراق تأمين الحماية لدبلوماسييها لتجنيبها تكرار ما حصل لرئيس البعثة الدبلوماسية المصرية في بغداد إيهاب الشريف.

وقال زيباري في مؤتمر صحافي: (كان لنا اجتماع مع جميع أعضاء السلك الدبلوماسي في بغداد بحضور وزير الداخلية (بيان باقر صولاغ) لشرح طبيعة الأوضاع الأمنية والأسباب والدوافع التي حدت بعصابات الإرهاب والجريمة إلى استهداف أعضاء السلك الدبلوماسي).

وأضاف: (لقد شرحنا لأعضاء السلك الدبلوماسي أن على الحكومة العراقية مسؤوليات أمنية وفقاً للقوانين الدولية أهمها توفير الأمن وحماية الدبلوماسيين والسفارات والبعثات العاملة في العراق).

وتابع زيباري: (لقد أبلغناهم أن الحكومة العراقية قادرة على توفير هذه الحماية لجميع السفارات والدبلوماسيين العاملين في العراق دون الاعتماد على أية جهة).

وأوضح: (أعتقد أن بإمكان وزارة الداخلية والخارجية توفير الحماية اللازمة وفي المقابل مطلوب من هذه السفارات والدبلوماسيين التعاون مع الحكومة ووزارتي الداخلية والخارجية لتحديد احتياجاتهم).

وقال: (نحن لا نريد أن نفرض إجراءات على تنقلات الدبلوماسيين ولكن إذا طلب منا توفير حماية أمنية لأي دبلوماسي فبإمكاننا القيام بذلك) مشيراً إلى

(وضع خطة بهذا الاتجاه وخطوط ساخنة في وزارتي الداخلية والخارجية للاتصال المباشر بالإضافة إلى توفير حمايات لمقار البعثات الدبلوماسية في بغداد).

وحول ردود أفعال السفراء ورؤساء البعثات الدبلوماسية، قال: (إن الكل كان متجاوباً والكل أكد أنه سيتعاون مع هذه الخطة).

واستبعد زيباري إمكانية إقامة منطقة خاصة تضم جميع السفارات والبعثات الدبلوماسية على غرار المنطقة الخضراء المحصنة التي تضم السفارتين الأميركية والبريطانية، وقال: (لا نية لنا في إنشاء منطقة محصورة أو قلعة للسفارات لأننا إذا حصرناهم فإنهم لن يتمكنوا من متابعة العمل) مشيراً إلى أنه (ليس هناك أمن كامل في أي مكان في العالم).

وحول عدد السفارات والبعثات الدبلوماسية الموجودة في العراق، قال: (العدد الكلي) سفارة وبعثة دبلوماسية عدد كبير منها يعمل أصلاً في المنطقة الخضراء بالإضافة إلى سفارات غير مقيمة تعمل من الأردن).

هذا واتهم زيباري أنصار الرئيس العراقي المخلوع بالوقوف وراء اغتيال رئيس البعثة الدبلوماسية المصرية في بغداد إيهاب الشريف.

وقال زيباري: (في اعتقادي الشخصي أن الذين يقومون بمثل هذه الأعمال هم أيتام صدام والمتشدقون بالكثير من الشعارات والأمور غير الحقيقية).

ورغم ذلك، ففي شهر فبراير عام ٢٠٠٧، عاد من جديد لغز مقتل السفير المصري في بغداد إيهاب الشريف إلى بؤرة الضوء.

وقد أدى نشر الخبر في الصفحة الأولى بالأهرام إلى حدوث تخبط حيث سارع المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية د. علاء الحديدي بنفي الخبر ثم عاد ليطلب من الصحف تجاهل هذا النفي.

وترددت قصتان خلف نفي النفي أولاهما أن هناك جهة قومية ما سربت الخبر

وأن الخارجية نفته بسرعة لأنها لم تكن على علم بالتسريب وعندما علمت أن الخبر مقصود تسريبه سارعت الخارجية مرة أخرى إلى إبلاغ الصحف باعتبار النفي كأن لم يكن، وعندما سئل مصدر دبلوماسي عن صحة الخبر أكد أنه غير صحيح ولكن لا يجب أن تنفيه مصر لأنه لم يأت في الأصل على لسان مصدر دبلوماسي مصري.

بينما تشير الرواية الثانية إلى أن مصدرا دبلوماسيا بالفعل صرح بالخبر وسط حديث ليس للنشر وأن المتحدث الرسمي لوزارة الخارجية قرأ للوزير الخبر على الهاتف عندما تم نشره حيث كان أحمد أبوالغيط يرأس وفد مصر في اجتماع وزراء خارجية الدول الإفريقية، فطلب منه نفيه ولكن عندما وصلت للوزير صورة من الخبر على الفاكس وقرأه بعناية لاحظ أن الخبر جاء على لسان مصدر دبلوماسي مجهول فطلب من المتحدث الرسمي إبلاغ الصحف بتجاهل النفي، والمشكلة أن وكالات الأنباء والقنوات التليفزيونية كانت قد أذاعت خبر النفي بأن مصر تنفي أن المخابرات الإيرانية تقف خلف مقتل إيهاب الشريف مما كان من الصعب عليها التراجع عن ما تم بثه بالفعل خاصة أن مكتب وزير الخارجية أبلغ الجميع شفاهيا وعن طريقة التليفون فقط أن يتم تجاهل النفي ولم يرسل بيانا رسميا بذلك على عكس الخبر الأول بالنفي والذي تم إرساله لكل الصحف والوكالات بالفاكس.

وعلمت الأهرام العربي أن مصر تملك معلومات منذ فترة عن وجود أيد خلف حادث اختطاف السفير إيهاب الشريف الذي تولي منصبه في أول يونيو ٢٠٠٥، وتم اختطافه في الثالث من يوليو من العام نفسه، وأن الهدف كان تقليص أي دور مستقبلي مصري في العراق خاصة أن مصر كانت وقتها تعلن عن استعدادها لتدريب عناصر من الشرطة والجيش العراقي وهو ما تم بالفعل بعد ذلك ولكن بهدوء ودون إعلان.

وقد تزامن حادث اختطاف إيهاب الشريف في بغداد وقتها مع عدة حوادث اختطاف واعتداء وقتل الدبلوماسيين من عدة جنسيات في بغداد مثل باكستان والمغرب والبحرين وروسيا بهدف منع أي دولة من إنشاء سفارة لها في بغداد أو

وجود دور أو نفوذ لأية دولة أخري في العراق، وقد قامت أخيرا الجامعة العربية بسحب مندوبها في بغداد بسبب تردي الأوضاع الأمنية، كما تم قتل واختطاف عدد من المصريين المقيمين في العراق وآخرهم عامل مصري مقيم منذ ٢٥ عاما ومتزوج من عراقية، وتسعى مصر حاليا لمحاولة الإفراج عنه.

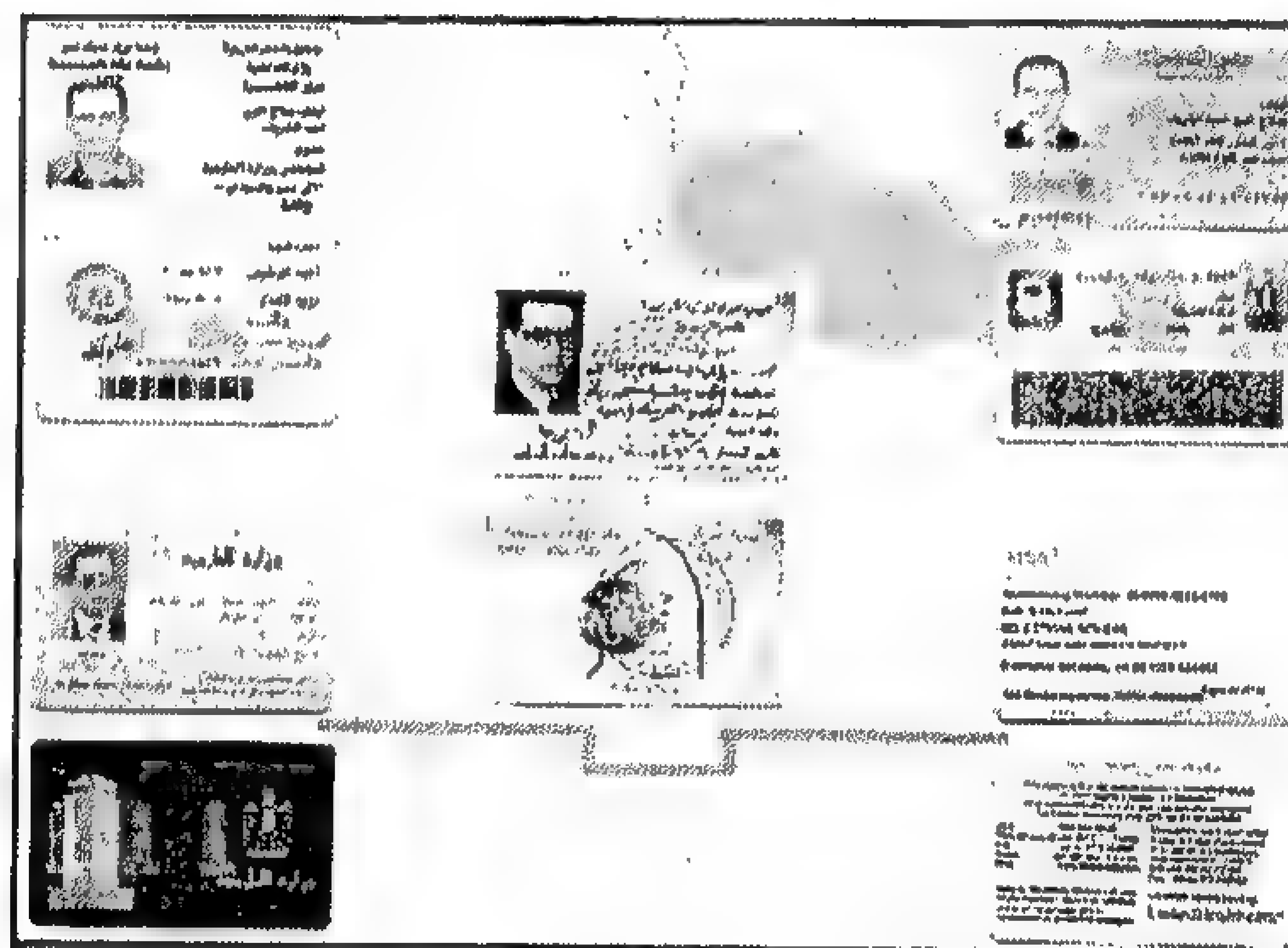
وكان أحمد أبوالغيط وزير الخارجية قد زار تركيا ثم باكستان في شهر يناير عام ٢٠٠٧ كما التقى وزير خارجية أفغانستان في مصر، كما قام الرئيس الباكستاني برويز مشرف بزيارة كل من مصر والسعودية كما من المنتظر أن يقوم الرئيس حسني مبارك بزيارة قادمة إلى تركيا.

وأكد بعض الباحثين أهمية استمرار الحوار مع إيران خاصة على المستوي الاقتصادي وعدم قطع الطريق تماما وفي الوقت نفسه تقوية محور ٦+١+٢ وهي دول الخليج ومصر والأردن والولايات المتحدة.

كما أشار البعض إلى الحملة الأمريكية والأوروبية الحالية ضد الخطر الإيراني في الشرق الأوسط وتأكيدهم أن إيران أصبحت مصدر الخطر والمشاكل وأنها تسعي لإشعال المنطقة لتحقيق مصالحها، كما أكدوا أن إسرائيل تسعي لتحقيق مكاسب خلف هذه الحملة حيث تؤكد أولا أن ملف إيران ليس مشكلة إسرائيلية بل دولية وأن أمريكا وأوروبا مسئولان عن مواجهة هذه المشكلة، وثانيا الاعتراف بشكل ضمني بامتلاك سلاح نووي وأنها دولة عاقلة فرغم امتلاكها هذا السلاح لم تلوح به ولا مرة واحدة وبالتالي فرض الأمر الواقع وأحقيتها وحرصها على امتلاكه لأنها دولة ديمقراطية وعاقلة ولا يجب الضغط عليها للانضمام لمعاهدة حظر الانتشار النووي بل استثنائها من ذلك لأنها دولة هادئة لا تثير المشاكل عكس إيران التي يهدد رئيسها بإبادة إسرائيل وبإشعال المنطقة، وثالثا أن الشرق الأوسط في الأصل منطقة فسيفساء عرقية وإثنية وأن زرع إسرائيل داخله لم يكن هو المشكلة لأن المنطقة أصلا مليئة بالصراعات ولم تكن يوما منطقة هادئة بل إن وجود إسرائيل هو بمثابة رمانة الميزان لوقف أي تهديد من أي قوي إقليمية ضد مصالح الغرب.



محتويات محفظة الدبلوماسي المصري كما عرضها خاطفوه على الانترنت .





آخر صورة له بثها الإرهابيون على الانترنت قبل إعلانهم مقتله !!

٩- لوران كابيلا ..

ذهب وذهب سره معه !!



•• ولم يدر الرجل أن الموت سيأتيه من داخل قصره وتحت أعين ابنه وربما بتدبير منه لكنه مات وظل رحيله لغزاً ولم يفك أحد طلاسم الجريمة !!

وقف المشاركون في القمة الفرنسية الأفريقية التي كانت قد بدأت أعمالها في العاصمة الكاميرونية ياوندي يوم الثامن عشر من يناير عام ٢٠٠١ دقيقة حدادا على رئيس الكونغو الديموقراطية "لوران ديزيريه كابيلا" بناء على طلب رئيس منظمة الوحدة الأفريقية – آنذاك – الرئيس التوغولي "غنا سيغنبي إياديما".

وقال "إياديما" في كلمته الافتتاحية للقمة : " أدعوكم إلى الوقوف دقيقة صمت في ذكرى شقيقنا الغالي لوران ديزيريه كابيلا ".

كان من الغريب أن "كابيلا" الذي كان يتطلع بشدة لحضور هذه القمة، أصبح محور أحاديث الوفود الحاضرة في "ياوندي"؛ فقد كان هو النجم الغائب.

كان أكثر ما يشغل اهتمام الوفود المشاركة في القمة هو معرفة ملابسات مقتل "كابيلا"، فقد تضاربت الأنباء الواردة من "كنيشاسا" حول اغتياله، كما كثرت التساؤلات حول شخصية ابنه الجنرال "جزيف كابيلا" الذي نصب من نفسه رئيسا للبلاد خلفا لوالده، والذي تردد أنه وراء اغتيال والده، الذي كان قد خسر جميع حلفائه من زعماء الدول المجاورة، بعد أن كانوا حلفاء الأمس، الذين أمدوه بتوجيهات أمريكية بالمال والسلاح في الماضي القريب، لكي يتمكن من إسقاط حكم موبوتو سيسيكو، فتنكر لهم واحتضن الجماعات المعارضة والمتمردة على أنظمة حكمهم !!

كما دارت في القمة التساؤلات حول نوايا الدول المجاورة للكونغو الديموقراطية والتي تسبب تداخلها في النزاع إلى تحويلها إلى أول حرب أفريقية كبرى في منطقة البحيرات العظمى، وكيفية تصرف حلفاء الكونغو: "زيمبابوي" و"أنجولا" و"ناميبيا" وحلفاء حركة التمرد المسلح في الشرق والشمال "رواندا" و"أوغندا".

وكان الانطباع السائد بين الوفود المشاركة في القمة هو الخشية من حدوث الأسوأ باستئناف المعارك في "الكونغو الديموقراطية"، وعدم إمكان تطبيق اتفاق "لوساكا" أو نشر قوات حفظ السلام للأمم المتحدة.

في غضون ذلك كانت الأنباء حول مصير "كابيلا" غامضة، رغم تولي ابنه مقاليد السلطة في البلاد التي شهدت هدوءًا غريباً، كما بثت وكالات الأنباء رواية غير مؤكدة عن مصرع "كابيلا"، حيث كشف مصدر وثيق الصلة برئيس الكونغو الديموقراطية النقاب عن أن الرئيس "لوران كابيلا" كان مجتمعا في مكتبه مع مساعده للشؤون الاقتصادية الثلاثاء، وفجأة دخل مكتبه أحد الحراس، واقترب من الرئيس، وفتح نيران سلاحه الخاص عليه قبل أن يحاول الفرار.

وذكر المصدر في روايته للحادث الذي لم تعلن بعد "كينشاسا" رسميًا أن مساعد "كابيلا" سارع بالخروج للاستغاثة ببقية الحراس الذين تعقبوا القاتل وأردوه قتيلا.

وللغرابة، وبما لا يتفق ومجريات الأمور في هذه الدولة المضطربة، كانت مظاهر الحياة عادية، وكأن شيئاً لم يحدث، حيث لا يوجد بها أية مدرعات أو عربات حربية، كما أن الإذاعة كانت تواصل برامجها العادية دون أدنى مظهر لمصرع رئيس البلاد فيما يتساءل الشعب عن حقيقة ما حدث !!

ومن ناحية أخرى، ذكر متحدث باسم فصيل من حركة التمرد المسلح في الكونغو أن الأنجوليين يسيطرون على "كينشاسا" وأن قوات جاءت من لواندا عبر برازافيل بدأت في الوصول إلى الميناء. من جهة ثانية بث التلفزيون الحكومي في "كينشاسا" بعد يوم واحد من الأنباء بشأن مصرع الرئيس "لوران كابيلا" شريط فيديو يظهر نجله "جوزيف" وهو يستقبل كبار العسكريين.

وذكرت شبكة تليفزيون سي.إن.إن الأمريكية أنه لم يتضح متى وأين تم التقاط وتسجيل هذا الشريط الذي يظهر فيه "جوزيف" وهو يرتدي البزة العسكرية باعتباره جنرالا في الجيش؟!

من جهتها أرجأت "زيمبابوي" حليف الكونجو الرئيسي إصدار بيان بشأن صحة الرئيس "لوران كابيلا" قائلة: إنها ستتحدث فقط بعدما تتلقى تقريرا من حكومة "كينشاسا".

وقالت "بيتي ديمبي" المتحدثة باسم "روبرت موجابي" رئيس زيمبابوي "سنلقي بيانا حال ما نتلقى بلاغا رسميًّا من الكونجوليين، ولا نعرف متى سيتم ذلك".

وقالت مصادر سياسية في هراري عاصمة زيمبابوي إن السلطات في كينشاسا أرجأت الإعلان عن مقتل "كابيلا" إلى حين الانتهاء من وضع الترتيبات الأمنية تجنبا لسقوط البلاد في حالة من الفوضى.

المهم أن هناك أمرين استوقفا نظر العالم في هذه القصة المأساوية . أولهما : دور الابن جوزيف في اغتيال والده الأب الرئيس .. وثانيهما : توقيت اغتياله، ولماذا تم تأجيل الإعلان، حيث يرى البعض أن الهدف ليس كما ادعى الابن، لإحكام السيطرة على البلاد ومنع انزلاقها إلى الفوضى إذا تم إعلان النبأ دون احتياطات أمنية، ولكن الهدف الحقيقي كان طمس معالم الجريمة التي ارتكبها الابن !!

وكانت جمهورية الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا) قد وقعت منذ عام ١٩٩٤ في براثن الصراع العرقي والحرب الأهلية وتأثرت بالأعداد الهائلة للاجئين الفارين من القتال في رواندا وبوروندي. وقد أطيح بحكومة الرئيس السابق موبوتو سسيسيكو على يد لوران كابيلا عام ١٩٩٧ الذي سرعان ما تعرض نظام حكمه لتمرد تزعمته رواندا وأوغندا في أغسطس ١٩٩٨ وتدخلت قوات من زيمبابوي وأنغولا وناميبيا وتشاد والسودان لدعم نظام كينشاسا، وتم التوصل إلى وقف لإطلاق النار في ١٠ يوليو ١٩٩٩ باستثناء مناوشات متقطعة. واغتيل كابيلا في يناير عام ٢٠٠١ وخلفه ابنه جوزيف كابيلا رئيسا للدولة وابتدأ حكمه بالتمهيد لإنهاء الحرب.

لم يهنأ رئيس الكونغو الديمقراطية المقتول لوران كابيلا بكرسي الحكم الذي ظل يصارع من أجل الوصول إليه أربعين عاماً منذ أن كان زعيماً للطلاب الماركسيين

في جامعة فرنسا أواخر الخمسينيات من القرن الماضي إلى أن أصبح رئيساً للبلاد عام ١٩٩٧م، فبعد ثلاثة أعوام فقط ذاق من كأس الردى الذي أذاقه للآلاف من خصومه السياسيين.

لم تكن قبيلة مولوياكات إحدى قبائل اللوبا المعروفة في جنوب زائير تعلم أن مولودها رولان سيجعل منها أشهر قبيلة بعد أقل من خمسين عاماً، ففي أحد منازل القبيلة وداخل إحدى الغابات كانت ولادة رولان كابيلا في شهر يناير من عام ١٩٣٨.

وبعد أن تلقى تعليماً أولياً بسيطاً شأنه شأن أي طالب أفريقي تلقفته إحدى المنظمات التنصيرية العاملة هناك، وحاولت أن تبعده عن شبح الإلحاد الذي أظهر الفتى ميولاً مبكرًا نحوه؛ إذ كان لا يلقي بالاً للدين ولا للقيم الأخلاقية شأن بقية أقرانه، وكان أقرب للديانات المحلية الوثنية منه إلى الديانة المسيحية كما تحدث هو عن نفسه في بعض خطبه.

حصل كابيلا على منحة تعليمية لدراسة الفلسفة السياسية في جامعة فرنسا، كانت الجامعة في تلك الفترة تموج بالتيارات الفكرية والسياسية المختلفة، وكان الصراع بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي على أشده، وانعكس ذلك الصراع على الحياة الجامعية، فكان وسط الطلاب دعاة نشطون لتلك المبادئ، كما كان وسطهم كذلك طلاب يعملون لجهات استخباراتية خارجية.

بعد أشهر قليلة من وجود كابيلا في الجامعة ظهرت مواهبه وقدراته القيادية، فكان كثيراً ما يجتمع الطلاب الأفارقة حوله، يستمعون إلى حديثه ويستهويهم مفردات الثورة والاستقلال التي كان يكثر من استخدامها.

عرف كابيلا وسط الطلاب الأفارقة بدفاعه وحماسه الشديد للماركسية، وتوطدت صلاته ببعض الطلاب الصينيين والروس، وبعد أن حصل على درجة

الليسانس في الفلسفة السياسية، كانت هناك منحة أخرى في انتظاره، هذه المرة كانت إلى الصين حيث ماوتسي تونج وحديثه الساحر عن الشيوعية الصينية المميزة، لكن كابيلا اختار أن يدرس العلوم العسكرية؛ ليطبق المبادئ النظرية التي اعتنقها بطريقة عملية في قلب أفريقيا.

عاد كابيلا من بكين مبشراً للشيوعية الصينية في قلب القارة الأفريقية، وبدأ "جهاده" السياسي للتمكين لدعوته، واشتهر بثوريته وقيادته للثوريين الشيوعيين طيلة حياته. أتيحت الفرصة لكابيلا للدخول إلى عالم السياسة بعيداً عن العمل السري في أحراش وغابات زائير بفضل مساعدة ماوست باتريس لومومبا - أول رئيس وزراء ماركسي في زائير-؛ فأصبح رولان كابيلا عضواً في المجلس التشريعي الزائيري المعروف باسم "كاتانجا" عام ١٩٦٠م.

شعرت الولايات المتحدة الأمريكية أن نفوذ الاتحاد السوفيتي والصين في زائير آخذ في النمو فأصابها القلق؛ لأن معنى ذلك ضياع أكبر مخزون للنحاس والماس في العالم من بين أيديها، فسارعت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية الـ (CIA) من وتيرة عملها في تلك المنطقة الهامة، وبالفعل لم تكد تمر أسابيع قليلة حتى قاد الجنرال جوزيف ديزيريه موبوتو أكبر انقلاباً عسكرياً استولى به على الحكم، وقتل خلاله الزعيم الماركسي البارز لومومبا، فكان أكثر المتأثرين لمقتل لومومبا هو رولان كابيلا، فقال حينها: "لقد زالت دولة الماركسية سريعاً في زائير".

جاء رجل الغرب القوي موبوتو إلى الحكم تحميه الأسلحة الأمريكية، فقرر رولان كابيلا العودة إلى غابات زائير الشرقية وتنظيم الناقمين على حكم موبوتو من أقلية التوتسي، والاستعانة بحلفائه (الاتحاد السوفيتي والصين) اللذين وجدا فيه الرجل الذي يمكن أن يحل محل لومومبا، وتدفقت عليه المساعدات إلى أن نجح في تحقيق حلمه بالقضاء على موبوتو واعتلائه سدة الحكم، ولكن كان ذلك بعد ٣٨ عاماً!!

كان التمرد الأول قد قاده كابيلا في السنة الأولى لحكم موبوتو (١٩٦٠)، فانطلق مع بعض المسلحين من منطقة روزيزيه القريبة من أوفيرا شرقي البلاد، لكن قوات

موبوتو استطاعت سحق هذا التمرد على الفور مستعينة في ذلك بطائرات من الولايات المتحدة الأمريكية وبمظليين من بلجيكا (آخر المحتلين لزائير).

حاول موبوتو الانتقام من كابيلا لكنه نجح في الهرب إلى خارج الحدود مستفيداً من خبرات المقاتلين المحليين الذين يعرفون دروب الغابات وطرقها الوعرة، واستطاع الوصول إلى تنزانيا.

حاول رولان كابيلا مرة ثانية حشد بعض المردين الذين استأجرهم من أقلية التوتسي التي كانت تكن العداء لموبوتو خاصة بعد أن سلبها بعض الامتيازات التي كانت تتمتع بها فيما يتعلق بالجنسية وحقوق التملك وغير ذلك، ولم يرد كابيلا أن يتسرع في العمل العسكري قبل أن يعد له جيداً، واستمع هذه المرة إلى نصيحة أستاذيه الزعيمين الشيوعيين جيفارا في الأرجنتين وفيدل كاسترو في كوبا اللذين سمعا به، وأقاما فيما بعد علاقات تعاون معه، فقد نصحاه بتكوين حزب سياسي معارض ومن داخله جناح عسكري يحقق بالقوة أهداف ذلك الحزب.

وبالفعل في عام ١٩٦٧ أعلن كابيلا عن تشكيل حزب الشعب الثوري، وكون من ٢٦ عضواً لجنته التنفيذية، واتخذ الحزب الجديد من مقاطعة كيفو في شرق زائير والتي كانت خارجة عن سيطرة موبوتو مقراً له.

اهتم كابيلا بأن تكون للحزب الجديد قاعدة شعبية من جموع الفلاحين كما فعل جيفارا وكاسترو، وبفضل المساعدات المالية والعسكرية من الاتحاد السوفيتي والصين وكوبا والأرجنتين، ظهرت على السطح بعض المشروعات التعليمية والصحية التي جذبت معها تعاطف الفلاحين الزائريين الفقراء.

وفي منتصف السبعينيات فكر كابيلا في عمل أكثر ثورية يلفت به الأنظار إليه، ويضفي على شخصيته "الكارزما" المطلوبة لمزيد من الحشد الشعبي، فقام بخطف ثلاثة طلاب أمريكان وباحث ألماني كانوا موجودين في زائير، وطلب فدية تبلغ ٥٠٠

ألف دولار، وشحنات من الأسلحة المتوسطة والخفيفة من الولايات المتحدة، وبالفعل استطاعت تلك الحادثة أن تجعل من كابيلا أشهر زعيم أفريقي ثوري لدى الغرب في عام ١٩٧٥ ، وبعد مفاوضات سرية تمت بين كابيلا والولايات المتحدة أعلن إطلاق سراح الرهائن.

وبالرغم من وجود بعض الفجوات الزمنية والأحداث الغامضة في حياة رولان كابيلا؛ فإن الأكثر غموضاً وغرابة تلك الفترة التي غاب فيها عن الأنظار وامتدت حوالي عشر سنوات، فلم يعد لكابيلا أثر على الساحة الأفريقية منذ عام ١٩٨٨ حتى عاد للظهور بقوة في منتصف عام ١٩٩٦ العام الذي نجح فيه في القضاء على موبوتو واعتلاء سدة الحكم، ولكن يمكننا بقليل من التأمل في كيفية وصوله إلى الحكم أن نعرف أين اختفى الثائر الماركسي الكبير، فقد أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية صراحة أن موبوتو لم يعد بمقدوره بعد ٣٨ عاماً أن يحمي مصالحها في زائير، وأن رجل الساعة المهيأ لقيادة هذه الدولة الغنية هو رولان ديزيريه كابيلا.!!

وكما فعلت الولايات المتحدة في تنصيب "أصدقائها" في منطقة البحيرات العظمى عن طريق الانقلابات العسكرية (يوري موسوفيني في أوغندا ١٩٨٥ وبول كاجام في رواندا ١٩٩٤) فعلت الشيء نفسه مع رولان كابيلا في زائير، وقد اقتنع الغرب بوجهة نظر الولايات المتحدة بأن الشيخوخة قد هيأت موبوتو لدور جديد يؤديه في أعماق الأرض داخل جدران القبر، واستوثقوا من الرجل الذي اختاره البيت الأبيض، فكان التمرد العسكري الناجح الذي قاده كابيلا وساعده فيه كذلك أقلية التوتسي، وأوصله إلى قصر الرئاسة في العاصمة كنشاسا في منتصف عام ١٩٩٧.

تنفس كابيلا الصعداء، بعدما تحقق حلم ظل حوالي أربعة عقود يصارع من أجله، تخلى خلال تلك السنوات الطوال عن الكثير من حلفائه وأصدقائه، فلم تعد تربطه صلة بالاتحاد السوفيتي الذي انهار، ولا بكوبا التي انشغلت بالحصار الأمريكي، وكون أصدقاء جدداً، وغض الطرف عن ماركسيته القديمة بعدما دب فيها الوهن وعلا رأسها الشيب ونخرت عظامها أمراض الشيخوخة.

ظنت قبائل التوتسي أن كابيلا سيرد لها الجميل سريعاً، وسيعيد إليها حقوقها التي سلبها موبوتو، لكن خاب ظنها، فمر على حكمه ثلاث سنوات لم تتحسن خلالها أحوال البلاد، فقط غير اسمها من زائير إلى الكونغو الديمقراطية، فاتهمه زعماء التوتسي السياسيين بأنه لا يمتلك برنامجاً سياسياً واضحاً، أما القادة العسكريون فاتهموه بالفساد وسوء الإدارة، وكانت الطامة التي جعلته على بعد خطوات من القبر هي قراره بإبعاد آلاف الجنود الرونديين الذين ينتمون إلى التوتسي ويعملون ضمن صفوف الجيش الرواندي الذي آزره في انقلابه، وبرر كابيلا ذلك القرار برغبته في تكوين جيش كونغولي خالص، وازدادت في الوقت نفسه هجمات الهوتو على هؤلاء الجنود المبعدين خاصة بعد أن اتهموهم بالمسؤولية عن المجزرة التي وقعت بين الهوتو والتوتسي في بورندي عام ١٩٩٣ وراح ضحيتها حوالي ١٠٠ ألف معظمهم من التوتسي.

تصاعدت وتيرة الأحداث، وتخلت الولايات المتحدة عن حليفها الجديد، الذي وجدته تلميذا غير مطيع، وفقد كابيلا دعم جيرانه، واستثار غضب أصدقائه في أوغندا ورواندا، ودخلت أنجولا على خط المواجهة بعد أن اتهمه رئيسها جوزيف إدواردو سانتوس بتسهيل دخول شحنة أسلحة لجبهة الاتحاد الوطني من أجل استقلال "يونيتا" عبر الأراضي الكونغولية، ورد كابيلا على اتهام الرئيس الأنجولي بحملة إعلامية ضرب خلالها على وتيرة النزاع العرقي، واتهم صراحة أقلية التوتسي في الكونغو الديمقراطية برغبتها في الانفصال والانضمام إلى إمبراطورية التوتسي التي قال كابيلا: إنهم يريدون إقامتها في منطقة البحيرات العظمى.

وفي ظل هذا الجو المشحون بالتوتر، وعودة الضغائن العرقية بين الهوتو والتوتسي تُطل برأسها من جديد، وانقلاب أصدقاء الأمس إلى أعداء اليوم، ومع تغلغل الخصوم في أعماق الجهاز الأمني، كانت الرصاصة التي انتهت معها حياة كابيلا الأب، وبدأت معها رحلة متاعب جديدة لجوزيف الابن الذي خلفه في الحكم؛ لتستمر مأساة هذا البلد الأفريقي الكبير دون توقف!!.

إن التحقيق في ملابسات مقتل لوران ديزيريه كابيلا لم يكشف حتى الآن جميع الملابسات المحيطة بهذه القضية. فرئيس الكونغو الذي بدا في الواقع أنه سقط برصاص أحد حراسه الشخصيين، المدعو رشيدي، كان ضحية مؤامرة مدبرة بكل عناية، ذلك أن يأس القاتل، الجندي الفتى الذي رافق حركة التمرد السابقة انطلاقا من كيفو واعتبر أنه لم يعط ما يستحقه من مكافأة على خدماته، لم يكن سوى ذريعة لتحقيق هدف أبعد بكثير من ذلك، فقبل الحادثة بأشهر كان الرئيس لوران ديزيريه كابيلا يصوَّر على انه العقبة الرئيسية في وجه اتفاق السلام المعقود في لوساكا (في زامبيا)، مع أن التورط في ما عرف ب "الحرب العالمية الإفريقية الأولى" يعود إلى أسباب مختلفة تماما.

فالاتفاق الذي وقع في ١٠ يوليو عام ١٩٩٩ والذي وضع على أساس فرضية الحرب الأهلية، قد انتقص من سيادة الكونغو. وخير دليل على هذا الخطأ هو البرنامج الزمني الذي وضع والذي نص أولاً على نزع سلاح " القوى الرافضة "، بعد وقف إطلاق النار، أي مختلف المجموعات المسلحة التي تهدد أمن البلدان المتحاربة (وفي نوع خاص الميليشيات الرواندية المسؤولة عن عمليات الإبادة الجماعية) ثم فتح حوار بين الفرقاء داخل الكونغو يرمي إلى إرساء نظام مؤسساتي جديد، ليأتي في المرحلة الأخيرة فقط انسحاب جميع القوات الغريبة سواء أكانت المجموعات الرواندية والأوغندية المسماة عدوانية أم القوات الزيمبابوية أو الأنغولية أو الناميبية التي تدعم كنشاسا في إطار معاهدة الدفاع المشترك الموقعة في مؤتمر التنمية في إفريقيا الجنوبية.

ففي نظر واضعي الاتفاق، ومنهم الدبلوماسي الأميركي هوارد وولب، أن نظام الكونغو لا يمثل سوى فريق من الفرقاء الموجودين على الساحة، وأنه مجبر على التفاوض على تقاسم السلطة بالتساوي مع سائر الأطراف بمن فيهم حركات التمرد الثلاث، وهي تجمع الكونغو من أجل الديموقراطية المدعوم من رواندا، وتجمع الكونغو من أجل الديموقراطية- حركة التحرر الذي اندمج أخيراً مع حركة تحرير الكونغو المدعومة من أوغندا وخلفاء موبوتو.

كما أن الاتفاق قد نص أيضا على أن يتمركز مراقبو الأمم المتحدة وأي قوات فصل مرتقبة، ليس على الحدود من أجل مراقبة انسحاب الجيوش الغربية وأي هجمات محتملة من المجموعات المسلحة التي تهدد رواندا وأوغندا، بل على خطوط الجبهة أي في وسط البلاد مما يهدد بتكريس حال التقسيم فيها.

وإزاء تهديد الجيش الرواندي باحتلال مدينة مبوجي مايي عاصمة مقاطعة كاسايي الغنية بالماس، المورد الاقتصادي الرئيسي في البلاد، اضطر لوران ديزيريه كابيلا عمليا إلى الموافقة على هذه التدابير. بعد ذلك حاول التحايل والالتفاف على الإجراءات التي لم تكن توافقه متذمرا من المفاوض كيتيمولي ماسيري رئيس بوستوانا السابق متهما إياه بالانحياز، واضعا العراقيل في وجه انتشار قوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة، ومحاولاً أن ينظم في ليبرفيل (في الغابون) لقاءات جانبية مع ممثلي المعارضة في المنفى والموبوتيين منهم في نوع خاص. كما أنه ظل يرفض إطلاق حرية العمل السياسي محاولا أن يفرض مجلسا دستوريا تابعا له وعاملا على تشكيل "لجان السلطة الشعبية" لتكون مهمتها استيعاب الشعب وتحريكه.

وأيًّا تكن الانتقادات الموجهة إلى الرئيس كابيلا، ومن أقربائه ضمناً، وبالتحديد في مجال عبادة الشخص والاستبداد، فيجب الاعتراف بأن ميزان القوى كان يميل إلى صالحه قبيل اغتياله.

فحركات التمرد، بما واجهته من الانقسامات الداخلية وما تعرضت له من عمليات الارتداد، بدت شيئا فشيئا دمًى يحركها حماتها الروانديون والأوغنديون وليس كممثلة فعلية للحركات الشعبية (رغم الاستقلالية النسبية التي تمتعت بها حركة تحرير الكونغو في المنطقة الاستوائية). ثم إن المواجهات الثلاث التي أسقطت كيزانغاني (وتجارة الماس فيها) في يد كيغالي وكمبالا، والتقارير حول انتهاك حقوق الإنسان والمجازر والنزاعات الإثنية في المناطق الخاضعة لسيطرة المتمردين، وعمليات نهب الثروات الطبيعية في الكونغو، كل ذلك أفضى إلى تحريك الرأي العام العالمي.

فإذا بمجلس الأمن يصدر العديد من القرارات التي أمرت، بمعزل عن البرنامج الموضوع في معاهدة لوساكا، بانسحاب جميع القوات الأجنبية ودعت إلى أن تبسط حكومة الكونغو سلطتها على مجمل أراضيها.

أما السيد جوزف كابيلا، ابن الرئيس القتيل بالتبني، فإنه، منذ تعيينه في ١٧ يناير عام ٢٠٠١، شرع فورا، وبناء على نصائح صائبة، في تقديم التنازلات في كل نقاط النزاع، متعهدا تطبيق جميع الإجراءات المنصوص عليها في معاهدة لوساكا، وإطلاق حرية العمل السياسي، وتنظيم الحوار بين الأفرقاء في الكونغو من دون أي تأخير.

وفي المقابل طلب إلى القوات الأجنبية أن تنسحب من البلاد مصرًّا على احترام وحدة الكونغو أرضاً وسياسة. غير أن ما حمل على استدعائه على جناح السرعة إلى واشنطن وباريس وبروكسل، هو قراراته في المجال الاقتصادي مثل تحرير سوق السلع والخدمات والماس والصرف وإطلاق حرية التعامل بالعملات الأجنبية وبالفرنك الكونغولي، كما أنه وعد في النهاية بأن يصدر، في أقرب مهلة ممكنة، قانونا جديدا خاصا بقطاع المناجم وآخر متعلق بمجالات الاستثمار.

ففي حين أن والده كان قد نقض، خلال حرب التحرير الأولى عام ١٩٩٧، الاتفاقات السابقة مع شركات المناجم الأميركية، وحاول أن يطبق في الكونغو خططًا اقتصادية موروثة عن البلدان الشيوعية السابقة، فإن السيد جوزف كابيلا قد قلب الصفحة وفتح البلاد على اقتصاد السوق.

وليس الغربيون وحدهم من اغتبطوا بذلك وأكدوا دعمهم الرئيس الشاب، بل إن شعب الكونغو الذي أنهكته الحرب والحصار المفروض بحكم الواقع منذ العام ١٩٩٢ (حين انقطعت العلاقة بين نظام موبوتو والدول المولة) ، بات يأمل مجددا في استئناف المعونات الدولية وفي عودة الاستثمارات الخارجية لتوفّر فرص العمل وفي انتهاء الإجراءات الاقتصادية الشاذة.

وإذا كان كابيلا الابن لم يخن في العمق وطنية والده، فإن منطق التسامح عنده وتحوله الاقتصادي قد وفرا ربما للقوى المتصارعة وللمجتمع الدولي الفرصة التي طالما انتظروها للخروج بشرف من هذا المستنقع. فقد تبين أن الحرب التي خاضتها على أرض جمهورية الكونغو الديموقراطية خمس دول أجنبية وحوالى اثنتي عشرة مجموعة مسلحة، قد انتهت بفشل جميع أطراف النزاع فيها.

وكان تحالف القوى العاملة من أجل ديموقراطية الكونغو وتحريره، قد أسقط كينشاسا بعد سبعة أشهر من الحرب مدعوما من الولايات المتحدة وبمشاركة أنغولا وزيمبابوي، ليحمل إلى السلطة في العام ١٩٩٧ لوران ديزيريه كابيلا الناطق باسم الحركة هذه. وهذا النصر الذي لقي ترحيبا كبيرا على أنه يمثل "النهضة الإفريقية"، كان يخفي التباسات شائكة وتضاربا محتملا بين مصالح الشعب ومصالح البلدان التي صنعت أو ساعدت هذا التحالف والتي كانت تنوي الخروج من ذلك بمنافع اقتصادية وسياسية.

وهكذا أبقت رواندا مستشاريها العسكريين بالقرب من لوران ديزيريه كابيلا فيما كان الكثير من الوزراء يقدمون التقارير مباشرة إلى كيغالي. أما الرئيس الأوغندي يوويري موسيفيني فقد كان يحلم من جهته بشق طريق وحتى بإنشاء خط سكك حديد، تكون أوغندا رأس الجسر فيه، ويربط كمبالا بكيزانغاني ويفتح إفريقيا الوسطى على التجار الآسيويين.

ومن جهتها كانت زيمبابوي تستعدّ لعقد اتفاقات مع كينشاسا في قطاع المناجم ولتزويد أسواقها السلع الأساسية، منتقمة بذلك من جنوب أفريقيا التي كانت قد "سلبتها" سوق موزامبيق.

لكن "واجب نكران الجميل" من جانب الرئيس كابيلا قد بدد هذه الآمال، فهو قد أعاد النظر في الاتفاقات المتعلقة بالمناجم، وطرد مستشاريه الرونديين وانتقد الاحتكارات الحرجية التي كان الأوغنديون يقتطعونها لأنفسهم في شمال شرق البلاد.

في بداية الأمر كان نشوب الحرب الثانية في الكونغو، في أغسطس عام ١٩٩٨ محاولة لإحلال فريق عمل أكثر قربا من كيغالي وكمبالا مكان المقاوم السابق الذي اعتبر غير خاضع للسيطرة. فيما كانت رواندا وأوغندا تأملان في تحقيق تنميتهما بواسطة استثمار ثروات جارهما الهائلة وراحتا تتذرعان بحجة الأمن كي تطالبا بحق تدخل جيشيهما في أراضي الكونغو.

غير أن هذه العملية التي وافقت عليها الولايات المتحدة إن لم تكن قد أمرت بها، والتي كان من المفترض بها أن تكون حربا خاطفة، قد تعقدت عندما عارضت كل من أنغولا وزيمبابوي هجوم هذه القوات العاملة خلف واجهة الحركة المتمردة، " تجمع الكونغو من أجل الديموقراطية ".

بعد ذلك تأزمت الحرب وخسر فيها كل من أطرافها أكثر بكثير مما كان يتوقعه أولا. وفي الواقع أن المتمردين، وقد ساءت نظرة الشعب فيهم الذي لم يؤيد هذه الحرب الثانية أبدا، قد انقسموا إلى ثلاث حركات متخاصمة (تجمع الكونغو من أجل الديموقراطية، حركة التحرير، وحركة تحرير الكونغو).

أضف إلى ذلك أن زعيمي رواندا واوغندا، السيدين بول كاغامي ويوويري موسيفيني، وقد باتا خصمين إن لم نقل عدوين، فقدا هالتهما كـ" قائدين جديدين " ووجدا نفسيهما مجبرين من مجلس الأمن على سحب قواتهما من أراضي الكونغو.

أما الأسباب التي جرى التذرع بها لخوض هذه الحرب فقد انحسر الحديث عنها إزاء الدوافع الحقيقية لكل من الفرقاء، والمتمثلة باستغلال ثروات الكونغو بشكل سافر. وهكذا نجد في كيفو مثلا أن شركة "سوميغل" (شركة مناجم في منطقة البحيرات الكبرى) تحتكر شراء معدن "الكولومبو تانتاليت" الخام (كولتان) الغالي الثمن والضروري في صهر المعادن المستخدمة في صناعة الطائرات والهواتف الخلوية والكومبيوترات.

وهذه الشركة تنقل المعدن الخام إلى رواندا ومن هناك إلى أوروبا والولايات المتحدة بواسطة الشركات الثلاث: " افريكوم " و" بروميكو" و" كوجيكوم " (وهي على التوالي بلجيكية وروآندية وجنوب إفريقية) . ولا تستوفى أي رسوم جمركية على الحدود مع رواندا في كيفو حيث يعيش الشعب الكونغولي هذا الوضع على أنه عملية ضم، بحكم الواقع. وهذه الثروات التي تجنى في الكونغو والتي تستخدم لتمويل موازنة الدفاع، قد أدت في كيغالي إلى بروز طبقة سياسية عسكرية جديدة تتميز بالفساد حتى بات النظام يلقى استياء من جانب قبائل التوتسي ومن الأوساط الملكية على حد سواء.

أما في كمبالا، فإن الكولونيل كيسا بيزيغي، المنافس الأساسي للرئيس موسيفيني، قد ركز في حملته للانتخابات الرئاسية على التشهير بحرب الكونغو. والجيش الأوغندي يحمي بشكل مكشوف، في المناطق الخاضعة لسيطرته، متاجر الذهب والماس وينظم استيراد السلع الاستهلاكية الأوغندية ويصدر البضائع النفيسة مثل الذهب والماس والقصدير والبن والخشب الغالي وحتى البترول الذي اكتشف أخيراً في وادي سمايكي.

أما من ينظم عملية فرض الخوة هذه على الثروات الكونغولية فهما الجنرال سليم صالح والعميد كازيني المقربان من الرئيس موسيفيني.

أضف إلى ذلك أن أوغندا متهمة بزرع الشقاق بين الإثنيات الكونغولية وبتشجيعها سرًّا المواجهات بين قبائل هيماس ولاندوس التي سقط فيها مئات القتلى في ضواحي بونيا.

وإضافة إلى الانحطاط الأخلاقي وفساد السلطة والمعارضة الداخلية، فإن حرب الكونغو قد تسببت بخلاف بين أوغندا والدول الممولة بعدما كانت هذه الأخيرة تقدمها على أنها " نموذج النجاح الافريقي".

ومن جهة أخرى فإن اضطراب الحال الأمنية في كيفو والذي كان اتخذ ذريعة لتبرير حرب الكونغو الثانية، قد زاد تفاقما، فجماعات البانياMولنجي من قبائل التوتسي الكونغولية والتي كانت كيغالي تدعي الدفاع عنها، قد باتت الآن محاصرة في هضابها العالية وهناك "الجبهة الجمهورية الفيديرالية" المدعومة من نخب هذه الجماعات تتهم علناً رواندا والتجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية بأنهما كانا وراء خلافهما مع جيرانهما الكونغوليين.

وفي كافة كيفو فإن الهجومات تتضاعف ضد الكنائس والمراكز الصحية، وحبل الأمن مضطرب عموماً. وفيما كيغالي تستنكر التلاحم بين "القوى المناهضة" (الانترهاهاموي) وقوات المقاومة الكونغولية مايي مايي، فإن العديد من المصادر الكونغولية يؤكد أن الجيش الرواندي يستقدم إلى كيفو أسرى الهوتو الذين يكلفون في ما بعد جهاراً، بإثارة القلاقل من أجل تبرير استمرار وجود رواندا في هذه المنطقة التي شكلت على الدوام متنفساً ديموغرافياً واقتصادياً في كيفو.

وحتى وإن كانت الأمم المتحدة تشرف على انسحاب القوات الأجنبية وتنتشر على خط الجبهة فإن الوضع يبقى متفجرا في كيفو، ففي الواقع أن هذه المنطقة تشكل أيضا قاعدة خلفية لقبائل الهوتسو البوراندية التي كثفت من هجوماتها على العاصمة بوجومبورا في فبراير من هذا العام ويبدو أن كل شيء يجري وكأن "حرباً داخل الحرب" باتت تدور في هذه المقاطعة والهدف منها هو زعزعة الاستقرار أولاً في بوروندي ومن ثم في رواندا.

كما تبين أن حرب الكونغو قد انعكست سلبا على حلفاء الرئيس المغدور رغم المكاسب الاقتصادية والأمنية الفورية التي حققتها كل من زيمبابوي وأنغولا. وفي الحقيقة أن التزام دعم التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية قد تراجع في سقوط نظام السيد روبير موغابي، إذ إن المعارضة قد استغلت ذلك في معركتها.

وبالنسبة إلى زيمبابوي كانت قضية الكونغو أيضا تجارية، حيث إن رئيسها وظف ٢٠٠ مليون دولار لتمويل الحرب الأولى واندفع في الحرب الثانية لحماية وحدة البلاد ولدعم صديقه القديم كابيلا، إنما من أجل حماية استثماراته أيضاً.

وبعد ذلك صار لجيش زيمبابوي وجوده على الصعيدين العسكري والاقتصادي، فقوات الدفاع الزيمبابوية عقدت عبر شركتها "زيدكو"، العديد من الاتفاقات تحت ستار التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية، وكان محورها السيد ايمرسون منانغاغوا وزير العدل السابق وأمين صندوق حزب «زانو. ب.ف». والجنرال فيتاليس زفينافاشي صاحب إحدى شركات النقل.

وقد كوفئت زيمبابوي بسخاء على التزامها عبر الاتفاقات العسكرية (ومما نصت عليه تزود الأسلحة الصينية) كما منحت نصف مليون هكتارا من الأراضي في كاتانغا قدمت إلى سلطة التنمية الريفية، إضافة إلى إمدادها بالطاقة الكهرمائية.

وأيا يكن فإن تواجد زيمبابوي في قطاع المناجم كان أكثر وضوحاً وأكثر ما لاقى معارضة. هكذا عندما سلم لوران ديزيريه كابيلا في سبتمبر عام ١٩٩٨ السيد بيلي راوتنباخ صاحب شركة "ويلز أوف أميركا" إدارة شركة "جيكامانيز" ومنحه استثمار العديد من الاحتكارات المهمة، كان لزيمبابوي أيضا حصتها في استثمار الماس في مبوجي مايي عبر شركة "أوزلغ" (أوبيرايشون سوفراين ليجيتيمايسي).

وإن كانت هذه الشبكة من المساهمات التجارية قد أتت مكافأة لبعض أزلام النظام فإنها في أي حال لم تعد بالنفع على البلاد في حد ذاتها. فالمؤسسات المالية الدولية قد عاقبت زيمبابوي تحديدا بسبب مشاركتها في الحرب عبر التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية، وخصوصاً عندما جمدت لها قرضا بقيمة ٢٤٠ مليون دولار مما أوقع النظام في أزمة ضاغطة.

وحدها أنغولا التي تبدو القوة العسكرية الرئيسة في المنطقة، خرجت سليمة نسبيا من مشاركتها في التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية إنما من دون أن تتمكن

من أن تلغي نهائيا "الاتحاد من أجل استقلال أنغولا التام". ففي نظر قادة لواندا تحظى الدواعي الأمنية بالأولوية، كون الانتصارات التي تحققت أخيراً على السيد جوناس سافيمبي ليست حاسمة حتى الآن.

كما اعتبرت المشاركة في الحرب عبر التجمع الكونغولي من أجل الديموقراطية فشلاً بالنسبة إلى منظمة الوحدة الأفريقية التي تبين أنها بدت عاجزة عن فرض حل لهذه "الحرب العالمية الأفريقية الأولى"، رغم تعدد اللقاءات والقمم وتكليف الرئيس الزامبي فريديريك شيبولا مهمة الوساطة.

كما تعتبر أيضا فشلا بالنسبة إلى الأمم المتحدة، فحتى الآن تم خفض عديد قوات حفظ السلام التابعة لها والتي أوكلت إليها مهمة مراقبة وقف إطلاق النار في بلد تبلغ مساحته اربعة أضعاف مساحة فرنسا، من ٥٥٣٧ عنصراً إلى ٣٠٠٠ عنصر.

إن هذه السياسات المترددة الناتجة من المعوقات الكونغولية ومن النقص في الاعتمادات، إنما أيضا من انعدام الرغبة السيلسية لدى أعضاء مجلس الأمن ما كان لها أن تعيد الاعتبار إلى منظمة الأمم المتحدة في المنطقة. فحتى الآن لم تستطع المنظمة تبييض صفحتها بعد تخليها عن رواندا في العام ١٩٩٤، وبعد إشرافها على مخيمات لاجئي الهوتو الروانديين في تنزانيا وخصوصا في كيفو والذي كان من نتائجه استمرار آثار الحرب طويلا وزرع بذور حرب جديدة. أضف إلى ذلك أنه في ما بعد بدت المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية عاجزة عن حماية اللاجئين الهاربين إلى الأدغال الكونغولية.

وقد اعتبرت هذه الحرب مأساة حقيقية بالنسبة إلى الشعب الكونغولي الذي لم يستطع قط فهم أسبابها. وفي تقديرات منظمة "انترناشيونال ريسكيو كوميتي" وهي منظمة أميركية غير حكومية، أن ١,٧ مليوناً من سكان شرق البلاد كانوا ضحايا ويلات الحرب وأن ٢٠٠٠٠٠ حالة وفاة مكتشفة هي ناتجة مباشرة من أعمال العنف. ثم إن السيدة كارولين ماك اسكي، منسقة وكالات الغوث التابعة للأمم المتحدة، قد

أعلنت لدى تلاوة تقريرها أمام مجلس الأمن، أن ١٦ مليون كونغولي (أي ما يعادل ثلث الشعب) قد واجهوا نقصا غذائيا وأن الحرب قد تسببت في تهجير مليوني شخص داخل البلاد ودفعت ٣٠٠٠٠٠ كونغولي إلى اللجوء إلى البلدان المجاورة.

في العاصمة كينشاسا يضطر السكان بسبب النقص في المحروقات ووسائل النقل إلى السير ساعات طويلة في مدينة يبلغ طولها ٤٠ كيلومترا. وقد درجت بين العائلات عادة التناوب على وجبات الطعام فيأكل البالغون في الأيام ذات التاريخ المزدوج والأولاد في الأيام ذات التاريخ المفرد. وقد كان لتحريم الملاحة المدنية في الانهار، وهي الشرايين الحيوية في هذا البلد الذي يفتقر إلى طرق المواصلات، نتائج مؤلمة على سكان الداخل.

ففي مدن مثل اكيتي أو بومبا في المقاطعة الاستوائية ينتهي الأمر بمحاصيل البن والمنيهوت والأرز التي كانت تنقل في ما مضى إلى كينشاسا، إلى الإتلاف في أمكانها أو تحمل إلى أوغندا فيما السكان تنقصهم الأدوية والملابس. وحتى الملح الذي يستورده التجار، يضطرهم، إلى السفر إلى كيزانغاني التي تقع على بعد ما يزيد على ٢٠٠٠ كيلومتر يجتازونها على الدراجات عبر الغابة الاستوائية.

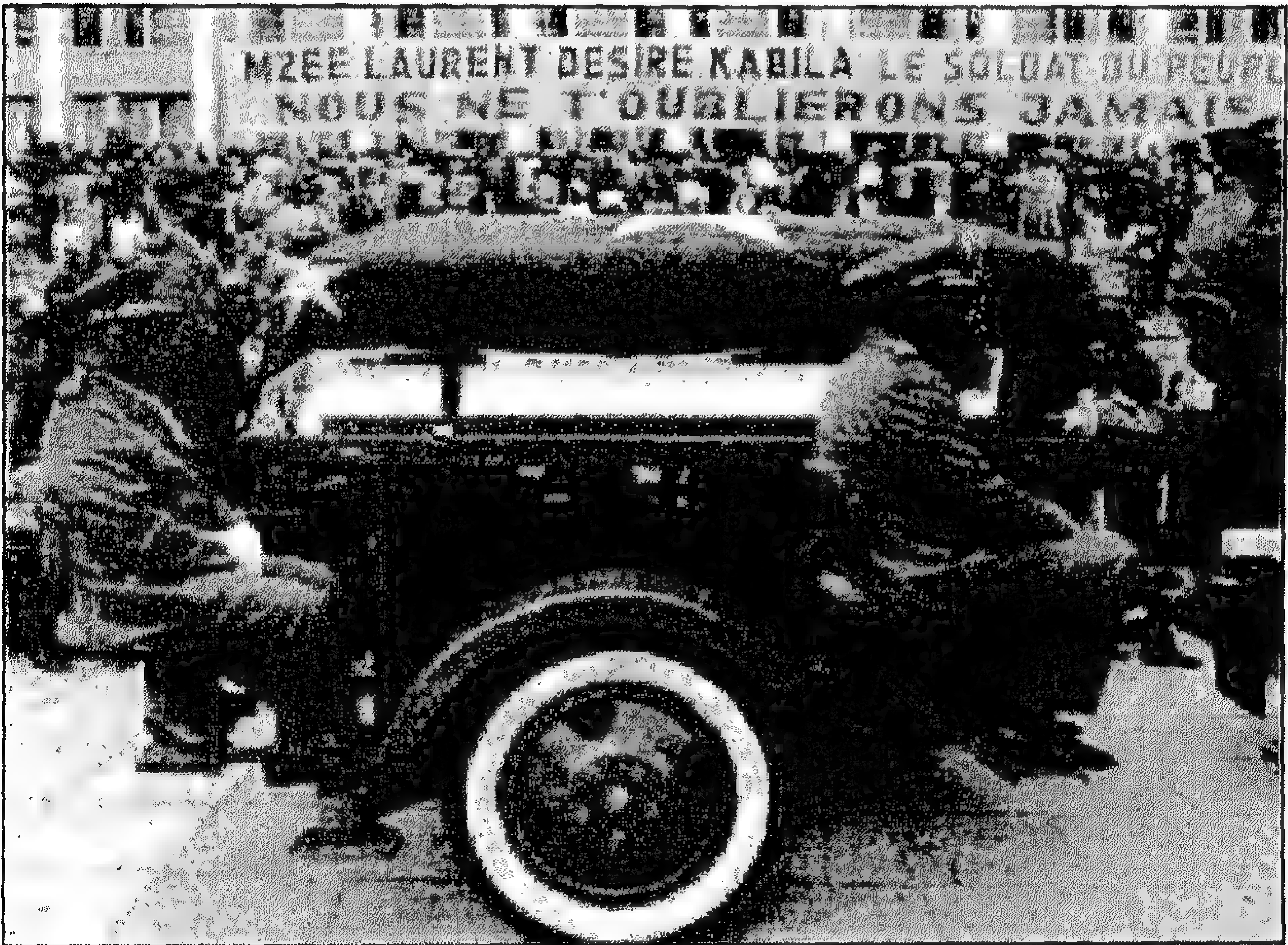
ومن الكوليرا إلى السل إلى الحميات المسببة للنزيف إلى مرض النوم والسيدا التي تنتشر عبر مختلف المجموعات المسلحة. في اختصار كل الأوبئة الخطيرة تستشري من جديد في مجمل أراضي البلاد وتفتك بالسكان.

ومع ذلك، فإن أهل الكونغو يعتبرون أنفسهم أكثر من أي وقت مضى أبناء البلد الواحد. وفي كل مكان، في مناطق التجمع من أجل الديموقراطية كما في الخارج، تتعدد المؤتمرات والخلوات واللقاءات بمبادرة من الكنيسة أو من المجتمع المدني والمنظمات غير الحكومية الأجنبية، مما يوفر الكثير من الفرص للقاءات الإنسانية ولتبادل الأخبار التي تشهد لمقاومة الكونغوليين للاحتلال ولتقسيم بلدهم وللوصاية الخارجية.

إن ثبات الشعور الوطني وتحفيز الشعب سياسيا إلى أقصى الحدود يمكن أن يؤديا ربما إلى رفع الوصاية عن الكونغو والى التوقف عن البحث في مصيره في المؤتمرات الدولية وكأنما هو أرض خالية أو "سائبة" بحسب ما كانت توصف به في أيام الملك البلجيكي ليوبولد الثاني. أن الكونغو، قويةً، توفر الفرص لاستقرار المنطقة بأكملها.

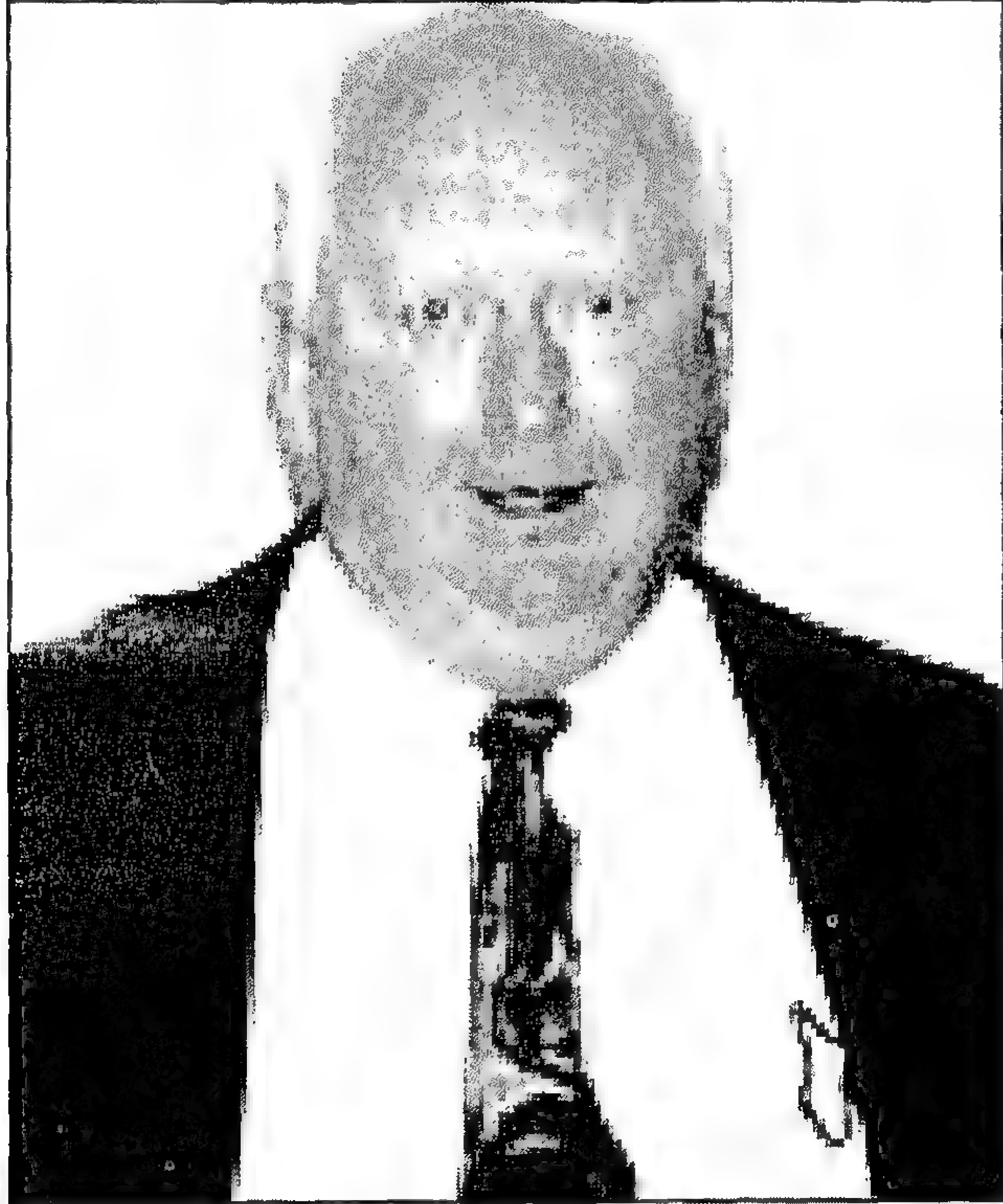


جوزيف كابيلا .. الابن الذي أصبح رئيساً بعد قتل أبيه !!



جثمان كابيلا الأب .. ذهب وذهب سره معه !!

١٠ - سر مقتل الدبلوماسي الأمريكي في الأردن !!



•• وتجسد الجريمة احترافية غير مسبوقة ودقة متناهية .. وحقيقة عدم توافر القدرة على فك طلاسمها !!

تبدو حادثة اغتيال الدبلوماسي الأمريكي لاري فولي في عمان يوم الإثنين ٢٨أكتوبر عام ٢٠٠٢ مختلفة عن سياق أحداث العنف التي وقعت في عمان واتهمت أو أدينت بتنفيذها مجموعات إسلامية متطرفة تتجه الأنظار إليها تلقائيا باعتبارها مسؤولة عن عملية الاغتيال.

فالتنظيمات الأصولية والمتطرفة التي يعلن عنها دائماً بمعدل تنظيم كل سنة تقوم – كما يظهر- لأجل عملية واحدة ثم يعتقل أعضاؤها ويفكك التنظيم ولا يعود له أثر أبدا .

المعلومات الأولية عن هذا الحادث كانت تقول إن منفذيه أكثر احترافا وخبرة من منفذي جميع العمليات السابقة التي أعلن عنها والتي كان يغلب عليها السذاجة والمعرفة المسبقة بأصحابها واكتشافها في وقتها أو قبل وقوعها.

وقد استجويت السلطات الأمنية الأردنية عددا من الناشطين الإسلاميين في نطاق التحقيقات التي أجرتها في عملية الاغتيال. ولكن السطات استخفت بادعاء تنظيم مغمور يطلق على نفسه اسم " شرفاء الأردن " مسؤوليته عن اغتيال فولي.

وكان التنظيم المذكور قد أعلن من خلال بيان بعث به إلى صحيفة القدس العربي الصادرة في لندن مسؤوليته عن العملية التي قال إنه نفذها احتجاجا على الدعم الذي تقدمه الولايات المتحدة لإسرائيل، ولإراقتها دماء المسلمين في العراق وأفغانستان.

وكان فولي، الذي لقي مصرعه، يعمل في وكالة التنمية الأمريكية، ويبلغ من العمر الثانية والستين من عمره، وقد أُطلقت النيران عليه عدة مرات من مسافة قريبة أثناء مغادرته منزله متوجها إلى عمله في السفارة الأمريكية.

وقد عثرت زوجته على جثته بعد قليل واتصلت بالشرطة، التي طوقت المنطقة، وبدأت في البحث عن أدلة وقامت برفع البصمات. ولم تذكر زوجته ولا أحد من الجيران أو المارة أنه سمع صوت إطلاق نار مما يرجح أن القاتل استخدم كاتما للصوت.

ويمكن أن تصنف حادثة اغتيال الدبلوماسي الأمريكي في سياق مجموعة من أعمال العنف التي اعتبرت غير سياسية مثل مقتل تاجر الماس الإسرائيلي عام ٢٠٠١ ومقتل رجل الأعمال العراقي أوجي ومعه مجموعة من ضيوفه وأصدقائه عام ١٩٩٧ ومقتل حنا ندة أحد أكبر المحامين في الأردن، وليس المقصود من هذا اعتبار مقتل الدبلوماسي الأمريكي حادثة غير سياسية ولكن التشابه هو في دقة التنفيذ واحتراف المنفذين وغياب المعلومات المسبقة عنهم.

وقد بدأت منذ أوائل التسعينيات عمليات عنف محدودة نسبت إلى مجموعات إسلامية صغيرة.. والتنظيمات الأصولية والمتطرفة التي يعلن عنها دائماً بمعدل تنظيم كل سنة تقوم - كما يظهر- لأجل عملية واحدة ثم يعتقل أعضاؤها ويفكك التنظيم ولا يعود له أثر أبداً.

وقد أخليت السجون تقريبا من المتهمين بالعنف والتطرف عام ١٩٩٩ في عفو عام أصدره الملك عبد الله الثاني بمناسبة توليه الحكم وكان عددهم آنذاك ٦٤ شخصا.

ففي عام ١٩٩١ أعلنت الحكومة عن اعتقال مجموعة تسمى "جيش محمد" وقدمت المجموعة إلى المحكمة تهمة تنفيذ مجموعة من الأعمال الإرهابية مثل إحراق مكتبة المركز الثقافي الفرنسي، وإطلاق النار ليلا على واجهة بنك بريطاني، وتفجير سيارة لأحد ضباط المخابرات العامة، وسيارة أخرى لرجل دين مسيحي.

وصدرت بحق أعضاء المجموعة أحكام قاسية ثم أطلق سراحهم في عفو عام صدر عام ١٩٩٢ ولم يعد أحد يسمع عن جماعة اسمها جيش محمد وانخرط

أعضاؤها الذين ينتمي معظمهم إلى فئة محدودة التعليم في الحياة وانقطعت صلتهم باعتقادهم .

وكان الإعلان عن هذه الجماعة للمرة الأولى في مدينة بيشاور الباكستانية في أواخر الثمانينيات وكان أحد أساتذة الجامعة الأردنيين يعلن نفسه قائدا لجيش محمد العالمي، ولم يكن واضحاً لماذا يختار هذا الشخص الذي يمارس عمله الجهادي بطريقة إعلامية استعراضية وبدائية في الوقت نفسه الأردن فقط من دون دول العالم لمهاجمة الحكم والعمل على إقامة دولة الخلافة فيها.

ثم عاد هذا الرجل إلى عمان في أوائل التسعينيات وهو اليوم أحد كبار موظفي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الأردن وعمل أيضا عميدا لكلية الدعوة وأصول الدين التابعة للوزارة، وكان لفترة طويلة من الزمان يحتكر الظهور في الإعلام الإسلامي الرسمي في التلفزيون.

ثمة تطرف إسلامي في الأردن، وهناك حركات وأحزاب منظمة ترعى هذا المنهج مثل حزب التحرير الإسلامي وحركات وتنظيمات تدعي السلفية، ولكن أعمال الإرهاب التي أعلن عنها لم تكن من فعل هذه الجماعات

النفير الإسلامي هو مثلاً تنظيم أعلن عن اكتشافه عام ١٩٩٢، واعتقل النائبان ليث شبيلات ويعقوب قرش وشخصان آخران وحكم عليهم بالإعدام ثم خفف الحكم إلى المؤبد، وخرجوا من السجن بالعفو العام عام ١٩٩٢، ولم يسمع أحد بعد ذلك عن هذا التنظيم الذي يؤكد شبيلات أنه لم يكن موجوداً أبداً، وأن شهوداً مزورين استدرجوا من الخارج وقدموا معلومات وإفادات غير صحيحة، ولم يعلن عن هوية هؤلاء الشهود، وقدمت لهم أسماء وأشكال مستعارة.

واعتقل عام ١٩٩٣ مجموعة من تلاميذ جامعة مؤتة العسكريين وحكم عليهم بالإعدام والسجن المؤبد، ولكن أحكام محكمة أمن الدولة بدأت منذ ذلك العام تخضع

للاستئناف في محكمة التمييز التي برأت المتهمين جميعهم، ورأت أن قضيتهم مفبركة وأن أقوالهم انتزعت بالتهديد والتعذيب، وتعرضت بعد ذلك محكمة التمييز لتصفية كارثية حيث استقال عدد كبير من القضاة الكبار الذين نظروا في هذه القضية.

وفي عام ١٩٩٤ أعلن وزير الداخلية في التلفزيون عن اكتشاف تنظيم سمي "الأفغان الأردنيين" يسعى لمهاجمة البنوك ودور السينما واغتيال النواب وقادة الفكر.. كانت المضبوطات والأدلة أشياء لا تكفي لتنفيذ مثل هذه الأعمال التي أعلن عنها وزير الداخلية، ولم تتجاوز هذه المضبوطات التي وجدت بحوزة المجموعة مسدساً أو اثنين وأربعين ديناراً، وكان أعضاء التنظيم المذكور وهم ثلاثة وعشرون شاباً معظمهم لم يذهب إلى أفغانستان ولا يعرفون بعضهم، قام بعضهم بتفجير دارين للسينما في عمان والزرقاء، وهي تفجيرات لم تصب سوى منفذها، فالشاب الذي وضع العبوة المتفجرة في دار السينما مصاب بمرض نفسي، وقد أعفي من الخدمة العسكرية بسبب مرضه هذا، وهو غير متدين ولا يؤدي الحد الأدنى من الفرائض الدينية، ويبدو أنه لم يكن يعلم ماذا يفعل وأنه استدرج من قبل شخص آخر، وقد حكم على الشاب بالسجن المؤبد ثم أطلق سراحه في عفو خاص بسبب ظروفه الخاصة ولأنه رب عائلة وللاقتناع ببراءته.

وجاء في حيثيات المحكمة أنه غرر به شخص آخر وأعطاه عشرين ديناراً ليضع العبوة في السينما، وطلب منه أن يحضر الفيلم ثم يخرج مع الناس، وكان يجب أن تفجر السينما بعد خروج الحاضرين جميعهم، بحيث لا يصاب أحد، ولكنها انفجرت بالشاب في أثناء جلوسه ومشاهدته للفيلم، وهنا ينشأ سؤال بديهي ستكون إجابته أن المخططين والمنفذين على درجة من قلة الخبرة بحيث لم يستطيعوا أن يضبطوا توقيت الانفجار، أو أنه مغرر بهم لدرجة قتلهم.

واتهم شاب سعودي بتمويل هذه المجموعة وقد سلم إلى الأردن في أثناء مروره بالولايات المتحدة وكان قد حكم عليه غيابياً بالإعدام، ولكن عندما أعيدت محاكمته وجدته محكمة أمن الدولة بريئاً.

وفي عام ١٩٩٥ تعرض دبلوماسي فرنسي لإطلاق نار عليه، واتهم بالشروع بالقتل شابان إسلاميان ثبت أنهما لم يطلقا النار وقد برأتهما محكمة الجنايات، ولكن محكمة أمن الدولة أدانتهما بالإرهاب وحيازة المتفجرات.

السياق العام للتطرف والعنف في الأردن يبدو مختلفا عن الحادثة الأخيرة مما يرجح بأنها بفعل مجموعة دولية عابرة للحدود وربما لا يكونون من الإسلاميين ابتداء بل من مجموعات أخرى نائمة من تلك التي كانت ناشطة حتى نهاية الثمانينيات، أو أن ثمة جيلا جديدا من المجموعات المتطرفة أكثر تدريبا وخبرة .

وفي عام ١٩٩٦ ألقي القبض على أربعة شباب انتزعوا ألغاماً من حقل للألغام زرعها الجيش عام ١٩٦٨ للتصدي لهجوم عسكري يمكن أن تقوم به إسرائيل، وصار الحقل منطقة مهجورة تسلل إليها الشباب ليلاً وانتزعوا منها عدداً من الألغام، وقبض عليهم متلبسين بالعمل قبل أن ينفذوا شيئاً من مخططاتهم التي قيل إنها تستهدف السياح الإسرائيليين.

وفي عام ٢٠٠٠ أعلنت الحكومة عن القبض على مجموعة بتهمة التخطيط لعمليات إرهابية تستهدف أماكن سياحية وشخصيات سياسية وأجنبية ولم تكن هذه القضية مختلفة كثيراً عن قضايا التطرف الإسلامي التي أعلن عنها، ولكن الجديد هذه المرة ما يظهر أكثر من السابق من مشاركة أمريكية في التعامل مع القضية، فقد أعلنت الدوائر الأمريكية عن قصة اعتقال مجموعة من المتطرفين المرتبطين بأسامة بن لادن في بلد شرق أوسطي وأنهم يخططون لعمليات إرهابية ضد أمريكا، ويبدو أن هذا الإعلان الأمريكي دفع رئيس الوزراء الأردني حينها عبد الرؤوف الروابدة ليعلن أمام النواب عن اعتقال ثلاثة عشر متطرفا إسلاميا بينهم عراقي وجزائري تلقوا تدريباً في أفغانستان، وبعضهم سبق اعتقاله في قضايا إرهاب سابقة.

لا تقدم الأقوال الحكومية تفصيلات تصلح لرصد تطورات أو فهم مخططات جديدة غير تلك التي دأبت الحكومة على اكتشافها ومحاكمة أصحابها منذ عام

١٩٩١، ويبدو أن بعض المعتقلين سبق اعتقاله في قضايا سابقة، مثل جيش محمد، ومحاولة تفجير جسر الشيخ حسين (معبر حدودي على نهر الأردن بين الأردن وإسرائيل) في شمال الأردن.

وذكرت المصادر أن أحد المعتقلين وهو محمد أبو غوشر هو من مؤسسي تنظيم جيش محمد الذي أعلن عن اكتشافه واعتقال أعضائه عام ١٩٩١ وأنه على صلة بتنظيم "الإصلاح والتحدي" الذي أعلن عنه عام ١٩٩٨ حيث نسب إلى أعضائه تفجير سيارة مسؤول أمني سابق، وسيارة إسرائيلية في موقف تابع لأحد الفنادق، وتفجير سور مدرسة أمريكية في عمان.

القراءة الأولية لمعطيات هذا التنظيم الذي أعلن عن اكتشافه وعن مخططاته الإرهابية تشير أنه إضافة غير نوعية إلى العمليات والتنظيمات التي يعلن عن اكتشافها منذ عام ١٩٩١ والتي يغلب عليها السذاجة والهامشية، والاختراق، والتوظيف الإعلامي والسياسي، فالتنظيم اكتشف في مرحلة التخطيط وقبل حدوث عمليات إرهابية، مما يؤكد حجم الاختراق والحضور الحكومي في وسط هذه التنظيمات إن كانت موجودة بالفعل.

وما حدث لتنظيم الأفغان العائدين حدث مثله أو قريباً منه لجميع التنظيمات والمخططات المتطرفة التي أعلن عنها في الأردن، فقد كانت تنفذ عمليات محدودة يكتشف فاعلوها بسرعة قياسية، أو لا تحدث عمليات ابتداءً وتكتشف في مرحلة التخطيط والإعداد.

التطرف.. مجموعات هامشية صغيرة غير إرهابية.

و يغلب على هذه العمليات والمخططات أنها من فعل مجموعات أو خلايا صغيرة، وليست جماعة أو تنظيماً كبيراً يمتلك أعضاء وقيادات وهياكل إدارية وتنظيمية، ففي جميع المرات التي كشفت فيها عن هذه التنظيمات كانت أعداد المعتقلين تتراوح

بين ثلاثة إلى خمسة عشر معتقلاً فقط يكونون عادة على علاقة صداقة سابقة ويخططون معاً لعمل عسكري، وغالباً ما تكون نقطة الاختراق أو الاكتشاف عندما تحاول هذه المجموعة الحصول على سلاح أو تدريب أو معونة فنية.

تبدو مجموعة الإصلاح والتحدي التي أعلن عنها عام ١٩٩٧ أكثر احترافاً من المجموعات الأخرى وقد نفذت مجموعة عمليات رمزية إعلامية مثل تفجير سيارة إسرائيلية وسيارة مسؤول سابق وتفجير سور مدرسة أمريكية في عمان، وتحدثت الصحافة عن اعترافات متهمين بقضايا جرمية خطيرة مثل قتل رجال شرطة وسطو مسلح مصحوب بالقتل اعترف هؤلاء المجرمون العتاة بأنهم مسؤولون عن عمليات الإصلاح والتحدي ولكن المحكمة لم تأخذ بأقوالهم هذه واعتبرتها محاولة لتضليل المحكمة.

وحوكمت مجموعات من الإسلاميين بتهمة محاولة نقل سلاح من الأردن إلى فلسطين، وتحاكم مجموعة أخرى بتهمة تفجير سيارة أحد ضباط المخابرات العامة وقد قتل في تلك العملية عابرا سبيل كانا في المكان أحدهما عراقي والآخر مصري.

ثمة تطرف إسلامي في الأردن، وهناك حركات وأحزاب منظمة ترعى هذا المنهج مثل حزب التحرير الإسلامي وحركات وتنظيمات تدعي السلفية، ولكن أعمال الإرهاب التي أعلن عنها لم تكن من فعل هذه الجماعات والأحزاب وإنما كانت تقوم بها مجموعات غير منظمة استدرجت في الغالب أو أن الغموض يحيط بأعمالها.

وثمة مجموعات متطرفة منتشرة في الأردن وتتجمع حول شيوخ صغار، وهي غالباً امتدادات للجماعات السلفية أو مجموعة خرجت من الإخوان المسلمين، ولكنها برغم تطرفها ونزعتها التكفيرية للحكومات والأفراد والمجتمعات لم تشارك في أعمال عسكرية منظمة أو بصفة تنظيمية، ولكن جميع العمليات التي أعلن عنها كانت مبادرات فردية يغلب عليها الارتجال، وهي حسب معطيات التحقيق والمحاكمة التي تنشر عادة في الصحف تكون لعملية أو مهمة محددة تتمحور حولها المجموعة،

مثل محاولة تفجير مكان سياحي أو ترفيهي أو باص يقل السياح الإسرائيليين.. ولم تنفذ واحدة من هذه المخططات وليست أسماء هذه الجماعات والتنظيمات هي من اختيار قادة وأعضاء التنظيمات ولكنها تسميات أطلقتها عليهم الأجهزة الأمنية لتسهيل إجراءات المحاكم وللتمييز بين القضايا والمجموعات.

وربما تكون المجموعة التي سميت "بيعة الإمام" تصلح أن تسمى تنظيماً تحمل فكراً متطرفاً يكفر الأفراد والمجتمعات، وقد خرجت هذه المجموعة من السجن بالعفو الذي صدر عام ١٩٩٩ ويمكن تصنيفها في التيار الذي سمي لاحقا التيار السلفي الجهادي، وهي لم تنفذ أعمالا إرهابية في الأردن ولكن يعتقد أن الشباب الذين سافروا إلى أفغانستان وكردستان والشيشان وبعضهم استشهد مؤخرا هناك ينتمون إلى هذه الجماعة.

وهكذا فإن السياق العام للتطرف والعنف في الأردن يبدو مختلفا عن الحادثة الأخيرة مما يرجح بأنها بفعل مجموعة دولية عابرة للحدود تمتلك خبرة وتدريبا أو أن المنفذين لا ينتمون إلى المجموعات المحلية المعروفة وربما لا يكونون من الإسلاميين ابتداء بل من مجموعات أخرى نائمة من تلك التي كانت ناشطة حتى نهاية الثمانينيات، أو أن ثمة جيلا جديدا من المجموعات المتطرفة أكثر تدريبا وخبرة.

١١- جون قرنق .. الحقيقة الغائبة !!



●● ومما زاد من الغموض الذي أحاط بمقتله هو تأكيد أرملته على أن هناك من اغتاله، خاصة بروايتها لأسرار اللحظات الأخيرة التي أحاطت بمقتله !!

في السودان كما في لبنان ما زال الناس يبحثون عن الحقيقة الغائبة حتى الآن: مَن قتل جون قرنق: البشير، موسفيني.. أم "جيش الرب" ؟ .. ربيكا" أرملة قرنق نائب الرئيس السوداني الراحل "شاهد شاف كل حاجة".. ولهذا طلبت منه عدم العودة في "تلك الليلة" على طائرة الرئيس الأوغندي.. وكان ما كان .

ورغم مرور فترة طويلة على مقتل جون قرنق، نائب الرئيس السوداني، إلاّ أن الغموض الذي صاحب مقتله لا يزال مستمراً، ولم يجر حتى الآن تأكيد السبب الحقيقي وراء حادث الطائرة الذي أودى بحياته، بل على العكس لا تزال المؤشرات مفتوحة على أكثر من احتمال، دون تدخل "ميليس" ولا "الشرعية الدولية" لتسييس القضية هذه المرة حسبما تُريد القوة الأكبر بالنسبة لسورية بالنسبة لمقتل رئيس وزراء لبنان الراحل رفيق !!

لم يفاجَأ كثيرون بحادث أو اغتيال "جون قرنق"، فقد كانت هناك توقعات له بهذه النهاية لأن "عريس الغفلة" لم يحتط من أصدقائه بعد أن اطمأنّ إلى أعدائه، وهما متساويان في كفّتي الميزان ! وأيًّا كان الفاعل فالنتيجة واحدة وهي مكسب لكلا الجانبين أي الأصدقاء والأعداء معاً!

وربما لا يدري الكثيرون حقيقة شخصية "قرنق" المزدوجة، فهو عدة شخصيات في شخص واحد، تماماً كما كان عدة مواقف تشكل موقفاً واحداً أي على الطريقة السودانية في إعداد مشروب شهر رمضان الذي يُطلقون عليه "حُلُو مُرّ"، وقد تعمّد السودانيون إسقاط "واو" الربط بين الاثنين أو النقيضين الحلو والمّر، وهناك تكمن المفارقة في تكوين الشخصية السودانية التي أكدت مقولة "كارل ماركس" كل مرحلة أو طفرة أو نظرية تحمل نقيضها في داخلها.

"لقد لاحظ الكثيرون من المتتبعين للأحداث في السودان وبالأخص الفترة التي احتدم فيها الصراع ما بين نظام الإنقاذ العسكري و"الجيش الشعبي لتحرير السودان "بأن الصراع قد اتّخذ أبعاداً خطيرة عندما لجأ نظام الترابي البشير إلى جعله "حرباً مقدسة" وجهاداً في سبيل الله، بينما في الطرف الآخر وقفت الكنيسة الكاثوليكية والفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي ومعهم "إسرائيل" والولايات المتحدة بجانب حركة التمرد، وكادت هذه التوجّهات أن تُشعل السودان كله في حربٍ غير مقدسة وغير مفهومة، بل وكانت سبباً مباشراً في توترات عسكرية ما بين السودان وجيرانه في الجنوب والشرق والغرب.

وكان "جون قرنق" في تلك المرحلة ماركسياً ومتحالفاً مع الرئيس الأثيوبي السابق "منغستو مريان"، وهذا ما حدا بالحزب الشيوعي السوداني إلى فتح قنوات اتصال مع الحركة بينما اتجهت الحكومة الإسلامية في السودان إلى التحالف مع كل أطياف المعارضة الأثيوبية، ودعمت المعارضة الأرتيرية بالسلاح والمال والإعلام، وفتحت لها مخازن الجيش السوداني بهدف إشغال نظام "منغستو" بالحرب في أرتيريا للتخفيف من مساندة أثيوبيا للحركة الانفصالية في جنوب السودان.

وبعد سقوط نظام "منغستو" في أثيوبيا اتجه "قرنق" إلى التحالف مع المعسكر المضاد أي "الأمريكي"، ومن هنا نشأت علاقته بكل من يوغندا وكينيا وبالتالي "إسرائيل" والولايات المتحدة، وزار الكيان الصهيوني عدة مرات سرًّا، والولايات المتحدة علناً.

ومن المفارقات أن هذا التجمع قد "جمع" كل المتناقضات على الطريقة السودانية، أي أحزاب الطوائف "الختمية والأنصار" وأحزاب اليسار الشيوعي والقومي والبعثي، بالإضافة إلى صَرّعات التمرد في الشرق والجنوب والغرب فصدقت فيه مقولة السودانيين حينما يصفون تجمع المتناقضات بقولهم "لحمة رأس" أي رأس الخروف الذي يَجمع اللحم واللسان والمخّ والعظام والعيون والأذنين

الخ، ونستطيع القول هنا أن تحالفات "قرنق" غير المنطقية هي التي جعلت منه في النهاية هدفاً ثميناً لكل أولئك، وعلى رأسهم الرئيس اليوغندي "موسفيني" أي "صديقه اللدود". ونحن هنا لا نتهم "موسفيني" بل نضع المؤشرات المنطقية التي تعود إلى معرفة الحقيقة التي أودت بحياة "قرنق" في اصطدام الحوّامة التي كانت تقلّه من نيروبي إلى عاصمته المؤقتة في جنوب السودان مدينة "رُمْبَيك" حيث كان اصطدام الحوامة "المروحية الرئاسية اليوغندية بجبل "أماتونج" ليس حادثاً عرضيًّا بسبب الأحوال الجوية حسبما جاء في كثير من وسائل الإعلام.

وأيضاً حسبما أكد الرئيس اليوغندي "موسفيني" لصديقه "قرنق" وزوجته حينما طلبت منه هاتفياً ألّا يتحرك في ذلك المساء بسبب سوء الأحوال الجوية، فأكد لها موسفيني أن الحوامة جيدة وصناعة روسية وهي طائرته الخاصة أي طائرة رئاسة الجمهورية اليوغندية وأن قائدها هو من أمهر قادة مثل تلك الطائرات وهو يثق فيه ثقة مطلقة!!

من هنا اقتنع "قرنق" بالسفر.. وليته لم يقتنع وليته تَفَهّم إصرار زوجته "ربيكا" على تعطيل عودته إلى صباح الغد!! ويبدو أن شكوك "ربيكا" تأكدت حول الفاعل الحقيقي برفضها استقبال "موسفيني" لتعزيتها، وتركته ضمن المعزّين للعائلة في ردهة دارها، وهذا الموقف هو الذي جعل الرئيس اليوغندي يمتنع عن حضور تشييع جثمان الفقيد الضحية بحجة أنه لا يحتمل رؤية صديقه "ميتاً"! ويبدو أنه تجنب أن ينطبق عليه القول "يقتل القتيل ويمشي في جنازته"!! والله أعلم.

ومن ناحية أخرى فإن أحاديث النوادي في الخرطوم تزعم أن "قرنق" قد وضع عدة مليارات من الدولارات لدى صديقه "موسفيني" احتياطاً للمستقبل بعد فصل الجنوب وضمّه إلى يوغندا حسبما توهّم الرئيس اليوغندي، وغاب عن ذهنه أن شخصية "قرنق" تستطيع اللّعب مع التناقضات لاستثمارها فيما يخدم هدفه وهو بناء السودان الجديد تحت هيمنة قبيلة "الدينكا" وسيطرة أبناء الجنوب على السودان، وإعادة تشكيل هويته الأفريقية الخ..

ولكن عندما وقّع "قرنق" اتفاقية السلام مع الرئيس السوداني البشير، وعندما طالب باستعادة المبلغ من موسفيني بهدف إعادة إعمار الجنوب شعر موسفيني بأن "قرنق" تخلّى عن وعوده له بضم الإقليم إلى يوغندا، خاصة وأن يوغندا تُعتبر دولة فقيرة ومواردها الطبيعية شحيحة، وظل يأمل في نفط جنوب السودان وذهبه وأخشابه، بل حتى "اليورانيوم"، الذي ظلت الولايات المتحدة ترصده لتضع يدها عليه حتى لا يذهب إلى العرب كمادة استراتيجية رهيبة تستطيع أن تعيد هيبتهم وسيطرتهم على أخطر مادة أولية في تاريخ الحضارات!!

قلنا إن ربيكا كانت متشككة في الرئيس اليوغندي وإصراره على مغادرة "قرنق" ليلاً، ويبدو أنها كانت تعلم بما حدث لكل من رئيسي رواندا وبورندى اللذين ماتا في حادثتين متشابهتين إلى درجة التطابق، وفي نفس نوعية المروحيتين، ومن هنا كان إصرارها في حديثها مع زوجها ألا يغادر في تلك الليلة، وأن يتجنب استخدام طائرة مروحية تابعة للرئاسة اليوغندية.

لكن "الحذر لا يمنع القدر" فلم يعر "قرنق" اهتماماً لتوجسها خيفةً من مروحيات موسفيني، فحدث ما حدث وبصورة "مشوقة" على طريقة أفلام "الأكشن" الهوليودية، بسبب سوء الأحوال الجوية وانقطاع الاتصال بالمروحية مع كل مطارات المنطقة سواء جوبا أو نيروبي أو الخرطوم أو كمبالا وكأنها لم تكن تُحلّق أبداً في سماء الجنوب الممطرة، وكانت النهاية لا تدع مجالاً للشك لأن جبل "أماتونج" ثابت في المكان، والطيار هو الذي لم يتحكم في مسار وتوجيه المروحية علماً بأن المزايا الفنية لأية مروحية تُتيح لها أن تظل معلقة في الجو وتدور حول نفسها كالنحلة حتى يأتيها الفرج، أو تهبط عمودياً في نفس المكان.

و السؤال: لماذا لم يتمكن الطيار الذي يثق موسفيني في مهارته من تطبيق أبسط نظرية في الطيار العمودي؟! هنا تجدر الإشارة إلى أن حديث "ناس الخرطوم" يلمح بأن الطيار الذي قام بالرحلة لم يكن هو الطيار الخاص الذي عرضه موسفيني على قرنق،

بل تم استبداله بعد أن أُشْرب هو وقرنق "نخب" الرحلة الميمونة في حضرة الرئيس اليوغندي، وكان المشروب عبارة عن مخدّر لا تظهر آثاره إلا بعد ساعة من تناوله!!

إن ربيكا كانت تشعر بأن هناك شيئاً ما في صدرها ولكنها لم تَبُحْ به في الوقت المناسب.. وقد يأتي هذا الوقت المناسب لكن في مرحلة لاحقة حينما تُلاحق هي موسفيني برد الأمانة التي تركها زوجها لديه وهي مليارات من الدولارات، وكانت "للأسف الشديد" هي الشاهد الوحيد الذي "شاف كل حاجة"، ولعل الأرملة الطيبة تعرف طبيعة التماسيح التي لا تُخرج ما "بَلَعَتْه" في بطنها، فكيف إذا كانت "البَلْعة" تساوي المليارات؟!

يقول الناس "إذا عُرف السبب بطل العجب"، وهنالك مئات الأسباب التي تجعل من حادث اغتيال "جون قرنق" حادثاً مفتعلاً، بل ومع سابق الإصرار والترصد وبدون أي تردد، وبالتالي دعونا نُسقط من حساباتنا بأنه حادث جوّي عادي يحدث في "أرقى" الطائرات.

فهناك جهات كثيرة تود أن ترى الزعيم المتمرد ميتاً لأسباب كثيرة، منها علاقاته المتشعبة في أغلب المشاكل التي حسمها بلغة الرصاص ولعبة الدم، وكم أهدر قرنق دماء زملاء سلاح له سواء في الجيش السوداني أو داخل حركته المسلحة أو معارضين له من قبائل جنوبية كانت تتصدى لهيمنته المطلقة على كل شيء عسكرياً وسياسياً، اجتماعياً ومالياً الخ، وخير شاهد على ما نقول هو موقف "سلفاكير" نائبه ووريثه في منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية، ولنا وقفة في هذه التسمية أو المنصب السيادي فنتساءل مع الملايين من أفراد الشعب السوداني.. لماذا يكون نائباً أول، وليس نائباً للرئيس من ضمن نوابه؟ وماذا يُمكن أن يحدث إذا كان المتوفّى في مثل ذلك الحادث "المفتعل" هو الرئيس السوداني نفسه؟ ألا يعني هذا أن نائبه "الأول" سيحل محله آلياً. أي أن يأتي رئيس جمهورية السودان من صفوف العسكر، ولكن ليس ككل العسكر الذين حكموا السودان مثل الجنرال ابراهيم

عبود ١٩٥٨– ١٩٦٤، والفريق جعفر النميري ١٩٦٩ – ١٩٨٥، والمشير عبد الرحمن سوار الذهب ١٩٨٥ – ١٩٨٦، وأخيراً المشير البشير ١٩٨٩ إلى اليوم، والله أعلم إلى متى يحلّ عن حياة الشعب السوداني؟! لكن قرنق سوف يكون عسكرياً "متمرداً" انفصالياً متمرساً وتآمرياً مدرباً على أيادي الـ C I A والموساد، ومسنوداً من مجلس الكنائس العالمي والفاتيكان، ناهيك عن علاقاته المتينة مع أجهزة استخبارات بريطانيا، الأب الروحي لكل فصائل التمرد في جنوب السودان، وبالطبع فإن يد الـ D.S.T الاستخبارات الفرنسية لا تألو جهداً في أن "تغمس" يدها في مائدة اللئام التي تستبيح أرض أفريقيا ولا تشبع منها أبداً. وقتها يا ترى ماذا سيكون موقف الشعب السوداني ذي الأغلبية المسلمة العربية والمستعربة؟!

واضح أن "جيش الرب" أي حركة التمرد اليوغندية ضد نظام الرئيس اليوغندي موسفيني لا ناقة لها في عملية الاغتيال ولا جمل لأنها لن تستفيد شيئاً يُذكر من هذا العمل، إضافة إلى أنها لا تسعى لكي تكسب "أعداء جدا"، فلديها منهم ما يفيض عن الحاجة، سواء في منطقة البحيرات أو كينيا ويوغندا، ولديها فائض من الأعداء حتى في جنوب السودان وشمال يوغندا.

لقد كان يوم التاسع من شهر يوليو العام ٢٠٠٥ يوم عودة جون قرنق إلى الخرطوم بعد توقيع اتفاق نيفاشا للسلام مع الحكومة المركزية. بداية تاريخ جديد لسودان جديد. عقدت آمال وتفتحت آفاق، وأطلق الناس العنان لأمانيهم وتطلعاتهم لمستقبل خالٍ من الحروب والدماء ومليء بالعمل والعمران والرخاء.

توثق الناس من أمانيهم وتطلعاتهم في اليوم التالي، يوم رأوا قرنق أمل الفقراء كما أحبوا أن يسموه يؤدي اليمين الدستورية نائباً أول للرئيس. وقد علت البسمة على وجه السودان. ذلك عنى تدشين الخطوة الأولى نحو مصالحة وطنية شاملة، وقتها غنّى السودان ورقص أهله على أنغام السلام ومال الناس إلى الاعتقاد أن السودان قد خرج من مطبات حروبه الداخلية، وأن بابه صد أمام أطماع الآخرين في ثروته

ووحدته. لم تدم الفرحة طويلاً وكأن إطلاق العنان للأماني في حياة أفضل قد جاء أسرع من اصطفاف حيثيات الواقع السوداني المليء بالأشواك لإنتاج كارثة سوداء غير متوقعة.

باكانك أمون الأمين العام للحركة الشعبية لتحرير السودان قال : دكتور جون وقد ذهب إلى أوغندا كانت زيارته معروفة، تحرك من هنا إلى جنوب السودان، ومن جنوب السودان أعلن من الخرطوم أنه سيزور أوغندا. فكان معروفاً بزيارته.. صحيح أنه رتّب الزيارة.. تم ترتيب الزيارة من قبل الحركة الشعبية وجهازه بحكم أنه نحن كنا في حالة انتقال.

و لعل من المهم أن ننقل هنا رواية زوجة جون قرنق حول رحلة زوجها الأخيرة .. تقول ربيكا جاندينغ (أرملة جون قرنق): كانت هذه رحلته الأولى إلى أوغندا، لذلك لم أذهب معه لأنها كانت رحلة ليوم واحد، فأخبرته أنني سأنتظر عودته لنذهب إلى كينيا سوياً، حيث أولادنا موجودون. لقد اتصل بالرئيس بشير من نيوسايت وأخبره بأنه ذاهب إلى أوغندا، طلبت منه عدم إخبار الرئيس بشير فقال لي: كلا، أنا النائب الأول لجمهورية السودان ورئيس لحكومة الجنوب، نصبت للتوّ في هذا المنصب، لا أستطيع الذهاب إلى أوغندا دون إعلام البشير.

وعندما سئلت لماذا اعتذر زوجها جون قرنق عن قبول عرض توفير طائرة رئاسية خاصة من قبل الحكومة السودانية قالت : باكانك أمون (الأمين العام للحركة الشعبية لتحرير السودان): رفض ربما لأنه كان يساوره الشكوك حتى في سلامة تلك الوسائل.

وحول نفي آخرين أن يكون قرنق قد رفض عرض الحكومة السوانية توفير طائرة رئاسية له. . قالت : ادوارد لينو (رئيس الاستخبارات السابق للحركة الشعبية): مشى بطائرة من هناك لأنه من نيوسايت، مشى مرات كثيرة جداً بطائرة مروحية هيلكوبتر، فما كان حكاية أنه كان بيحب.. كان عنده بس أسبوعين مستلم السلطة.

فكانت حاجة عادية يعني يمشي بطائرة أو بأي طائرة أخرى ما كان يرفض، إطلاقاً ما كان يرفض.

و قالت ربيكا جاندينغ أرملة جون قرنق : عند ظهور الهاتف النقال لم تمر أي رحلة دون أن أتكلم مع جون شخصياً، لكني في رحلته الأخيرة تهاتفت مع مساعديه، وأخبروني بأنهم وصلوا بسلام. وعند مغادرتهم اتصلوا بي من هناك من راجاتورا في أوغندا وأخبروني بأنهم سيغادرون بحدود الساعة الثالثة ظهراً. قالوا إنهم قادمون مباشرة، وبعد ذلك في الرابعة وخمسين دقيقة اتصلوا ليخبروني أنهم هبطوا في عنتيبي وأنهم قادمون، فكان مساعدوه على اتصال مستمر معي، لكن كما ذكرت عادة هو الذي يقوم بالاتصال شخصياً.

ولأن المعروف أنه كانت هناك خطة قرنق تقضي بزيارة قصيرة إلى موسيفيني بهدف طي بعض الملفات العالقة بين الطرفين، ومن ثم العودة اليوم التالي للتوجه مع زوجته ومرافقيه إلى نيروبي العاصمة الكينية للاجتماع مع قادة الفصائل المسلحة في دارفور في مسعى للمّ الشمل والمحاولة لحل مشكلة الإقليم، وفق مصادر الحركة الشعبية.

و يقول السفير سراج الدين حامد عضو لجنة التحقيق الوطنية : طبعاً جورج قرنق وصل أوغندا يوم الجمعة، وعلى عجل يعني أخذ إلى مزرعة الرئيس يوري موسيفيني في منطقة غرب يوغندا في راكيتورا حيث أمضى الليل هناك. التقى قرنق في ظهر ذلك اليوم بسفراء الولايات المتحدة الأميركية، السفير جيمي كولكر، والتقى أيضاً بالسفيرة يوغا برانديت سفيرة هولندا في أوغندا، والسفير ستيغ سفير السويد، ثم سفير بريطانيا.

وحول الملفات التي بحثها جارنج مع موسيفيني، قال ادوارد لينو رئيس الاستخبارات السابق للحركة الشعبية : ربما جيش الرب، ربما الدور الأوغندي في دعمه ولاّ هو في دعم أوغندا، ربما لكن ما كانتش موجود أنا يعني بصراحة كده، ده ما اطلعنا نحن المقربين خالص له علينا نحن. أنا قابلته طبعاً قبل ما يسافر بيوم، تم اللقاء في

رومبيك في الصباح الباكر، وعرفت أنه كان يعني سيذهب إلى أوغندا وقتها، وكان سيذهب إلى نيروبي بعدها، وقال لي: لا بد من الذهاب وطلب مني أن أذهب إلى كينيا واستعدّيت.

ووفق تصريحات إيليو إيانغ وزير الدولة بالداخلية وعضو لجنة التحقيق فإن أحد أسباب زيارة قرنق لأوغندا كان للمطالبة بصفقة سلاح كانت الحركة الشعبية قد اشترتها عن طريق أوغندا ولم تسلم للحركة الشعبية بعد.

الساعة الثالثة مساء يوم السبت الثلاثين من يوليو عام ٢٠٠٥ يغادر قرنق ومرافقوه مزرعة راكاتورا على متن طائرة مروحية إلى مطار عنتيبي بعد انتهاء اجتماعه مع موسيفيني. الخامسة إلا خمس دقائق مساء ذلك اليوم يستقل الدكتور قرنق طائرة مروحية من مطار عنتيبي قيل إنها طائرة الرئيس موسيفيني الخاصة. وتوجهت الطائرة بعد أن تزودت بالوقود إلى نيوسايت حيث تنتظره زوجته هناك حسب الاتفاق. كان على متن الطائرة ١٣ شخصاً، قرنق ومرافقوه السبعة، إضافة إلى ستة أشخاص من الأمن الأوغندي، السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم تتخذ الطائرة مساراً جوياً فوق ليرا ومن ثم اتجهت إلى وادي كيديبو قرب سلسلة جبال زوليا العالية، هناك تواجه الطائرة أحوالاً جوية سيئة. أمطارا غزيرة وغيوما كثيفة. في هذه الأثناء يستشعر الدكتور قرنق أن أمراً غير عادي يحدث في الطائرة.

ويقول السفير سراج الدين حامد (عضو لجنة التحقيق الوطنية): أعتقد أنه من أهم الأشياء التي وردت في الصندوق الأسود هو الحوار الذي دار بين الراحل الدكتور جون قرنق وقائد الطائرة، أنه إذا كانت هنالك مشكلة فيما معناه يعني في الوصول إلى نيوسايت فلنعد أدراجنا وننزل لنقضي الليل في سيروتي أو منطقة أخرى قريبة، الحادث طبعاً كله وقع في أوغندا، ومنطقة جبال زوليا هي منطقة داخل الحدود الأوغندية لكنها متاخمة للحدود في السودان.

وفي هذه الأثناء أي بحدود ٧,٣٠ مساء كانت طائرة الدكتور جون قرنق قد هوت بفعل اصطدامها بجبال زوليا العالية. وقتل كل من كان في الطائرة. نائب الرئيس ومرافقوه ورجال الأمن الأوغنديون.

وعن هذا يوضح السفير سراج الدين حامد وفي آخر لحظات حسب ما استمعنا إلى الصندوق الأسود الذي سجل ساعتين و٣٩ دقيقة من الحوار المتصل الواضح، يعني شديد الوضوح يعني، كان الطيار هو آخر من صرخ يعني، وكان يتحدث الطيار مع مساعده حول أهمية أن ترتفع الطائرة لأن راودتهم بعض الشكوك عندما ظهرت السحب المتراكمة أمامه، فطلب مساعد الطيار من الطيار أن يرتفع بالطائرة، فوافق لطلبه ولكن قال له بعد أن نمر من هذه الكتلة من السحاب، ونزل تحتها ثم صعد، وبعد ٣٧ ثانية وقع الحادث لأنه ارتطم ذيل الطائرة الهيلوكبتر ارتطم بإحدى الأشجار.. فانقطع أولاً. وهذا يفسر أن ركام الطائرة وجد على شكل مستطيل، يعني ليس على شكل دائري على عكس ما يحدث في الانفجارات، هو على شكل مستطيل وارتطم عدة مرات واحترقت الطائرة تماماً لأنها كانت مزودة بكمية كبيرة من الوقود أكثر مما يجب.

ويعم القلق على المنطقة، ويعبر الحدود، وبلغت القلوب الحناجر قلقاً على مصير الدكتور قرنق. بعد حوالي ٢٤ ساعة من اختفاء الطائرة يتم التأكد من مقتل النائب الأول للرئيس السوداني جون قرنق.

وما أن أعلن نبأ مقتل جون قرنق حتى ثار السودانيون الجنوبيون منهم خاصة تدفعهم الشكوك المترسبة نحو الحكومة بأنها هي التي تقف وراء عملية الاغتيال. كان ذلك أكثر من تعبير عن حالة غضب. كان تعبيراً عن حالة فقدان الأمل الذي كان قرنق يمثله للملايين من أبناء السودان عرباً وأفارقة، شماليين وجنوبيين، أغنياء وفقراء. وكان عكساً للحالة التي توقعها البعض لما بعد مقتل قرنق توترات وانقسامات وتفتيت لوحدة السودان والعودة بالبلد إلى مربع الحروب الوطنية الداخلية الأول.

وفوق ذلك كان خروج الناس إلى الشوارع حرقاً وضرباً تعبيراً عن هول الصدمة التي لم يصدقها الكثيرون. فقدان الطائرة يربك حسابات الجميع. ففي صبيحة اليوم التالي تدعو الحركة الشعبية ممثليها في الخرطوم لاجتماع طارئ بنيوسايت والحكومة الأوغندية تعترف أن الطائرة فقدت منذ مساء السبت.

ويقول إدوارد لينو رئيس الاستخبارات السابق للحركة الشعبية إن مجموعة من الضباط وعساكر الجيش الشعبي هم من وجدوا حطام الطائرة قريباً من نيوسايت.

وعلى التو يلقى الرئيس السوداني عمر بشير خطاباً لفّه الحزن، نعى نائبه وأكد مقتله في حادث تحطم الطائرة مع تأكيده على مسيرة السلام والشراكة مع الحركة الشعبية التي اعتقد البعض أن موت قرنق ربما يضعها في مهب ريح دعوات الانفصال والحروب الداخلية ثانية. أما الرئيس الأوغندي موسيفيني فقد أصدر بياناً نعى فيه الدكتور جون قرنق وخصص نصفه تقريباً لامتداح طائرته الرئاسية التي أقلت الفقيد كما قيل وكان كما يقول البعض كمن يرد التهمة عن طائرته التي قيل إنها التي تحطمت.

ويسارع موسيفيني إلى الوصول إلى جنوب السودان لتقديم التعازي ويشارك في دفن جثمان صديقه. كما في استقباله لما دخل الخرطوم رجل سلام ودّعه السودانيون بطلاً راح لأجل أحلامهم ومستقبلهم. ووري جثمانه الثرى وسط الدموع، دموع الفقراء من ناسه الذين رأوا فيه المخلص لهم من كابوس الحروب ونير الفقر والقهر.

و بعد أن ذهبت سكرة موت قرنق جاءت فكرة التحقيق في مقتله. فهل هو نتيجة الأجواء أم نتيجة تدبير من الأعداء؟ وهنا تباشر الحكومة السودانية بتشكيل لجنة تحقيق في مقتل الرجل الثاني في الدولة والكشف عن ملابسات سقوط طائرته. كثرت السيناريوهات فيمن يقف وراء مقتل قرنق.

يقول بكري مدني الصحفي المتخصص بشؤون الحركة الشعبية إن: أول من أطلق اتهام هو الرئيس الأوغندي يوري موسيفيني والذي أشار أن الطائرة ربما تكون قد تعرضت لعمل عدواني وكان الرئيس موسيفيني أول من وصل إلى موقع الحدث بعد فريق الاستطلاع والبحث الأميركي الذي وصل إلى المنطقة من قاعدة في جيبوتي بعد إذن السلطات السودانية.

أما باكانك أمون الأمين العام للحركة الشعبية لتحرير السودان فيقول: لا أعتقد أن هناك جهات خارجية ذات مصلحة في مقتل وتغييب الدكتور جون، لا أعتقد. نعم يوجد قوى في داخل السودان كانت خائفة من التغيير وغير قابلة للتغيير هي عندها المصلحة.

وحول خروج نتائج لجنة التحقيق الحكومية بنتيجة تقول إن تضافر الأحوال الجوية وأخطاء قائد الطائرة هي التي كانت وراء سقوطها ومقتل قرنق، يقول السفير سراج الدين حامد عضو لجنة التحقيق الوطنية: كانت محصلة التقرير النهائي هو أن ما جرى لقرتق هو حادث، وأنه يرجع إلى عدة أسباب تضافرت منها الأحوال الجوية السيئة ومنها خطأ الطيار، ومنها كذلك عدم الإعداد المسبق الجيد لهذه الرحلة. أخطأ الطيار في أنه قاد الطائرة من مطار عنتيبي حتى وصلت إلى منطقة جبال زوليا حيث وقع الحادث دون أن يستخدم المعدات الملاحية المتطورة التي كانت على متن الطائرة، يعني كان يستخدم ما يسمى بالفيجوال فلايت رولز بالعين المجردة، الشيء الآخر لم يكن هناك إعداد مسبق للرحلة، يعني معروف إذا أنت أردت أن تقود طائرة من منطقة عنتيبي إلى نيوسايت سوف تدرس التضاريس الموجودة، في الطريق.. في خط مستقيم من عنتيبي إلى نيوسايت توجد سلسلة جبال جوليا أو زوليا وارتفاعها ٦ آلاف قدم. هذا الطيار يعني عندما أقلع بالطائرة من مطار عنتيبي أقلع على ارتفاع ١٥٠٠ قدم، ولو كانت قد وضعت خطة للطيران بالطرق السليمة أو الصحيحة لما طار على هذا الارتفاع، وبالتالي يعني عندما وصل إلى منطقة جبال زوليا كانت هنالك سحب كثيفة جداً. تقارير الشهود الذين استمعنا إليهم في منطقة

نيوسايت فيما بعد أفادوا أنهم في ذلك الوقت كانت قد هطلت أمطار في منطقة نيوسايت وكان الجو ملبدا بالغيوم، هؤلاء هم الجنود التابعون للحركة الشعبية الذين أدلوا بإفادات يعني سجلتها اللجنة.

ولكن نظرية تضافر الأحوال الجوية وأخطاء الطيار لم تلق التصديق العميق في أوساط الكثير من أعضاء الحركة الشعبية على وجه الخصوص وبين السودانيين عموماً.

هذه الشكوك عبرت عنها ربيكا أرملة قرنق بوضوح سافر عندما أعلنت أن زوجها قد قتل غيلة وليس قضاء وقدراً كما قيل. رغم أنها كانت قد صرحت في السابق أن الأمر لم يتعدَّ القضاء والقدر.

و قالت ربيكا : لست لوحدي من يعتقد أنه اغتيل. الجميع في السودان يعلم ذلك. ولكن كان قراراً سياسياً بأن لا أصرح قبل الآن. إنه قراري الشخصي أنا أقول بأن الحادث كان اغتيالاً. أنا أقول هذا، لا أوجه أصابع الاتهام لأي جهة. ولكن هذا شعوري ولي الحق بالشعور بما شئت لأنه إذا تابعت تفاصيل الحادث فهو ليس بحادث عادي ونتيجة التقرير التقني تقول بأنه كان خطأ الطيار، هذه ليست الرحلة الأولى التي يطير فيها هذا الطيار بالهليكوبتر، وعلى نفس المسار، إنه كان قائداً للطائرة معي أنا وعلى نفس مسار الرحلة من قبل، ولم يحدث أي شيء من هذه الأخطاء أبداً.

ولكن شكوك ربيكا هذه بل اتهاماتها تجد لها أصداء بين الكثيرين من السودانيين. العميد حسن بيومي ضابط سابق في الاستخبارات السودانية يقول : كل الملابسات تؤكد أنه هو ما مات موتاً طبيعياً. هذا الرجل بهذا الحجم بهذا الزخم الشعبي ما مفروض ما خلاص دوره انتهى، دوره هنا انتهى في اتفاقية نيفاشا، لازم يمشي، شفتها؟ لازم لازم ما عايزين تتكرر، وبعدين في يدهم كل شيء، متحكمين في كل شيء، يعني متحكمين.. مش أوغندا؟ متحكمين في أوغندا ورئيس أوغندا، متحكمين في أي حتة.

تأكيداً لهذه الشكوك فإن الطائرة التي قيل إنها رئاسية يكشف التحقيق أنها لم تكن طائرة موسيفيي الرئاسية، وإنما إحدى طائرات الجيش الأوغندي، وفق ما جاء به إيليو يانغ وزير الدولة بالداخلية وعضو لجنة التحقيق، والذي انسحب منها بعد ثلاثة أشهر من تشكيلها، وأن رقم المحرك والأجهزة الملاحية تختلف أرقامها أيضاً عن الطائرة الرئاسية، وذلك بعد العودة إلى سجلات الشركة الروسية المصنعة للطائرة.

و هنا يقول البروفسور حسن مكي خبير في الشؤون الإستراتيجية: دعنا من نظرية المؤامرة بتفصيلاتها، لأني لا أملك أي معلومات عن ذلك. أنا أتكلم عن التحليل، ارتاحت جهات كثيرة جداً بل النخبة الجنوبية الموجودة الآن رغم دموع التماسيح الموجودة، هي ارتاحت إلى أن جون قرنق بعد عن المسرح، يعني بعض الناس يعتقد أن الذين ارتاحوا، ارتاحت مثلاً قوى النخب الإنقاذية الحاكمة، هذا قد يكون أيضاً حدث، لكن من منظورين مختلفين. النخب الإنقاذية الحاكمة شعرت بالراحة لأن منافساً خطيراً قد اختفى من الساحة، كان سيعقّد الحسابات السياسية بالنسبة لها، بل أنه كان سيضعها على حافة الهاوية. ولكن بالنسبة للنخب الجنوبية التي كانت ما تريده هو جنوب مستقل، وهي متعاونة مع قوة أخرى متنفّذة تريد البترول وتريد الجغرافيا السياسية، وتنظر للمشروع الجنوبي كجزء من مشروع أفريقيا الشرقية ومنطقة ارتكاز للنفوذ الغربي بما فيه إسرائيل فإن هذه أيضاً رأت أن جون قرنق يجب أن يذهب، وأعتقد سواء هي التي يعني قامت بتنفيذ ذلك أو لم تقم بتنفيذ ذلك بالنسبة لها كان حتى لو لم يذهب في ذلك اليوم كان ينبغي أن يذهب في يوم آخر، لأنه هو أصبح عبئاً، وأصبح مهدِّداً وليس رصيداً.

لقد رحل قرنق بصورة لم تفك لجان التحقيق ألغازها بعد. رحل وترك وراءه لغزاً يرفض كثيرون حله !!

و في آخر حديث له اتهم وزير الدولة بالداخلية السودانية السابق اليو ايانغ اليو الجيش الأوغندي بالوقوف وراء اغتيال الدكتور جون قرنق. وقال: إن وزير الدفاع

الأوغندي اماما بابازي يعلم من يقف وراء الاغتيال لكن الوزير والمتحدث باسم الجيش الأوغندي رفضا التعليق على هذا الاتهام.

ويعتبر عدد من المحللين أن ملف قضية مصرع قرنق قد طوي، بالنتيجة التي آل إليها التحقيق، وليس ثمة مجال للتشكيك في الخلاصة التي قدمتها لجنة تضم خبراء دوليين. وربما لا يدعم الكثيرون رؤية مادسن، وافتراضه اغتيال قرنق، لكن آخرين يعتبرون أن الاحتمالات تبقى مفتوحة بهذا الشأن.

اتهامات وين مادسن أكدها المقدم هاشم بدر الدين، قائد القوات الخاصة، أقوى وحدات الجيش الشعبي لتحرير السودان بزعامة الدكتور جون قرنق، وهي القوات التي انتقى قرنق من وحداتها، عناصر شكلت فريق الحماية الخاص به.

ولخص بدر الدين الأسباب التي تدعم اتهامه للأمريكيين باغتيال النائب الأول للرئيس السوداني، في المصالح النفطية التي قال إنها أمريكية صرفة في السودان حاليا، بعكس المعلن بأن الشركات العاملة في السودان، كندية وصينية وماليزية، مؤكدا أن الأمريكيين وراء كل هذه الشركات، كاشفا النقاب عن معلومات جديدة بهذا الخصوص.

وقال بدر الدين، إن النفط، والشكوك المحيطة بتوجهات قرنق الفكرية ك"شيوعي"، والكاريزما والقدرات التي يتمتع بها، وكانت لتقلب المعادلات كلها في السودان، التي يسعى الأمريكيون للإبقاء عليها وعلى الحكومة عليها، إنما بتعديلات "طفيفة"، بالإضافة لمراوغته الأمريكيين، والتفافه على ضغوطهم، كلها أدت لاغتياله في نهاية يوليو ٢٠٠٥

و قال خبير روسي بارز يشارك في التحقيقات في حادث تحطم المروحية الذي قتل فيه النائب الأول للرئيس السوداني وزعيم المتمردين الجنوبيين السابق جون قرنق إن الحادث لم يكن ناجما عن أي عطل فني في المروحية الأوغندية التي كانت تقله.

وأوضح رودولف تيمورازوف مدير الأمن الفني للجنة الطيران ومقرها موسكو أن المروحية كانت سليمة ولم تكن فيها مشكلات فنية.

وأشار الخبير الروسي إلى أنه تم العثور على جهاز تسجيل المحادثات الصوتية في قمرة القيادة في المروحية بحالة جيدة، فيما عثر على الجهاز الثاني الذي يسجل البيانات الفنية وقد تحطم في الحادث.

وقد استندت نتائج المحققين في أن حادث التحطم لم يكن بسبب عطل فني، على حقيقة أن المحادثات التي جرت في قمرة القيادة بين قائد الطائرة وبرج المراقبة كانت "عادية" حتى لحظة تحطم الطائرة ولم تكن تحتوي على أي تلميح إلى وجود عطل فني.

ورفض الخبير الروسي التكهن بسبب الحادث إلا أنه أشار إلى أن الأحوال الجوية كانت سيئة في المنطقة وقت وقوع الحادث.

وأضاف أن كافة البيانات والاستنتاجات التي جمعها التحقيق الروسي بما فيها التسجيلات الموجودة على جهاز التسجيل، قد أرسلت إلى السلطات الأوغندية والسودانية والكينية التي لها دور رئيسي في التحقيقات الدولية.

وفي أبريل ٢٠٠٦ أظهر تحقيق مشترك سوداني أوغندي أجري بمساعدة الولايات المتحدة وروسيا وخبراء من الطيران الكيني أن الحادث نجم عن خطأ ارتكبه الطيار في ظروف مناخية سيئة.. وهكذا قيدت عملياً ضد مجهول !!

ويرى البعض إنه في عالم البنادق الداكن حيث تفوح رائحة الأبخرة والرطوبة من زقاق الموت الضيقة، كان يحظى بغطاء غربي، وبمظلة رسمية وإعلامية غطت على ممارسات دامت نحو ثلاثين عاما، لكن في البيت الغربي، حيث يتماهى ضوء النهار بعتمة الليل ، فإن جون قرنق كان " ثائراً باحثاً عن الحرية ".

فاق الآخرين بقدراته على اللعب ضمن ملاعب الآخرين ، وكان يأخذ بأطراف ونواصي المبادرة دائما محيطا نفسه بإجراءات أمنية معقدة، يحيط نفسه برجاله

المتوثبين في مواجهة الأعداء والحلفاء، وحذره هذا انجاه من عدة محاولات اغتيال من داخل الحركة ومن خارجها على حد سواء، وكان يحافظ على الحد الأدنى الذي يضمن لحركته القوة والاستمرارية حتى في الأوقات الصعبة التي شهدت انشقاقات كبرى في صفوف حركته.

كثيرا وعبر السنوات الماضية ما اتهم "الجيش الشعبي لتحرير السودان" بانتهاكات حقوق الإنسان في جنوب البلاد، وكان قرنق لا يتهاون مع معارضيه، وكان مصير من يختلف معه أو مع القيادة العسكرية هو السجن أو الموت، في موازاة ذلك فرخت الحكومات السودانية المتعاقبة ميليشيات مسلحة ردت على قرنق بالمثل، فشرد أكثر من أربعة ملايين سوداني وقتل نحو مليون ونصف في عشرين عاما.

قرنق زعيم "المتمردين" الذي أصبح نائبا للرئيس وفق اتفاق نيروبي كان ضابطا في الجيش السوداني أرسلته الحكومة في الخرطوم لقمع تمرد قام به نحو خمسمائة جندي جنوبي رفضوا الأوامر بالتوجه إلى الشمال، لكنه لم يعد وتبنى قضية الجنوب، لتبدأ قصة "جيش قرنق الجنوبي" الذي خاض حربا مدعومة من الغرب ومن الكنيسة بوصفها "حربا دينية" ضد فرض الشريعة واللغة العربية على الجنوب "المسيحي والوثني".

والواقع إن الذي تبنى فرض الشريعة هو جعفر نميري حليف الولايات المتحدة القوي في أفريقيا ، وهوعلى أية حال رجل اشتراكي وعلماني، ولكن حساباته تناغمت آنذاك مع الصعود القوي والملفت للشيخ حسن الترابي الذي سيكون اللاعب الرئيسي فيما بعد في الحدث السوداني.

كان قرنق أكثر الشخصيات "المتمردة" تعقيدا وغموضا، ويقول بيتر موسزنيسكي من البي بي سي :"إنه من الصعب إقامة علاقة شخصية مع هذا الرجل(قرنق) لديه مظهر بارد، يعطيك الانطباع إنه فوق الآخرين." وقد قضى زعيم التمرد بداية حياته في الكشف عن آبار النفط، ذلك النفط الذي دفع بواشنطن إلى استثمار

تعاون الخرطوم في حربها ضد ما تسميه "الإرهـاب" لصياغة اتفاق فاحت منه رائحة النفط ، وشركات ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي، والنفط هو الذي أجج الصراع في الجنوب بعد اكتشاف كميات كبيرة منه في عام ١٩٧٨.

تحيط بالخلفية الفكرية والأيديولوجية "لجيش تحرير السودان" نفس الغموض والضبابية التي تحيط بزعيمه قرنق، فقد بدأت الحركة ضمن إطار ماركسي غير أنها ما لبثت أن أقتربت أكثر من"الاصولية المسيحية" في الولايات المتحدة، وكان صعود جورج الابن ومعه المنظرون من "المحافظين الجـدد" ولادة جديدة لقرنق وجماعته فقد ارتمى في حضن الإدارة الجمهورية التي رأت فيه شوكة في خاصرة الخرطوم التي لم تتمنع طويلا على واشنطن وقدمت قرابين حسن النية.

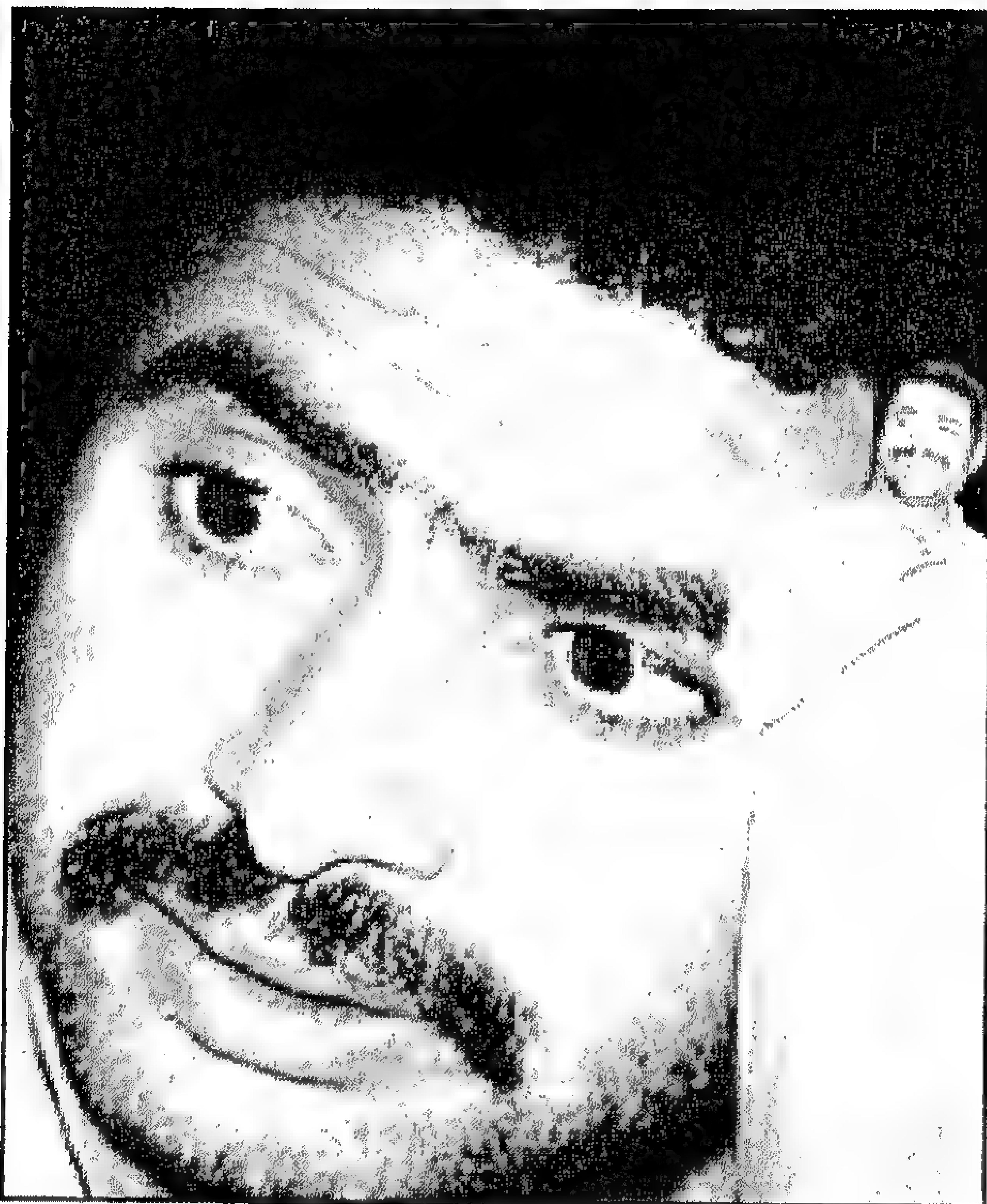
كان ثمة رهان على تمزيق "اتفاق السلام" الذي وقع في كينيا قبل أن يجف حبره، ويعلو صوت الرصاص ثانية في سماء جوبا وبحر الغزال وبحر العرب، فاتفاقيات السلام عادة ما تمزق ، أو تخرق ضمن أضعف الإيمان ، حين توضع حيز التنفيذ، وبدا أن "اتفاق نيروبي" هو إقرار بصورة أو بأخرى لانفصال لاحق ومؤكد للجنوب عن السودان في" دولة مستقلة"، وهو ما قد يمهد لاحقا لحل آخر مشابه في إقليم دارفور في الغرب، ووضع "دويلات طائفية " على مرمى حجر من القاهرة، فالاتفاق ينص على إجراء استفتاء في الجنوب بعد ست سنوات لإقرار الانفصال.



الرئيس السوداني عمر البشير ونائبه القتيل جون قرنق لحظة إعلان اتفاقهما على تقاسم السلطة والثروة قبل أن يلقى الأخير حتفه !

١٢- سفاح بني مزار..

إدانة ثم براءة !!



●●ورغم تقديم عبد اللطيف للمحاكمة، وسط تأكيد الجميع على أن شخصاً عادياً مثله وبمفرده لا يمكنه قتل كل هؤلاء وتقطيع أعضائهم التناسلية باحترافية كبيرة، إلا أن المحكمة برأته في النهاية .. وقيدت الجريمة ضد مجهول !!

استيقظ المجتمع المصري فجأة على مذبحة وحشية زلزلت أركانه .. هذه المأساة عرفت باسم " مذبحة بني مزار " وكانت تفاصيلها غاية في البشاعة، وبدرجة لم يعتد الشعب المصري عليها .. وأخذت الأقلام تحلل وتتساءل من الجاني؟! .. من القادر على ارتكاب هذه المذبحه التي راح ضحيتها أهالي ثلاثة بيوت متجاورة؟!.. ولكن سرعان ما جاء الرد سريعاً وهو القبض على مرتكب هذه المذبحه النكراء .. وفوجئ الجميع بأن مرتكبها الذي تم القبض عليه هو شخص مختل عقليًّا .

وبدأت الأفكار تتضارب فهل من المعقول أن يقوم مثل هذا الشخص المريض بهذا العمل، الذي يحتاج إلى عقلية إجرامية نفذت تلك المجزرة بمنتهى الدقة والسرعة، إلا إذا كان جنونه من نوع جنون العباقرة، ولكن منظره لم يكن يدل على أنه لا مجرم ولا عبقرى !!

وكانت المفاجأة أن القضاء المصري حكم ببراءة هذا الشخص، وترك علامة استفهام كبيرة .. هل يمكن أن ينتهى الموضوع بهذه البساطة، وتقيد الجريمة ضد مجهول ؟!

وهكذا أصبح هناك سفاح طليق لا يزال بعيدا عن أعين الشرطة، وقبضة العدالة، وآثر الجميع في النهاية الصمت!

فقد أصدرت محكمة جنايات المنيا حكما ببراءة محمد أحمد عبد اللطيف من تهمة قتل عشرة أشخاص ينتمون لثلاث أسر في قرية عزبة شمس الدين التابعة لمركز بني مزار.و انتهت المحكمة إلى عدم وجود أدلة تؤكد أن عبد اللطيف ارتكب الجريمة.

قضت محكمة جنايات المنيا ببراءة المتهم محمد على أحمد عبد اللطيف من التهمة المنسوبة إليه بقتل عشرة أفراد من ثلاث أسر فيما عرف بمجزرة قرية

شمس الدين بمركز بني مزار بمحافظة المنيا؛ وهي الجريمة التي هزت الرأي العام في مصر وأثارت الكثير من علامات الاستفهام حول دوافع ارتكابها.

وجاء في حيثيات الحكم أن المحكمة انتهت إلى عدم وجود أدلة تؤكد أن المتهم ارتكب الجريمة، واستندت للقاعدة الشرعية القائلة بأنه خير للإمام أن يخطئ في العفو بدلاً من أن يخطئ في العقوبة.

وأشارت المحكمة إلى أنها ارتأت أن التقنيات الطبية الرفيعة وبالغة الدقة التي استخدمت في القيام بالجريمة وقطع الأعضاء التناسلية للضحايا تفوق بما لا يدع مجالاً لشكك قدرات وإمكانيات المتهم الذي شككت النيابة في قدراته العقلية.

كما استندت المحكمة إلى تقرير الطب الشرعي الصادر من مستشفى الأمراض العقلية الذي أكد سلامة قوى المتهم العقلية وعدم إصابته بالمرض والجنون كما أكدت تحقيقات النيابة، وإلى تعرض المتهم للإكراه على تمثيل الجريمة وإجباره على الاعتراف.

وأثبت تقرير الطب الشرعي وجود آثار تعذيب بجسد المتهم لإجباره على الاعتراف، وتبين أن الدماء المتواجدة على جلباب المتهم السابق تحريزه بمعرفة النيابة ليس دمًا آدميًّا ولا يخص المجني عليهم.

كما ثبت عدم تطابق بصمات يد المتهم مع البصمات الموجودة على الأداة المستخدمة، كما أن الشهود لم يؤكدوا مشاهدتهم للمتهم بالقرب من منازل المجني عليهم أو بداخلها أو حتى خارجًا منها.

وقد تم تحريز حذاء المتهم، وأثبت الطب الشرعي أن الحذاء ليس له دخل بالمتهم لاختلاف مقاس الحذاء المضبوط عن قدم المتهم. كما استندت المحكمة إلى أن معاينة خبراء مصلحة الأدلة الجنائية أشارت إلى عدم وجود أية آثار عنف بأبواب ومنافذ منازل الضحايا في الجرائم الثلاث، وإلى أن الجاني دخل منازل المتهمين باستخدام سلم

خشبي في الصعود لمنزل الضحية الأول وذهب لمنزل الضحية الثاني عن طريق السطح، أما بالنسبة لمنزل الضحية الثالث يرجح صعوده من الباب الخلفي بهذه الطريقة.

في حين أكد مدير النيابة لهيئة المحكمة أن النيابة ليست لها علاقة بما جاء في تقرير مصلحة الأدلة الجنائية. وأكد أن النيابة قامت بمعاينة مكان الحادث بعد اعترافات المتهم مباشرة وقامت باصطحابه لتصوير كيفية ارتكابه للحوادث الثلاثة.

وقد انتهت المحكمة إلى إصدار قرارها بتبرئة المتهم من التهم المنسوبة إليه لعدم كفاية الأدلة.

وكانت الشرطة قد ألقت القبض على عبد اللطيف بتهمة قتل عشرة والتمثيل بجثثهم عن طريق استخدام آلات حادة في قتل الضحايا واستئصال أعضائهم التناسلية وقطع أصابعهم، ورجحت المصادر الأمنية أنذاك أنه مختل عقليا.

وخلال التحقيق مع عبد اللطيف أمرت النيابة العامة بتوقيع الكشف الطبي عليه لبيان مدى سلامة قواه العقلية، وحينما تبين أنه في كامل قواه العقلية أحالته النيابة للمحاكمة.

يذكر أن تحريات الشرطة أظهرت أن المتهم ليس بينه وبين ضحاياه أي ضغائن أو مشكلات أو قضايا شرف تبرر ارتكابه الجرائم، مما دفع سلطات الأمن للترجيح باختلال قواه العقلية.

وقد قال طلعت السادات عضو مجلس الشعب المصري والذي ترافع عن المتهم بقضية مذبحة بنى مزار عقب صدور الحكم بالبراءة أنه لا يوجد دليل واحد يشير إلى أن محمد أحمد عبد اللطيف هو المنفذ لتلك المذبحة التى راح ضحيتها عشرة أشخاص ينتمون لثلاث أسر في قرية عزبة شمس الدين التابعة لمركز بني مزار .

وعن الدوافع والأسباب وراء ارتكاب تلك المذبحة قال السادات إنه يعتقد أن التجارة فى الأعضاء البشرية هى الدافع المرجح لتلك الجريمة .

وفور إصدار محكمة جنايات المنيا حكمها ببراءة المتهم بارتكاب مذبحة بني مزار في المنيا والتي راح ضحيتها عشرة أشخاص، تغرغرت عينا محمد أحمد عبد اللطيف بالدموع، فيما اكتفى بابتسامة بسيطة تعبيرا عن الفرح بمنطوق الحكم، وفي الوقت الذي لم ينطق فيه بكلمة واحدة تعالت أصوات الصحفيين والمحامين وأقاربه الموجودين داخل القاعة بالتهليل "يحيا العدل .. الله أكبر".

وتعود أحداث القضية إلى فجر الخميس ٢٩ ديسمبر عندما هزت جريمة بشعة راح ضحيتها عشرة أشخاص ينتمون لثلاث أسر بقرية شمس الدين بمركز بني مزار بمحافظة المنيا الرأى العام المصري، حيث عثر على جثث الضحايا مذبوحة ومُمثل بها إضافة لقطع الأعضاء الذكرية لهم أثناء نومهم.

وحظيت الجريمة باهتمام الرأى العام في مصر نظرا لبشاعتها وارتفاع عدد الضحايا الذين مثل الجاني بجثثهم مستخدما آلات حادة في استئصال أعضائهم التناسلية وقطع أصابعهم.

وسرت شائعة آنذاك بأن وراء الحادث عصابة منظمة لتجارة الأعضاء البشرية أو للتنقيب عن الآثار.

إلا أن تحريات المباحث أثبتت أن الجاني هو أحد أبناء القرية ويدعي محمد على محمد أحمد عبداللطيف - ٢٧ سنة -، وأنه يعاني مرضاً نفسياً وسبق علاجه، وتم إلقاء القبض واعترف في تحقيقات النيابة بارتكابه الجريمة بعد أن جاءه "الهاتف" طلب منه ذلك.

غير أن الرأى العام وعدد كبير من أساتذة الطب النفسي رفضوا تلك الرواية، كما رفضوا التسليم بأن يقوم شخص واحد بارتكاب مثل تلك الجريمة البشعة، دون صدور صوت استغاثة من أحد الضحايا.

قال الدكتور يحيي الرخاوي أستاذ الطب النفسي : "يستحيل على إنسان يعاني من مرض نفسي، كما في حالة محمد، ارتكاب مثل تلك الجريمة"، وأرجع اتهام الشرطة له في محاولة من جانبها لـ"تخدير" الرأى العام الغاضب.

وهو ما نفاه الأمن، مؤكدا رغم احترامه للرأى العام : "إلا إنه لا يمكن أن نجامل الرأى العام على حساب الأدلة، أنا لم أكتف باعتراف المتهم فقط، وإنما قدمت حذاءه وجلبابه وعليهما آثار دماء الضحايا، إضافة للعثور على عضو ذكري لأحد الضحايا فوق سطح منزل المتهم".

ودفع دفاع المتهم بأن الحذاء المضبوط لا يخص المتهم لأن مقاسه ٤٢ في حين أن مقاس حذاء المتهم الحقيقي ٤٥، كما أن تقرير الطب الشرعي أثبت عدم وجود آثار دماء على جلبابه وحذائه!

وفي أولى جلسات القضية أنكر المتهم ارتكابه للجريمة، مؤكداً أنه اعتراف أمام النيابة بعد فاصل من التعذيب والضرب من أجهزة الشرطة.

وكان المتهم قد خضع فترة للعلاج النفسي لدى طبيب في مدينة نصر بالقاهرة، والذي أنكر احتمال ارتكاب المتهم بمثل تلك الجريمة.

وبالفعل عقب القبض على المتهم تم إيداعه مستشفى الأمراض العقلية للوقوف على مدى سلامة قواه العقلية، استنادا للتقارير الطبية وتحريات المباحث التي تثبت مرضه النفسي، غير أن تقرير الطب الشرعي طعن في صحة تلك التقارير ومؤكدا على سلامة المتهم العقلية، وهو ما ذهب إليه تقرير مستشفى الأمراض العقلية.

وفور نطق المحكمة بالحكم هدد أقارب الضحايا بالثأر لذويهم ليس فقط من محمد ولكن من جميع أفراد أسرته، كما هدد بعضهم بقتل أعضاء فريق الدفاع عن المتهم وعلى رأسهم المحامي وعضو مجلس الشعب "طلعت السادات".

ولخص رئيس المحكمة في منطوق بالحكم الحيرة التي أصابت جميع أطراف القضية والرأى العام معهم منذ بدايتها، والذي أكد على أن القضية "حار فيها

جهابذة الطب الشرعي .. فتضاربت التقارير الطبية الشرعية والتقارير الطبية النفسية، والجناية موضوع الحكم بذلت فيها إدارة البحث الجنائي جهداً جهيداً ملموساً على أعلى مستوى، وبذلت إدارات الأدلة الجنائية جهداً جهيداً ملموساً مستخدمة أحدث التقنيات والأجهزة الفنية العالمية لجمع الدليل وإقامته".

وأضاف أن سلطات التحقيق كدأبها وعريق تقاليدها عنت بأدلة الدفاع عنايتها بأدلة الاتهام بالنسبة لهذه المحاكمة، وقبل أن نعرض للقانون الوضعي فإنه من "الثوابت الشرعية أنه خير للإمام أن يخطئ في العفو من أن يخطئ في العقوبة".. وبعد الاطلاع على المواد ٣٠٤ فقرة ١ و٣٠٩ و٣٢٠ فقرة ٢ من قانون الإجراءات الجنائية حكمت المحكمة حضورياً ببراءة المتهم.

و فى ظل اهتمام الرأى العام وفرحه ببراءة المتهم من ناحية وسخطه على الأجهزة الأمنية لاتباعها نظام التلفيق المعتاد من ناحية اخرى أظن أن السؤال الأهم هو من هو الجانى ؟!

المعمل الجنائي أثبت الوفاة من خلال الضرب على الرأس بأداة وهو ما أثار الدهشة..بعد أن .. أثبت التشريح أنه لا يوجد أثر لمخدر في جثث الضحايا .. الضحايا كما هم في أماكن نومهم ولم يتحرك منهم أحد من مكانه كما أثبت ذلك الجنائيون عند معاينة المكان أي لم يتم سحبهم أو وضعهم !!

لا توجد أثار لعنف في اختراق المنازل والمكان الوحيد الذي يسمح بالدخول من السطح .. كيف لرجل حتي لو كان رامبو أو حتي جيمس بوند بأن يقوم بالخروج من منزل إلى منزل وينفذ عملية القتل لعشرة أفراد مع التمثيل بهم من خلال الخروج والدخول من خلال الأسطح .

المباني من الطوب النى الذي لا تظهر فيه البصمات وبالتأكيد فإن أسقفها من النوع المعرش الذي لا يتحمل أن يتحرك عليه أحد إلا بحركة بطيئة ولا يستطيع مهما

كان أن يخفي صوت أقدامه أثناء انتقاله من منزل إلى آخر!!.. وعودة إلى السؤال الذي طرحة الجميع مَن الجاني؟

أولا : بالإجماع لا يشوبه شك أن ما قام بهذه المجزرة هم على الأقل ٣ مجموعات (و ليس ٣ أفراد) كل مجموعة كان منوط بها أن تجهز على عائلة .

ثانيا : بالنظر إلى الشيء المشترك في الضحايا هم أنهم كلهم موظفون ليس لهم عصبيات قوية ولا يحتمل أن يوجد معهم سلاح في منازلهم كما هو الحال في معظم بيوت الصعيد (كلهم من الملتزمين دينيا حيث أن رجالهم جميعا معتادون على صلاة الفجر في المسجد) .

ثالثا : الدافع من الجريمة ليس السرقة وليس الثأر وليس الاتجار في الأعضاء البشرية كما يزعم البعض والرجاء من الزملاء الأطباء توضيح لنا هل يصلح أن تتم عملية نقل الأعضاء التناسلية أو زرعها كما يحدث مع الكُلَى أو القرنية .

وبدا من البديهي والمنطقي وبإعمال عقل أغبى رجل في العالم أنه لا يمكن لشخص واحد مهما أوتي من قدرات ولو كان مدربا بشكل فَذّ أن يقوم بقتل ١٠ أفراد من أسر مختلفة في مدة تقريبا لا تزيد عن ال ٤٠ دقيقة غير أنه قام بتقطيع وتشريح الجثث بشكل متماثل في كل الجثث !



صورة عبد اللطيف وأخبار محاكمته تصدرت أغلفة المجلات بعد أن أصبحت "المذبحة الرهيبة " حديث الناس والصحافة، قبل أن تتم تبرئته !!



عبد اللطيف بعد إعلان براءته !!

١٣- أشرف مروان ..

لغز مقتل الرجل الغامض !!



●● ورحل الرجل صاحب الخصومات الكثيرة في ملعب الشياطين " تجارة السلاح" و"أباطرة البيزنس" فضلا عن كونه هدفاً لأجهزة استخبارات عديدة، من بينها الموساد الإسرائيلي.. ولا يزال السؤال : رحل منتحراً أم نحروه في لندن !!

في الساعة الواحدة و٤٠ دقيقة ظهر يوم الأربعاء ٢٧ يونيو عام ٢٠٠٧ سمع الناس صوت اصطدام أمام العمارة رقم ٢٤ في شارع " كارلتون هاوس تيراس " في حي "بيكاديلي سيركس " الراقي في وسط لندن.

لم يتوقع أحد من سكان ذلك المبنى المصنف معمارياً في المرتبة الأولى ،مما يعني أنه من التراث الذي يحرم القانون تغيير ملامحه، أن يكون الرجل الذي سقط من شرفة المبنى هو نفسه الرجل الغامض أشرف مروان الذي يقطن الدور الخامس في البناية المكونة من ستة طوابق مقسمة على جانبين أحدهما يضم نوافذ ضيقة، والآخر يضم شرفات واسعة تطل على حديقة كبيرة. نهاية درامية لرجل يقف بين الأسطورة والحقيقة.. والعتمة والضوء.. نهاية متوقعة لكنها مباغتة وغامضة ومثيرة فقد توقفت آخر نبضات الرجل الغامض فوراً في وقت الظهيرة مثل أبطال المآسي الأغريقية دون حاجة للنقل إلى مستشفى لضخ بعض الدماء في العروق الواهنة والقلب الذي أثخنته العواصف والأحزان العميقة.

صعود درامي وسقوط درامي أيضاً من قصور الرئاسة وعوالم البيزنس وتجارة السلاح إلى الموت من شرفات لندن الضبابية.. موت غامض لرجل أكثر غموضاً كلاهما استجاب لنداء الآخر ليستريح من عذابات المرض والعواصف الإعلامية والضغوط النفسية التي لا تحتملها أعتى العقول في العالم.

حين وصلت شرطة "سكوتلانديارد" الشهيرة بكشف الجرائم الغامضة، وجدت جثة رجل يتمتع بالطول الفارع هامدة في الحديقة وعلى الفور أقام رجال الأمن الحواجز حول مسرح الأحداث وقام خبراء الأدلة الجنائية بتصوير مكان الحادث ورفع البصمات وأخذ عينات من الأشياء الموجودة في الحديقة كما تولى آخرون

الصعود إلى البناية ومعاينة المكان معاينة دقيقة وبعد ذلك تم نقل الجثمان إلى مقر محكمة الطب الشرعي البريطانية حتى يتمكن قسم الطب الشرعي من تشريح الجثة وإصدار تقريره حول الحادث لعرضه على محكمة الوفيات.

كان أشرف مروان وحيداً في الشقة لحظة سقوطه أو إسقاطه من الشرفة باستثناء مديرة المنزل البرتغالية الجنسية التي كانت موجودة في المطبخ لحظة وقوع الحادث وكذلك الطباخ بينما كانت شقيقته عزة موجودة خارج المنزل للتسوق في لندن أما زوجته منى عبد الناصر فقد كانت في ذلك الوقت موجودة في العاصمة اللبنانية بيروت، أما ولداه جمال وأحمد أشرف مروان فقد كانا في القاهرة حيث يديران أعمالهما التجارية والإعلامية الخاصة بهما.

وعلى الفور طار خبر الرحيل الغامض لأشرف مروان إلى القاهرة التي كانت حرارتها أكثر سخونة من طقس لندن شديد البرودة وكان المصريون يحتفلون بفوز الزمالك وتأهله لنهائي كأس مصر، حيث كانت نشرات الأخبار تذيع خبر سقوط أشرف مروان من شرفة شقته في وسط لندن.

ولأن رحيل أشرف مروان سبقته حملة إعلامية عنيفة من الصحف الإسرائيلية وبعض الصحف المصرية التي تنقل عنها، أن أشرف مروان كان عميلاً مزدوجاً للمخابرات الإسرائيلية وأنه استطاع خداع إسرائيل وأخبرهم بموعد خاطئ للعبور فقد جاء خبر الرحيل الغامض ليفجر الجدل من جديد حول شخصية أشرف مروان وهل انتحر أم نحروه ؟ .. وهل هناك علاقة بين رحيله الغامض والكتابات الإسرائيلية خاصة كتاب " تاريخ إسرائيل " للمؤرخ اليهودي أهارون برجمان الذي تحدث عن العميل " بابل " الذي سرب موعد حرب أكتوبر للإسرائيليين أو " زوج الابنة " في إشارة إلى كون مروان صهر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وكذلك كتاب "عشية التدمير" الذي قام بتأليفه الصحافي الأميركي هوارد بلوم ونشر عام ٢٠٠٣ ومذكرات رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر إيلي زعيرا ؟ .

وبينما استقبلت صحفية " الأهرام " الرسمية المصرية خبر رحيل أشرف مروان بشكل محايد وإخباري احتوى على صورة للرجل قبل رحيله بأيام قليلة " كان المرض ينهش في جسده الواهن "، فإن جريدة " المصري اليوم " المستقلة وضعت الخبر في صدر صفحتها الأولى بعنوان منحاز وهو " وفاة أشرف مروان في لندن في ظروف مشابهة لرحيل سعاد حسني والليثي ناصف " .

كانت شرطة "سكوتلانديارد" البريطانية كعادتها جاهزة بالتصريحات القاطعة دون انتظار التحريات أو نتائج التحقيقات فلم تكد تمر سويعات على الحادث حتى أعلنت " سكوتلانديارد " أنه لا يوجد شبهة جنائية حتى الآن وراء الحادث هكذا حسم الرجال البيض ذوو الشارات الزرقاء حادثاً غامضا لرجل أكثر غموضاً.

بل إن شرطة لندن، التي تعد من أقدم الأجهزة الأمنية في العالم منذ تأسيسها عام ١٨٢٩ سارعت إلى تسريب قصة انتحار أشرف مروان عبر من أسمتهم بـ"الشهود المستقلين "، وذلك دون بحث في احتمالات أخرى لرجل له خصومات في ملعب الشياطين " تجارة السلاح " وأباطرة البيزنس فضلا عن كونه هدفاً لأجهزة استخبارات عديدة، من بينها الموساد الإسرائيلي. وكأن شرطة "سكوتلانديارد" تريد بذلك إضافة المزيد إلى سجل إخفاقاتها العديدة في الكشف عن جرائم مشابهة، كان آخرها وفاة الدبلوماسي الروسي ايغور ربونوماريوف قبل يومين من لقائه مع الأكاديمي الإيطالي ماريو سكاراميلا والذي تحوم حوله الشبهات بالتورط في مقتل عميل المخابرات الروسية السابق الكسندر ليتفينكو تلك الحادثة الغامضة التي تسببت في أزمة عنيفة بين روسيا ولندن .

ويضم سجل إخفاقات " سكوتلانديارد " عدم الكشف عن جرائم اغتيال شخصيات مصرية مهمة مثل الفريق الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري أيام السادات والذي ساعده في الإجهاز على مراكز القوى " ورثة نظام عبدالناصر وحكومته الخفية ".

وقد سقط الليثي ناصف من شرفة عمارة " ستيوراث تاور " الشهيرة بغرب لندن ومازالت وفاته لغزا محيرا، وهو نفس البرج الذي شهد مصرع الفنانة سعاد حسني «السندريللا» التي لايزال مقتلها لغزا محيرا حتى الآن، أيضاً شهدت لندن قبل ذلك مقتل على شفيق صفوت أحد رجال المشير عبد الحكيم عامر بطريقة غامضة دون أن تكشف لنا " سكوتلانديارد " عن أسرار تلك الحوادث المشابهة والرابط بينها، وهل وقوعها بطرق مشابهة يحمل أسباباً ودوافع سياسية أم أنها مجرد مصادفات لا تخضع لتفسيرات نظرية المؤامرة.

واللافت للنظر أن " سكوتلانديارد " تستخدم أحدث الوسائل التكنولوجية الحديثة في كشف الجرائم ويعمل بها أكفأ المحققين فضلاً عن أن شوارع لندن المهمة ومحطات مترو الأنفاق تخضع لكاميرات مراقبة خفية ليل نهار لكنها في بعض القضايا الغامضة آثرت إغلاق الملفات والزعم بأن الضحية انتحر بإلقاء نفسه من الشرفات العالية كما حدث في قضيتي مصرع الليثي ناصف وسعاد حسني.

وقد حاولت شرطة " سكوتلانديارد " في تقريرها حول حادث وفاة أشرف مروان الغامضة أيضاً إثبات أنه انتحر بناء على شهادة من تسميهم بالشهود المستقلين الذين قالوا إنهم رأوا بأنفسهم مروان وهو يلقي بنفسه من الشرفة.

موقع الحادث أقوال هؤلاء الشهود تتنافى واقعيا مع موقع الحادث حيث تطل شقة مروان على حديقة المبنى ولذلك يستحيل ان يكون هناك شهود رأوا مروان وهو يلقي بنفسه من الشرفة إلا إذا كانوا على علم مسبق بما سيحدث فالحديقة محاطة بسور من أسياخ حديدية بارتفاع مترين تقريباً وتحيط بها أشجار عالية تخفى كل شرفات المبنى تقريباً وفضلاً عن ذلك فإن الشارع الذي تقع فيه العمارة " كارلتون هاوس تيراس " مغلق ولا يشاهد فيه مارة سوى سكانه، الأمر الذي لا يعزز الاعتقاد بأن أكثر من شاهدوه قرروا أنهم رأوا مروان وهو يلقي بنفسه من الشرفة كما أن أحد هؤلاء الشهود أكد أن هناك سيارة كانت تنتظر مروان اسفل العمارة وسوف تنقله إلى الخطوط البريطانية ومنها إلى الولايات المتحدة.

الغريب أن بيان الشرطة قبل إعادة فتح التحقيقات مرة أخرى أعلن عدم وجود شبهة جنائية وأن الوفاة قد حدثت نتيجة تهتك الشريان الأورطي " الأبهر " جراء سقوط مروان غير ان تحقيقات الشرطة البريطانية لم تبحث أسباب السقوط أما في لندن فإن غالبية المصريين هناك تعاملوا مع حادث وفاة الراحل أشرف مروان بعواطفهم ويرجع ذلك لأن أشرف مروان كان رئيساً لجمعية الجالية المصرية هناك لعدة سنوات وهؤلاء لديهم رغبة في عدم تصديق ما يذاع وما ينشر حول الرجل ويتمنون ألا يكون على علاقة مشينة بالإسرائيليين لذلك فهم يتطلعون إلى ظهور وثائق مصرية تحدد الأدوار التي لعبها مروان في خدمة بلاده للرد على المزاعم الإسرائيلية بأنه كان عميلاً مزدوجاً.

ولا يصدق كثير من المصريين هناك الرواية التي تقول إن مروان قد انتحر فهم يرونه شخصية فولاذية ومؤمنة وقادرة على تحمل أعتى العواصف وكانت أقوى من المرض الذي تسلل إلى جسده الواهن بدليل قيامه بالتبرع بالأجهزة الطبية الخاصة به قبل وفاته.

وعلى الجانب الخاص بالسفارة المصرية في لندن كان هناك اهتمام غير عادي من جانب السفارة، وهو الأمر الذي أثار تساؤلات عن سبب هذا الاهتمام، وهل هو بسبب علاقة السفير المصري الخاصة بأشرف مروان منذ أن كان مستشاراً في السفارة في لندن في أوائل التسعينيات .. أم هناك سبب آخر قد يكون لصلة القرابة بين السفير جهاد ماضي والسيدة إقبال ماضي الزوجة الأولى للرئيس السادات، أم أن هناك توجيهات رسمية بذلك، أم هناك رسالة رسمية تحاول رد الاعتبار للميت بشكل مباشر أم أن أصدقاءه وشركاءه أرادوا أن يعطوا انطباعاً بأنه بريء ؟ .. وإلا ما نال كل هذا الاهتمام من سفارة بلاده، وقد ذكرت مصادر علمية في لندن أن سبب الانتحار- إذا صدقت روايته- يعود إلى ما كتب عن أشرف مروان في مصر، وأن مروان قد علم بذلك من مصادر أبلغته به، مما دعاه أن يشعر بخطورة موقفه رغم أنه زار مصر مؤخراً بعد ٦ سنوات من الغياب لحضور حفل زفاف جمال مبارك،

واعتبر حسب هذا المصدر أن مثل هذا الموقف المتخذ ضده سيؤدي به إلى التهلكة ولم يجد أمامه إلا الانتحار سبيلاً .

وزعمت مصادر أخرى – في ادعاءات ليس هناك ما يؤكدها، ويشوبها الكثير من الضعف – أن الخوف الذي انتاب أوساط رسمية مصرية من تقديم أشرف مروان للمحاكمة، أو التحقيق سيفتح عليها أبوابا هي في غنى عنها . لذلك لم تجد أمامها مخرجا إلا إصدار حكم الموت عليه نحرا لتموت معه كل الأسرار التي يحتفظ بها، ورجحت هذه المصادر أن هذه الجريمة إذا ثبتت من الممكن أن تكون قد تمت بإيحاء مصري أو بأيد مصرية، كما فسرت نفس المصادر أن الغموض الذي أحاط بالحادث وتعدد الروايات حوله يعتبر من قبيل محاولات تضييع الحقيقة حتى لا يعرف الفاعل الأصلي مثلما حدث في قضايا سابقة شبيهة أبرزها قضية قتل الرئيس الأميركي جون كنيدي عام ١٩٦٣ وهذا من وجهة نظر هذه المصادر يعد أسلوبا أمنيا معروفاً برع فيه جهاز الموساد الإسرائيلي.

وكانت مراسم العزاء التي أقامتها السفارة المصرية في لندن لافتة للأنظار من حيث أنها أول مرة يقام عزاء لشخصية مصرية لا تتقلد أي منصب رسمي وفي المقر الرسمي للدولة خارج مصر .

وفي حالة وفاة شخص ليس له أهمية سياسية أو رسمية لا تفتح السفارة سجلا للعزاء، ولا تستقبل معزين كما حدث في سفارة مصر في لندن .

أما الوجه الشعبي للعزاء فقد تم على عجل في مبنى جمعية الجالية المصرية، الذي كان معروضاً للبيع، في اليوم التالي لعزاء السفارة وكان عدد الحضور متواضعا رغم الاتصالات والنشر في الصحف، ولم تعرف أسباب ذلك بعد، ربما لظروف الموت المباغت لأشرف مروان وما يدور حوله من جدل ورغبة المصريين المقيمين في الخارج في تجنب إظهار التعاطف في ظل وجود شبهات حول جريمة ما تتعلق بمصرع مروان من إحدى شرفات لندن.

وكان اتحاد المصريين في بريطانيا برئاسة د. مصطفى رجب قد بذل جهوداً مضنية من أجل إعادة فتح التحقيق في القضية، وعدم التسليم بانتحار مروان، وقام الاتحاد بإرسال مكاتبات عديدة إلى الشرطة البريطانية عبر فيها عن عدم ثقة الجالية المصرية في أسلوب التحقيقات.

وتقول إحدى المكاتبات: كان هناك حادثان مشابهان يثيران الشكوك، حادث الليثي ناصف رئيس الحرس الجمهوري خلال عهد السادات، وكذلك حادث الفنانة سعاد حسني وجرى التعامل معهما على أنهما انتحار، رغم أن هناك بعض الأسئلة لم تجب عنها التحقيقات.

وقد أوضح الاتحاد في مكاتباته أن الأحوال المناخية في لندن سيئة للغاية خاصة في هذا الوقت الذي شهد فيه وفاة أشرف مروان، وأن هذه الأحوال المناخية تمنع الأشخاص من مجرد فتح النوافذ، وليس الوقوف في الشرفة، وهذا أيضاً يزيد القضية غموضاً!

وقد ذكر الدكتور هاني مروان الشقيق الأصغر للدكتور أشرف مروان أن شقيقه لم ينتحر وأنه كان شخصية قوية وقادرة على التحمل بدليل أنه منذ عام ١٩٩٩ وحتى عام ٢٠٠٦ أجرى ١٣عملية جراحية منها ٣ جراحات قلب مفتوح وتركيب دعامات لإصابته بمرض وراثي- جين متوحش يهاجم جسمه- لكنه طوال هذه الفترة لم يشك لأحد ولم يكتئب بل إن بعض جراحاته كان يجريها دون علم أسرته حتى لا يزعجهم. كما يرفض هاني مروان القول بأن شقيقه كان يخشى الحضور إلى مصر ويقول : إنه ظل في علاقة وطيدة بكل أسرته وأصدقائه في القاهرة والإسكندرية، ولم يكن يتأخر عن أحد بالسؤال أو المساندة في أي شيء حتى ولو بالمال، وكانت آخر زيارة له للقاهرة في أبريل من العام السابق لرحيله، بعدها التزم بالبقاء في لندن بناء على تعليمات الأطباء، ولم يغادرها إلا عندما حضر إلى شرم الشيخ لحضور حفل زواج جمال مبارك، وعاد سريعاً إلى لندن إلتزاما بتعليمات الأطباء هناك.

يضيف هاني مروان أن شقيقه كان يجهز للسفر إلى الولايات المتحدة في نفس يوم سقوطه من شرفة منزله، وقبلها كانت شقيقته عزة تزوره، ولم يكن تبدو عليه أي علامات للاكتئاب.

وتتفق مع هذا الرأي د. هدى جمال عبد الناصر في عدم صحة ما تردد عن إنتحار زوج شقيقتها الدكتور أشرف مروان وتقول: " إن الشرفة الملحقة بشقته في لندن مساحتها لا تتجاوز المتر الواحد، وأنها مليئة بالزهور، وأي انسان مقيم في لندن يعلم تماما استحالة أن يقف أي انسان في شرفة منزله خاصة وأن الجو كان ممطراً وغير مناسب للوقوف في الشرفة وأعتقد أن وفاة د. أشرف بهذه الصورة غير طبيعية وأنها تعد عملية اغتيال يبقى الجاني فيها مجهولاً ".

واللافت للنظر أن الوفاة الغامضة للدكتور أشرف شهدت معارك صحافية بين ثلاث صحف مختلفة في التوجهات وهي " المصري اليوم " المستقلة و" الوفد " الحزبية عن حزب " الوفد " .. وأيضاً " الوطني اليوم " عن الحزب الوطني الحاكم وهل انتحر الرجل أم نحروه ؟!

وكانت المعركة بدأت عندما نشرت " المصري اليوم " على صدر صفحتها الأولى بشكل لافت للنظر ومثير في آن واحد، تقريراً كتبه رئيس تحرير الصحيفة مجدي الجلاد عبر مصادر " رفضت الكشف عن اسمها " أن ملف القضية الذي أحالته الشرطة البريطانية " سكوتلانديارد " للمحكمة يتضمن روايات خطيرة تتكتمها الشرطة وتشير إلى أن مروان ألقى بنفسه من بلكونة منزله بإحدى عمارات شارع "سان جيمس مارك " بلندن وأن هذه المعلومات وردت في أقوال شهود عيان تابعوا عن قرب واقعة " الانتحار " لحظة بلحظة وسوف يدلون بشهاداتهم أمام المحكمة عند انعقادها منتصف أغسطس.

وأشار التقرير إلى وجود أربعة شهود رئيسيين في القضية طلبت منهم "سكوتلانديارد" عدم الكشف عن المعلومات التي أدلوا بها أمامها إلى حين انعقاد

المحكمة وهم: عصام شوقي العضو المنتدب لمصنع الكيماويات الذي يمتلك أشرف مروان ٩٠٪ من أسهمه، وهو أيضاً زوج ابنة فوزي عبدالحافظ سكرتير الرئيس السادات، وشخصان مجريان كانا برفقتهما أثناء الحادث.

وقالت المصادر: إن الأربعة كانوا ينتظرون أشرف مروان في قاعة اجتماعات بمعهد المديرين المواجه لشقة مروان قبل الحادث، وأنهم استأجروا قاعة بالمعهد لعقد اجتماع مهم مع أشرف مروان، وحين تأخر اتصل به عصام شوقي فأبلغه مروان أنه لن يحضر، ولكن شوقي أصر وحاول اقناعه بأهمية الاجتماع، واستجاب مروان، وأبلغه أنه سيرتدي ملابسه لحضور الاجتماع وطلب إمهاله نصف ساعة .

وقال الشهود في تحقيقات "سكوتلانديارد" : إنهم وقفوا في شرفة معهد المديرين في انتظار قدوم أشرف مروان، ولكنه كان يخرج إلى بلكونة منزله في حالة " غير طبيعية " وقالوا إنهم رأوه وهو يترنح ويكرر دخول البلكونة، وينظر في كل مرة إلى أسفل العمارة، ثم يتحرك يميناً ويسارا ثم يدخل الغرفة مرة أخرى، مما دعا عصام شوقي إلى تكرار الاتصال به لاستعجال حضوره، وفي كل مرة مروان يرد بتوتر وانفعال : " نازل.. نازل.. نازل"، ثم يعيد النظر إلى الخلف وأسفل العمارة .

وقال شهود - حسب المصادر - إن مروان صرخ في آخر مكالمة مع عصام شوقي قائلاً: اسمع يا عصام.. أنا مش جاي.. مش جاي.. هم شاهدوه وهو ينظر للخلف للمرة الأخيرة - وهو ما فسرته الروايات باحتمال وجود شخص أو أشخاص داخل الغرفة وارتقى خطوة أعلى "سور الشرفة" ثم ألقى بنفسه من البلكونة" .

وأفادت المعلومات التي حصلت "المصري اليوم" عليها من المصادر أن عصام شوقي هُرِعَ إلى مكان الحادث بعد أن رأى مروان يلقي بنفسه من البلكونة، فوجده ملقى على الأرض وأمسك بيده فوجد أنه لايزال قلبه " ينبض" وفاقداً الوعي ولكنه لفظ أنفاسه الأخيرة قبل وصول سيارة الإسعاف بدقائق قليلة.

وفي اليوم التالي، مباشرة لنشر تقرير "المصري اليوم" الذي يرجح انتحار أشرف مروان دخلت "الوفد" على الخط مباشرة لتنشر تكذيباً لوقائع " المصري اليوم" في صفحتها الأولى أيضاً، على لسان الشقيق الأصغر لمروان د. هاني الذي نفى - تماماً - ما تردد عن انتحار شقيقه مؤكداً أن تحقيقات شرطة " سكوتلانديارد" مازالت محاطة بالسرية التامة لحين الانتهاء منها وإن ما تم تسريبه من معلومات عار تماماً من الصحة خاصة .. وأن ما جاء على لسان شهود العيان - حسبما نشرت إحدى الصحف - يقصد المصري اليوم - غير دقيقة من عدة نواح أهمها أن الموقع المخصص لعقد الاجتماع، والذي كان من المقرر أن يحضره أشرف مروان ليس كما وصفوا ولا يقع في الواجهة الأمامية لمنزله.

كما أن قاعة الاجتماعات منفصلة عن قاعة الزوار التي كان بداخلها بعض الذين فسروا وقوفه في شرفة المنزل للانتحار كما أن الغرفة التي قالوا إنهم شاهدوا الفقيد منها محاطة بالزجاج الملون الذي يحجب الرؤية أما صحيفة " الوطني اليوم" الناطقة باسم الحزب الوطني الحاكم فقد اتفقت مع صحيفة "الوفد" لكن بأسلوب مباشر على صدر صفحتها الأولى جاء فيه: "عائلة أشرف مروان.. تفضح أكاذيب.. المصري اليوم: شاهد انتحار مروان كاذب وكان مفصولاً من الشركات قبل الحادث".

في حياة أشرف مروان قالوا عنه الكثير والكثير.. وصفوه بالبطل المعجزة أيام صعوده المبكر في عصر السادات.. ووصوله لمنصب سكرتير الرئيس للمعلومات، نفوذه البالغ أثار البعض، فهاجموه بعنف، حتى خرج من الرئاسة ليتولى منصباً آخر رغم ذلك لم تتوقف الحملات ضده بل ازدادت ضراوة.. حتى ترك موقعه، واختفى في لندن وهناك لم تتوقف وسائل الإعلام عن البحث في صفقاته المثيرة للجدل بالعقارات والبنوك وتجارة السلاح وأشياء أخرى.. تناقلت صراعه الرهيب مع آل الفايد في لندن.. وعندما رحل عن دنيانا في حادث مازال غامضاً قالوا عنه أكثر وأكثر واتهموه في وطنيته، وقالوا إنه كان عميلاً مزدوجاً لإسرائيل، بينما أكد

القادة المصريون أن العميل «بابل» هو الذي خدع إسرائيل وبرأوا ساحته من تلك الاتهامات.

فأين الحقيقة في كل ما قيل.. وهل كان أشرف مروان فعلاً عميلاً مزدوجاً؟ أم كانت جميع مهامه بتكليف من السادات؟! وهل كانت مؤسسات الدولة وأجهزتها على علم بما يقوم به من أدوار معينة.. وما حقيقة واقعة وفاته المثيرة وهل مات منتحراً أم مقتولاً أم قضاء وقدراً؟! هل كان مروان ظالماً أو مظلوماً؟! وما هو مصير مذكراته التي اختفت يوم رحيله المفاجئ؟!

لا شك أن الجيل الجديد سيتساءل عن حقيقة أشرف مروان وعن طبيعة دوره في حرب أكتوبر؟!

ومن حق هذا الجيل أن يعرف الحقيقة كاملة دون تزييف أو تجميل.. ومن أجل ذلك كان هذا الكتاب، الذي يحمل رؤية موثقة كتبت بطريقة توخينا فيها الموضوعية والحياد.

٣١ عامًا تتخبط أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية فى السؤال هل كان د. أشرف مروان أكبر جاسوس جنده الموساد الإسرائيلى فى تاريخه، أم أنه كان عميلاً مزدوجا خدر إسرائيل عشية حرب أكتوبر ١٩٧٣. أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية فشلت فى الإجابة عن السؤال، ومنذ أربع سنوات كاملة، انتقل هذا الجدال حول شخصية الدكتور أشرف مروان زوج ابنة الرئيس الراحل جمال عبدالناصر. إلى صفحات الجرائد العبرية، فلا يكاد يمر شهر حتى تنشر الصحف الإسرائيلية الكبرى تحقيقا أو مقالا عن الموضوع، عن قصة د. أشرف مروان، وتتساءل عن حقيقة أشرف مروان. مسرحية العرض المتواصل انتهت فى شهر أكتوبر الماضى عندما أدركت أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية بما لا يدع مجالا للشك أنها شربت أكبر مقلب فى تاريخها. وقبل ثلاثة أيام، وتحديدا فى ٥-٥-٢٠٠٥، قررت هذه الأجهزة إشراك القراء الإسرائيليين فى حل اللغز. عندما نشرت صحيفة يديعوت أحرونوت

فى موقعيها باللغتين العبرية والعربية تقريرا يفيد أن المخابرات الإسرائيلية حسمت القضية، وقررت الاعتراف بالخديعة الكبرى التى تعرضت لها. وهى أن الدكتور أشرف مروان نسيب الرئيس عبد الناصر كان ركنا أساسيا من خطة التمويه والخداع التى سبقت حرب أكتوبر. وأن الإسرائيليين حصلوا على الإجابة على السؤال الذى حيرهم بشكل غير مباشر من القاهرة، على طريقة نشكركم على حسن تعاونكم معنا. وتكشف صحيفة يديعوت أحرونوت القصة الكاملة للتقصير الذى وقعت فيه أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية فى عملية د. أشرف مروان التى عرفت كوديا باسم عملية بابل. ونشرت فى موقعها الإليكترونى مبدئيا تفاصيل حل اللغز التى جاءت على النحو التالى. نظر أحد رجال الاستخبارات الإسرائيلية الذى أرغم على البقاء فى قاعدته يوم عيد الفصح، منذ أيام، إلى شاشة العرض التليفزيونى، وبعد ثانية عاد إلى الوراء فى حركة عصبية مندهشًا. كان على الحائط أمامه عشرات الشاشات التى انطلقت منها أصوات وصور من العالم العربى، لكن بثا واحدًا من التليفزيون المصرى خطف نظره، وشل تفكيره. هل هذا هو؟ سأل نفسه بصوت عال واقترب من الشاشة، وقال: ولكن كيف يمكن ذلك؟. ومن ثم قام بنسخ الشريط وأدخله إلى جهاز الكومبيوتر، واستخدم برمجية الجرافيك. كما فحص صورًا أخرى من الأرشيف للشخصية التى رآها وقارنها، صورة تلو الأخرى. ولم يراوده أدنى شك – إنه هو بالفعل. وتقول صحيفة يديعوت أحرونوت: ما كشفته الشخصية الاستخباراتية الإسرائيلية هذه، بمحض الصدفة، فى تلك الوردية، عبر شبكة التليفزيون المصرية الرسمية وتم نشره، بفضل يقظته، بين عدة جهات استخباراتية إسرائيلية، قد يكون الحل للغز الذى ظل يحير الاستخبارات الإسرائيلية منذ حرب أكتوبر. ففى الفيلم التليفزيونى القصير يظهر الرئيس المصرى، حسنى مبارك، فى ظهر يوم ال٦ أكتوبر ٢٠٠٤، – وهو يسلم ويحتضن د. أشرف مروان قبل أن ينطلقا معا لوضع باقة من الزهور على قبر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر. الشريط نفسه نشر لأول مرة فى موقع يديعوت أحرونوت باللغة العبرية، ويستطيع كل متعامل

مع الإنترنت أن يشاهده على موقع، http://www.ynet.co.il، وفيه يقف د. أشرف مروان، بعد ٣١ عامًا من حرب أكتوبر، ويصافح بود حقيقى الرئيس مبارك، أمام الكاميرات، فى مراسم النصر على العدو الصهيونى، ويرافقه فى وضع إكليل من الزهور على ضريح الرئيس الراحل، جمال عبد الناصر. ويرافق الشريط تعليق الاستخبارات الإسرائيلية فى جملة قصيرة مفيدة تقول: وهكذا، لم يتبق مجال للشك، فما كان الرئيس المصرى، حسنى مبارك، ليعامل أكبر خائن عرفته مصر فى تاريخها، هذه المعاملة. صورة واحدة تساوى ألف مناقشة بين المثقفين. هذا الشريط الخطير والتعليق الذى يرافقه يعتبر بمثابة رد اعتبار مد للدكتور أشرف مروان للاتهامات التى روجتها الصحف الإسرائيلية، وظلت تلوكها بعض الأقلام العربية، دون مبرر. وصمت الدكتور مروان، معلنا أنه سيكتب مذكراته ليرد بها على كل تلك الأقاويل، لكن الاستخبارات الإسرائيلية سبقته بالاعتراف بفشلها علنيا فى الصحف الإسرائيلية هذا الأسبوع. وتعتبر قضية بابل إحدى أكثر القضايا إثارة للجدل فى تاريخ الاستخبارات الإسرائيلية. حيث يعتبرها قادة الشاباك إخفاقا كبيرًا ومتواصلاً للموساد، أدى إلى مفاجأة تامة فى حرب أكتوبر.

ومع ذلك، يصر الموساد على عدم الاعتراف بالفشل. وقد وصلت الخلافات إلى ذروتها، عندما قدم اللواء إيلى زعيرا، رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية السابق، شكوى ضد رئيس جهاز الموساد السابق تسفى زامير، الذى اتهمه خلال مقابلة تليفزيونية مع الصحفى دان مرجليت بأنه سرَّب وكشف اسم العميل الكبير د. أشرف مروان. على كل حال لقد أعلنت مصادر فى الموساد أن الموضوع لم يعد محل جدال أو خلاف بعد أن شوهدت المصافحة الحميمية بين مبارك وبين رجُلنا فى القاهرة.

من المعروف أن حرب أكتوبر ١٩٧٣، التي عبر فيها الجيش المصري قناة السويس، قضت على أسطورة الجيش الذي لا يقهر، ورغم أن العديد من قادة الجيش الإسرائيلي وفي مقدمتهم دافيد العازار رئيس الأركان - في ذلك الوقت -، دفعوا ثمن المفاجأة

فإن الأنظار جميعها تركزت حول الذراع الضاربة لإسرائيل والمتمثلة في الاستخبارات الإسرائيلية، وإذا كانت الحرب قد زعزعت المجتمع والجيش الإسرائيلي، فإنها أصابت بهزة أرضية شديدة الاستخبارات بشقيها العسكري والموساد.

وفي ظل تبادل الاتهامات بين الموساد والاستخبارات العسكرية وهي اتهامات لا تنحصر في المنافسة الجارية الآن فقط، بل منذ إقامة الدولة اليهودية، تحتل حرب أكتوبر مكانة مركزية، ومنذ سنوات تبين أن أحد أبرز جوانب الخلاف يتركز حول الدور الذي لعبه عميل مصري يدعى باسم "بابل"، وهو الذي خدر المؤسسة الأمنية الإسرائيلية ودفعها إلى تجاهل المعطيات والوقوع في الفخ المصري.

وقد أشير إلى أن هذا العميل الذي كان اسمه الكودي هو "بابل" كان عميلا مزدوجا هو "أشرف مروان"، ومؤخرا وصلت القضية إلى المحاكم الإسرائيلية بعد قيام الجنرال إيلي زعيرا برفع دعوى قذف وتشهير ضد رئيس الموساد الأسبق تسفي زامير، وقد رفعت القضية بعد المعركة الصاخبة التي اندلعت بين الجنرالين على شاشات التلفزيون وصفحات الجرائد العبرية. فقد اتهم زامير، زعيرا صراحة بأنه كان وراء تسريب اسم أشرف مروان للباحث الإسرائيلي أهارون برجمان، وقال إن لديه "الأوراق التي تثبت ذلك، كما أن مؤلف الكتاب (برجمان) تحدث عن اللقاء الذي جمع بينه وبين زعيرا في منزل الأخير"، ودعا زامير إلى تقديم زعيرا للمحاكمة بتهمة إفشاء أسرار الدولة والإساءة إلى أبسط قواعد العمل الاستخباري المتمثلة بعدم كشف المصادر.

وكان الدكتور أهارون رونين برجمان، وهو يهودي إسرائيلي يقيم في لندن، غادر إسرائيل سنة ١٩٨٩ بعدما أعلن رفضه تأدية الخدمة فى المناطق المحتلة أثناء الانتفاضة الأولى، هو أول من فجر قضية أشرف مروان، وقد نشر برجمان كتابا بعنوان "تاريخ إسرائيل"، جاء فيه أن مروان قد لعب دور العميل المزدوج ببراعة، وزود إسرائيل بمعلومات مضللة قبل حرب ١٩٧٣، وأثناء المعارك.

وقد بدأت هذه المعركة عندما قرر زعيرا أن يكسر الصمت ويتحدث في حلقتين تلفزيونيتين حول مسئوليته في التقصير الاستخباري الذي قاد للمباغتة العربية في الحرب. وقال زعيرا: "أنا أتحمل أخطاء التقديرات الاستخبارية قبيل الحرب، فقد تمسكت أنا وضباط وحدة الأبحاث في الاستخبارات العسكرية "أمان" بفرضية أن احتمالات الحرب ضئيلة". وطلب رئيس الموساد آنذاك تسفي زامير حق الرد في التلفزيون حيث قال إن إيلي زعيرا، رئيس الاستخبارات العسكرية أثناء حرب أكتوبر، ضلل الجيش والحكومة الإسرائيلية عن عمد.

ولكن في خلفية الصراع بين الرجلين خلاف حول ما إذا كان مروان مجرد عميل أم أنه عميل مزدوج، ويؤمن زعيرا بأن مروان هو النجاح الأكبر للاستخبارات المصرية قبل وأثناء حرب أكتوبر حيث أفلحت في زرعه ونيل ثقة الاستخبارات الإسرائيلية به ثم تضليلها بعد ذلك.

ويبرر زعيرا موقفه بالقول، إنه من الثابت أن مروان رافق السادات في زيارته للملك فيصل بالسعودية في أغسطس ٧٣، والتى أخبر السادات الملك فيصل فيها بنيته شن الحرب قريبا جدا، فلماذا صمت مروان كل هذا الوقت حوالى شهرين، ولماذا لم يبلغ إسرائيل بالخبر سوى قبل اندلاع الحرب بساعات؟، بحيث لا تصبح المعلومة ذات قيمة، ولماذا ضيع يوما كاملا وطلب لقاء رئيس الموساد في لندن، ولم يبلغهم بالخبر بالتليفون أو في نفس البرقية التي طلب فيها تحديد الميعاد، إذا كان فعلا يعمل لمصلحة إسرائيل! ويتمسك زعيرا بموقفه، موضحا أن عملية "بابل" من أبرز ما نفذته المخابرات المصرية قبل وأثناء حرب أكتوبر، حيث استطاعت زرعه فى طريق ضباط التجنيد الإسرائيليين، وإكسابه ثقتهم، ثم تضليلهم بطريقة محكمة.

وأكد زعيرا أن مروان، كان عميلا مزدوجا خدم مصر بشجاعة كبيرة، وشارك فى الخديعة المصرية الكبرى لإسرائيل، وطالب بالتحقيق في الموضوع بشكل جذري،

مدعيا أنه إذا لم يتم ذلك فإن أجهزة المخابرات الإسرائيلية ستقع في المستقبل، ضحية للعملاء المزدوجين وللتضليل.

ويقول رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية، إن "بابل" نقل معلومات دقيقة إلى إسرائيل لكي يحظى بثقتها، ولكن الهدف من تشغيله كان في الواقع التضليل. وأضاف زعيرا، كيف يمكن لمسئول مصري رفيع كهذا أن يأتي إلى السفارة الإسرائيلية في لندن في وضح النهار، في الوقت الذي يعرف هو وقادته بأن هذه السفارة مثل غيرها من السفارات الإسرائيلية في الخارج مراقبة من عشرات أجهزة المخابرات في العالم؟.

وأشار زعيرا إلى أن أهم مهمة قام بها "بابل" هي عندما أبلغ إسرائيل بموعد الحرب، فهو قال إنها ستتم قبيل حلول المساء، وبذلك خدع إسرائيل لأن الحرب بدأت في الثانية من بعد الظهر، فقد فهم منه الإسرائيليون أن الحرب ستقع في السادسة مساء، وخلال الساعات الأربع كانت القوات المصرية قد أتمت عبور القنال، ولذلك فإنه نجح في تضليل إسرائيل. وفي الوقت الذي تنشغل فيه المؤسسة الاستخبارية بالإجابة عن السؤال حول ما إذا كان أشرف مروان عميلا مخلصا أم عميلا مزدوجا جاءت صور نشرت في التلفزيون المصري لزيارة قام بها الرئيس حسني مبارك لضريح الرئيس عبد الناصر. وبحسب صحيفة "يديعوت أحرونوت" فإن عناق الرئيس مبارك لمروان من شأنه وضع حد للنقاش داخل هذه الأجهزة حول شخص مروان.

وقد نشرت "يديعوت أحرونوت" يوم الجمعة ٢٠٠٥/٥/٦ تقريرا موسعا لبرجمان، أوضح فيه أن هذا الجدل سينتهي لأن مروان كان مجرد "بطل قومي مصري". وبحسب تقرير برجمان فإن أحد العاملين في جهاز الاستخبارات الإسرائيلي في إطار مراقبة شبكات التلفزيون العربية شاهد في إحدى القنوات المصرية الرئيس مبارك يصافح أشرف مروان في احتفالات ذكرى حرب أكتوبر في العام الماضي.

وقام رجل الاستخبارات بتسجيل مقطع المصافحة والذي تخلله أيضا عناق، على شريط فيديو وبعد أن تأكد من أن الشخص المقصود هو فعلا أشرف مروان أبلغ المسئولين عنه بالأمر.

ويقول برجمان إنه "في شريط الفيديو يقف هذا الرجل بعد إحدى وثلاثين سنة يصافح بحرارة يد الرئيس المصري أمام الكاميرات في ذكرى الاحتفال بالنصر على العدو ويرافقه لوضع إكليل الورود على ضريح الرئيس عبد الناصر".

ويضيف برجمان "بعد الآن لا يتبقى أي مكان للشك، فالرئيس المصري لا يتعامل على هذا النحو مع أكبر خائن عرفته مصر، بل هكذا يتم التعامل مع بطل قومي". وحول تجنيد مروان نفسه في خدمة الموساد الإسرائيلي قبل ٤ سنوات من حرب عام ١٩٧٣، كتب برجمان، أنه "قبل أربع سنوات من بدء الحرب دخل رجل أنيق إلى السفارة الإسرائيلية في لندن وطلب التحدث إلى مندوب الموساد فيها"، وعندما حضر مندوب الموساد لم يتعرف على الاسم (أشرف مروان)، لكن مروان قال له: أريد أن أعمل لصالحكم، "أريد أن أزودكم بمعلومات لم تحلموا من قبل بالحصول عليها، أريد مالا مقابل المعلومات، الكثير من المال وصدقني أنه سيسركم دفع المال لي".

لكن رجل الموساد الذي لم يتعرف على مروان حاول صرفه، فرد مروان "عليك فقط أن تبلغ إسرائيل باسمي وسأعود الأسبوع القادم"، ويتابع برجمان، أن المسئولين في الموساد لم يصدقوا ما حصل "فقد كانت القصة أغرب من أن تكون حقيقية".

ورغم ذلك سافر مسئول في الموساد إلى أوروبا وجند مروان الذي أصبح منذ ذلك الوقت يعرف بلقب "بابل"، الذي تلقى خلال الأعوام التي تلت هذا اللقاء مبالغ طائلة وصلت إلى ثلاثة ملايين دولار مقابل معلومات حول مصر زود بها الموساد.

ووفقا للرواية الإسرائيلية فإن مروان زود المخابرات الإسرائيلية بمعلومات ووثائق من غرفة القيادة المصرية منذ شهر فبراير ١٩٧٠، بينها محادثات بين السادات

والرئيس السوفييتي بريجينيف، طالب السادات خلالها الاتحاد السوفييتي بتزويد مصر بأسلحة متطورة.

وبحسب برجمان فإن "المعلومات التي زودها" بابل" أصبحت أكثر أهمية ومع مرور السنين أصبحت إسرائيل أكثر تعلقا بهذه المعلومات" إلى درجة أنه "طالما لم يقل "بابل" إن حربا ستنشب فإن شعبة الاستخبارات العسكرية لم تفكر بأن الحرب على الأبواب حتى وإن كانت كافة الدلائل تشير إلى اقتراب نشوب الحرب". والحقيقة أن ما ينشر فى الصحافة الإسرائيلية يؤكد هذا الكلام، ويدعمه بعدد من الأسانيد، فيقول عاميت كوهين فى معاريف ١٩-١-٢٠٠٣ : في فبراير ٧٣ أسقط سلاح الطيران الإسرائيلى طائرة ركاب ليبية دخلت المجال الجوي في سيناء بطريق الخطأ، وقرر العقيد القذافي الانتقام، وطلب من الرئيس السادات مساعدته فى التخطيط لعملية انتقامية سريعة، ووافق السادات، حتى لا تتسبب ثورة القذافي في تدمير خطط حرب أكتوبر.

وكُلف الدكتور أشرف مروان بالمهمة، وقام مروان بنقل عدة صواريخ ستريلا مضادة للطائرات لخلية تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي استعدت بدورها لتفجير طائرة إسرائيلية فى مطار روما، وقبيل تنفيذ العملية بساعات قليلة ألقت قوات الأمن الإيطالية القبض على الخلية في مخابئها.

ويبدو أن مروان هو الذى أبلغ ضابط تشغيله المخدوع في الموساد بتفاصيل العملية ليكسب ثقته، وبذلك ضرب السادات عصفورين بحجر واحد، ظهر وكأنه ساعد القذافي، ومن ناحية أخرى دعم مصداقية أحد أضلاع خطة التمويه والخداع المصرية.

ويضيف يوسي ملمان، فى هآرتس ١٧-١-٢٠٠٣ : في مايو ٧٣ نقل مروان لإسرائيل معلومات مفادها أن المناورة التى يقوم بها الجيش المصري ستنتهى بشن الحرب، وأصدر رئيس الأركان آنذاك دافيد أليعزر، بالمخالفة لرأي موشيه ديان وزير الدفاع،

قرارا بتجنيد قوات الاحتياط والدخول في حالة التأهب القصوى، الأمر الذى كلف إسرائيل خسارة اقتصادية فادحة لأن حالة التعبئة لم تكن مدرجة على جدول الميزانية. كما أن المصريين لم يشنوا الحرب، وثارت ثائرة الحكومة الإسرائيلية، وبدأت ثقتهم تهتز فيما ينقله العميل "بابل"، الذى ضللهم، لذلك لم يصدقوا ما قاله لهم عشية السادس من أكتوبر، تماما كما كان مخططا من أول العملية.

فعندما وصلت المعلومة لشعبة الأبحاث بالمخابرات الحربية، علقوا عليها بقولهم المصريون لن يشنوا الحرب بمفردهم، وفرص مشاركة السوريين في الحرب ضعيفة، وفي كل الأحوال لن يجرؤ المصريون على شن الحرب طالما أنهم لم يحصلوا القدرات الصاروخية التي تستطيع مواجهة تفوق سلاح الجو الإسرائيلي.

وشغل الإسرائيليون أنفسهم بمحاولة الإجابة على سؤال صعب حول حقيقة دور أشرف مروان، وهل كان أحد أضلاع خطة التمويه والخداع؟. ويجيب دان مرجليت الصحفي بـ "معاريف"، أن بقاء مروان طليقا يمارس حياته الطبيعية دون أي عائق، يؤكد أن إسرائيل راحت ضحية لعبة رجل محترف من طراز فريد.

ومن ناحيتها التزمت الحكومة المصرية الصمت إزاء المزاعم المتعلقة بالعمالة لإسرائيل، فيما ترجح دوائر أمنية مصرية أن يكون مروان عميلا مزدوجا لصالح مصر، استنادا إلى أن الرئيس الراحل أنور السادات كرمه تقديرا لجهوده خلال حرب أكتوبر وتمكنه من توفير قطع الغيار اللازمة للقوات الجوية في أثناء رئاسته للهيئة العربية للتصنيع في الفترة من ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٩.

كما كان أشرف مروان من ضمن القلائل الذي وجهت له الدعوة لحضور زفاف جمال مبارك نجل الرئيس، وقد لبى مروان الدعوة وحضر بالفعل، وكانت أخر زيارة له لمصر، فهل يدعو مبارك شخصا لزفاف ابنه تدور حوله الشكوك والأقاويل، إلا إذا كان يعرف حقيقته بالفعل، والدور الذي قدمه للبلاد.



أشرف مروان في شبابه ..



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر يبارك لمروان وابنته في بداية حفل زفافهما .



أشرف مروان مع زوجته منى عبد الناصر وطفلهما في لقطة تذكارية من الماضي الجميل !!

١٤- حكاية الكامري الخضراء

وسر مقتل سوداني بأمريكا !!



●● مصطفى أبو رنات قتلوه في أمريكا ولم يعثروا على قاتله، أو لم يحاولوا جيداً، ولا يزال مقتله يكتنفه الغموض !!

جريمة غامضة راح ضحيتها أحد السودانيين المقيمين بولاية فرجينيا الأمريكية وتحولت إلى لغز حير الشرطة الأمريكية حيث لم يتم الكشف عن تفاصيلها واسبابها ولم تسفر التحريات عن القبض على القاتل الغامض الذي لا يزال حرا طليقا... مصرع المواطن السوداني بأسلوب " الكاوبوي " أثار حزن واستياء الجالية السودانية بالولايات المتحدة الأمريكية حيث تجمهرت مجموعة منهم أمام مكاتب شرطة الولاية مطالبين – دون طائل - بكشف تفاصيلها والقبض على القاتل المجهول، فما هى تفاصيل هذه الجريمة التي عرفت باسم : جريمة الكامري الخضراء.

مصطفى إبراهيم أبو رنات أحد أبناء السودان، من مواليد عام ١٩٦٤ .. الابن الوحيد لوالديه، والده متوفي تخرج في كلية الاقتصاد بجامعة بونا بالهند عام ١٩٩١.. قاده طموحه وقدره للهجرة إلى أمريكا العام ٢٠٠١ التحق بشركة "واشنطن دالاس ايربورت" بمطار واشنطن بفرجينيا وهي شركة أمريكية تعمل في مجال الإمدادات الغذائية للطائرات إلا أنه بدأ يبحث عن عمل جديد فالتحق بإحدى شركات التاكسي الأمريكية كسائق ولم يخبر معارفه وأصدقاءه بذلك لعلمه أنهم سوف يعارضونه لخطورة العمل في التاكسي بامريكا.. بدأ مصطفى عمله بشركة التاكسي قبل مصرعه بثلاثة أسابيع،حيث كان يتوجه إلى موقف التاكسي بولاية ميريلاند بعربته الخاصة ماركة تايوتا كامري يركنها هناك ثم يقود التاكسي ليبدأ عمله كل يوم.

وبعد منتصف ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من مارس عام ٢٠٠٦ أبلغ أحد المواطنين وجود قتيل داخل عربة خاصة بموقف العربات الخاص بأحد المجمعات السكنية بشارع جنوب " وايتن ستريت " بمدينة الاكساندرية وذكر المتابعون لهذه القضية أن الشرطة وصلت لمكان الحادث حوالي الساعة الثالثة صباحا .

وصلت الشرطة إلى مسرح الجريمة فوجدت أحد الأشخاص واتضح أنه فارق الحياة مصابا بعيار ناري يرجح أنه أطلق من مسدس على رأسه وعثرت بجانبه على محفظة خالية من الدولارات وموبايل، وبعض الأوراق الثبوتية التي كشفت هوية القتيل حيث اتضح للشرطة أنه السوداني مصطفى إبراهيم أبو رنات ولم تعثر الشرطة بمسرح الجزيمة على أي أثر أو دليل يقود إلى القاتل أو كيفية حدوث الجريمة!!

وبمراجعة أفراد التحري لقائمة المكالمات الواردة والمستلمة لموبايل القتيل، اتضح ان آخر اتصال أجراه القتيل كان في الساعة ١١,٤٥ مع أحد أصدقائه وبالتحري مع صديقه ذكر « أن القتيل اتصل به فعلا وأخبره بوجود زبون معه في عربته الخاصة وسيوصله إلى منطقة الاكساندرية بفرجينيا وسوف يعاود الاتصال به مرة أخرى بعد توصيل الزبون لجهته. كما رصدت الشرطة بجهاز الموبايل على MISS CALL حوالي الساعة ٢ و٤ دقائق بعد منتصف الليل وتم التعرف على صاحب الرقم الذي ذكر في أقواله أنه صديق القتيل إلا أنه لم يعرف أن المرحوم هو المتصل لأنه استبدل نمرته أخيراً.

الحادث غامض ولم تتضح تفاصيله بعد لعدم وجود شاهد عيان، رغم المجهودات التي بذلتها الشرطة الأمريكية ومنها مراجعة الصور بكاميرات المراقبة بالمترو بالمنطقة التي نقل منها القتيل الزبون... وبعض الشهود ذكروا أنهم شاهدوا عربة القتيل قبل دخولها موقف التاكسي مباشرة ولم يدل أحدهم بأية معلومة تفيد بمشاهدتهم لما حدث!!

من قتل مصطفى إبراهيم أبو رنات؟.. سؤال حائر ظل يتردد في أذهان أهل ومعارف وأصدقاء القتيل منذ مقتله وحتى الآن.

فالحادث غامض وبلا شهود .. بشير نصر محمود كمبال، أحد معارف القتيل وصديقه في نفس الوقت، وهو يقيم ويعمل بمدينة " اناندالي " بولاية فرجينيا، ورافق

الجثمان إلى السودان حيث ووري الثرى بقرية " ألتي " جنوب مدينة " المسيد " قال بتأثر واضح:

" قبل الحادث بيومين وتحديداً يوم السبت الموافق الثامن عشر من مارس عام ٢٠٠٦ زارني المرحوم بالمنزل، ومكث معي لبعض الوقت.. وكان يستخدم عنواني لاستلام مراسلاته ولم نكن نعرف أنه يعمل في التاكسي إلا بعد مقتله، كما علمت أنه حصل اخيراً على " البطاقة الخضراء " إلا أنه لم يخبرنا بها.

ويوضح : أما تفاصيل الحادث فلم تكشف حتى مغادرتي أمريكا إلى السودان برفقة الجثمان ورغم التحريات المكثفة التي قامت بها الشرطة الأمريكية إلا أنها لم تتوصل لمعرفة القاتل أو الحصول على أية معلومات تساعد في القاء القبض عليه فهو لا يزال طليقا، وكل ما يتناقل هناك عن أسباب الحادث أو كيفية وقوعه مجرد شائعات وافتراضات لا أساس لها من الصحة ".

ويضيف : " وقد بذلت الشرطة الأمريكية وأصدقاء ومعارف القتيل بأمريكا مجهودات جبارة لكشف لغز الجريمة حيث قامت الشرطة بتوزيع نشرات بوسائل الإعلام المختلفة ناشدت فيها كل من لديه معلومة عن الحادث إبلاغ الشرطة بها".

وعما إذا كان للقتيل أية خصومات أو عداوات قال: " لا .. المرحوم كان محبوبا جدا بين السودانيين وغيرهم من الجنسيات الأخرى بمن فيهم الأمريكان، ولا عداوة له أو مشاكل مع احد، وليس لديه أي نشاط سياسي، فهو- رحمه الله- إنسان مهذب ذو خلق رفيع وكان يجتهد ويثابر في العمل لتوفير مبلغ من المال استعداداً للحضور إلى السودان للزواج، فهو لم يزر الوطن منذ مغادرته له العام ٢٠٠١ اي لمدة ٥سنوات كاملة.. والغريب بعد الوفاة مباشرة أخبرنا أحد أصدقائه المقربين أنه أوصاه قبيل مقتله أن يدفن بالسودان إذا توفى في أمريكا " .

وعن تشريح الجثة بمشرحة فرجينيا وذكر تقرير الطبيب الشرعي عن أسباب الوفاة:

"الإصابة بعيار ناري في الجزء الأيمن من الرأس مما تسبب في الوفاة"، يقول صديق القتيل بشير نصر محمود كمبال: بعد الحادث بيوم وحسب القانون الأمريكي لا يسمح بتسليم الجثة إلا بواسطة جهة مرخص لها بتجهيز الجثث وهي شركة « Funnaral Home» وهي التي قامت باستلام الجثمان من مشرحة فرجينيا وكانت هذه أول مرة نشاهد فيها المرحوم بعدها أقمنا عليه صلاة الجنازة الميت بمسجد الهجرة بفرجينيا عقب صلاة العشاء، ثم أحضرناه إلى السودان، وتم دفنه بمقابر ألتي جنوب مدينة "المسيد".

١٥- ألكسندر ليفتينينكو ..

أغرب وسيلة للقتل !!



●● كل الشواهد أكدت أنه قُتل بأمر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وبمادة فتاكة، ورغم ذلك أغلق ملف الجريمة الغامضة دون الإيقاع بالقاتل المحترف !!

جرت العادة أن تجرى أجهزة الاستخبارات عمليات تصفية جسدية للعملاء المنشقين.. السبب ببساطة هو تكميم فمه للأبد .. فالعميل المنشق يظل مصدراً لتهديد جسيم بما لديه من أسرار رهيبة يمكن أن يؤدي كشفه عنها لأزمات لا قبل للنظام في بلاده بمواجهتها، وربما تكون من نتائجها تعريض علاقاتها بدول أخرى لخسائر وأضرار فادحة، أو فرض عقوبات دولية عليها، أو ربما الزج بها في حرب ضروس .

ومن ثم فقد جرى العرف أن تتخلص أجهزة الاستخبارات من جواسيسها وعملائها بمجرد رفعهم راية العصيان أو تهديدهم بكشف أسرار عملياتها القذرة.. ولكن أحيانا يخشى مسئولو هذه الأجهزة رد فعل العالم إذا ما أقدمت على التخلص من عميل أصبح معروفاً وتحت أعين العالم، بعد تمكنه من اختطافها وإيصال صوته للخارج .

ومن هنا يصبح كل ما تفعله هذه الأجهزة معه مرصوداً، ومن ثم تتردد في التخلص منه، ولا تجد أمامها مفراً من الإبقاء عليه حياً قيد الإقامة الجبرية، ومع منعه من مغادرة بيته وبلده، بمعنى إسكات صوته دون إزهاق روحه، وتحمل عواقب ذلك من إدانات دولية وغيرها !!

وهكذا كان الحال مع ألكسندر ليفتينينكو أحد أشهر العملاء الروس في العصر الذهبي لجهاز الاستخبارات السوفيتي " كي . جي . بي " عندما قرر في الألفية الثالثة، وبالتحديد في العام ٢٠٠٦، أن ينشق عن نظام الرئيس فلاديمير بوتين في روسيا بعد سنوات طويلة من تفكك الاتحاد السوفيتي، مع تغيير بسيط، وهو أنه تمكن من الهرب إلى الخارج فلم يجد نظام بوتين مفراً من تصفيته جسدياً في الثالث والعشرين من شهر نوفمبر عام ٢٠٠٦، في لندن حيث لجأ، وبأبشع طريقة!!

ومما جعل للفضيحة عواقب وخيمة أقلها تفجير أزمة دبلوماسية بين موسكو ولندن انتهت بما اصطلح على تسميته بـ " موسم تبادل طرد الدبلوماسيين بين روسيا وبريطانيا بسبب ليفتينينكو "هو تورط الرئيس بوتين شخصياً فيها، واتهام ليفتينينكو له، وهو على فراش الموت بأنه هو الذي أصدر بنفسه الأمر بتسميمه بمادة مشعة !!

ومما زاد الطين بلة أن الرئيس بوتين هو نفسه أيضاً الذي رفض تسليم قاتل ليفتنينكو العميل أيضاً بالاستخبارات الروسية لسلطات التحقيق في لندن، بعد أن فضحته تصريحات آخر شخص التقى ليفتنينكو قبل سقوطه صريع التسمم بالمادة المشعة، وهو الأستاذ الجامعي الإيطالي ماريو سكاراميلا الذي لاقى نفس مصيره وبنفس المادة المشعة !!

كان من المفترض أن تكون الحرب الباردة قد انتهت منذ خمسة عشر عاماً، ولكن المؤكد أن مصرع "الكسندر في. ليتفيننكو" في لندن يضع شرطة "سكوتلاند يارد" البريطانية أمام لغز يشبه ألغاز جرائم القتل التي كانت تتم إبان تلك الحرب. وبعد أن تبين أن الجاسوس الروسي السابق، قد مات بالسم، فقد كان السؤال هو: كيف تم ذلك.. ومن هو المُنفذ؟

بدأت القصة في أحد مطاعم "السوشي" الواقعة بالقرب من منطقة "بيكاديلي سيركس".

بالتأكيد لم يكن السم من ضمن الوجبات التي تشتمل عليها قائمة الطعام في هذا المطعم، ولكن الذي حدث هو أن ليتفيننكو المنتقد الشرس للرئيس فلاديمير بوتين ولجهاز "إف. سي. بي" (كي. جي.بي سابقا) بعد أن تناول الطعام مع شخص إيطالي في المطعم سقط مريضاً بعد مغادرته ذلك المطعم بساعات.وبعدها نُقل ليتفيننكو إلى أحد المستشفيات اللندنية تحت حراسة "سكوتلاند يارد" وذلك قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة .

في البداية اعتقد الأطباء المعالجون أن المنفي الروسي قد راح ضحية للتسمم بمادة "الثاليوم"، ولكن بعد إجراء بعض الفحوصات شك هؤلاء الأطباء في أن الرجل قد يكون مات بفعل مادة "الثاليوم" المشعة أو غيرها من أنواع السموم.

ولكن مسؤولاً بوزارة الصحة البريطانية أعلن مؤخراً أن ليتفيننكو مات نتيجة تناول جرعة كبيرة من مادة "البلوتونيوم ٢١٠" وهي مادة مشعة كذلك.

وقد تركزت الشكوك فوراً على جهاز الأمن الفيدرالي الروسي "إف.إس.بي" الذي عمل ليتفيننكو فيه لحسابه قبل أن يقطع علاقته به عام ٢٠٠٠ بعد أن اتهمه بارتكاب جرائم عديدة ليفر إلى لندن حيث مُنح حق اللجوء السياسي. وفي لندن أصدر ليتفيننكو كتاباً عام ٢٠٠٣ بعنوان" إف.إس.بي يفجِّر روسيا" اتهم فيه جهاز الأمن الروسي بقصف شقق سكنية في موسكو واتهام المقاتلين الشيشان بالقيام بذلك، لخلق المبرر لغزو الشيشان مرة ثانية وهو ما أغضب الكرملين.

وفي الوقت نفسه الذي سُمم فيه كان ليتفيننكو يجرى تحقيقا خاصا في حادث القتل الذي وقع في السابع من أكتوبر الماضي في العاصمة الروسية موسكو وراحت ضحيته الصحفية المعارضة "آنا بوليتكوفسكايا".

وعلى الرغم من عدم توافر دليل قوي يمكن من خلاله الربط بين الاستخبارات الروسية وبين مؤامرة التسميم، فإن الشكوك التي أثارتها بعض الجهات في هذا الشأن دفعت الكرملين إلى الرد ووصف تلك الشكوك بأنها لا تزيد عن كونها "هراءً محضاً". وسبب هذه الشكوك يرجع إلى أن الـ"كي.جي.بي" لها تاريخ مشهود في عمليات التسميم أهمها الحادث المعروف بحادث المظللة المسمومة. ففي ذلك الحادث ساعدت "كي جي بي" على اغتيال "جورجي ماركوف" المنشق البلغاري الذي تعرض لوخزة متعمدة في فخذه على جسر "ووتر" لو في لندن بواسطة شخص كان يحمل معه مظلة ذات طرف مسمم بمادة "الريسين" مما أدى إلى وفاته بعد ٤ أيام.

وحادث تسميم ليتفيننكو يحمل العديد من الألغاز منها علاقته بالشخص الإيطالي الذي تناول معه طعام الغداء في مطعم "السوشي"، ويدعى ذلك الشخص "ماريو سكاراميلا" وهو أكاديمي يعمل استشارياً لمؤسسة تقوم بإجراء تحقيق عن أنشطة الاستخبارات السوفيتية السابقة في روما.

ولكن وقبل الحديث عن هذه الصورة من صور حرب الجواسيس التي ازدادت ضراوة في القرن الواحد والعشرين يجدر بنا التوقف عند شخصية ليفتنينكو مفجر هذه الحرب الضروس بين موسكو ولندن ولا تزال مستمرة !!

ولد ألكساندر في فورونيتش في روسيا (الاتحاد السوفييتي) في الرابع من شهر ديسمبر عام ١٩٦٢ . وتم تجنيده كعميل لدى الاستخبارات الروسية في مجال مكافحة الجرائم المنظمة (التنظيمات المسلحة)، ولكنه انشق عليها . وبعد توقفه عن العمل لدى الاستخبارات الروسية، أصبح مناهضا لها، وقام بفضح بعض العمليات غير المشروعة التي نفذتها تتعلق بالاستخبارات والملياردير الروسي بوريس بيريزوفكسي، حتى تم اعتقاله عام ١٩٩٩، ثم أطلق سراحه – لاحقا – بعد ان وقع على وثيقة يتعهد فيها بعدم مغادرة الأراضي الروسية، ثم هرب بعدها إلى بريطانيا !

و هناك بدأ ليفتيننكو من وجهة نظر الروس الخروج عن النص، حيث بدأ في فتح فمه، والكشف عما بحوزته من أسرار.

فقد أصدر كتابين في غاية الخطورة كشف في أحدهما وهو بعنوان " تفجير روسيا " – Blowing up Russia – " أن المخابرات الروسية قامت بعمليات تفجير في روسيا لتحريض الشعب على الحرب ضد الأقليات المسلمة عبر إلصاق التهم بالمتمردين الشيشان " .

و من هنا تبدأ المأساة كما كشفت التحقيقات بلقاء ليفتنينكو مع أحد معارفه الإيطاليين باسم ماريو سكاراميلا الذي قام بتسليم ليتفينينكو رسالة تتعلق بالتحقيق

في جريمة اغتيال الصحفية آنا بوليتكوفسكيا في موسكو مؤخرا . وأنهما التقيا في منتصف النهار في مطعم ياباني .

وسرعان ما شعر ليتفينينكو في الأيام الأولى من نوفمبر بتردي صحته وغثيان وكان هذا وفقا لأعراضه شبيه بالتسمم، ونقل ضابط دائرة الأمن الفدرالية الروسية السابق إلى أحد مستشفيات لندن . وتردت حالته أكثر على مدى أسبوع وسقط شعر رأسه بالكامل عمليا.

وقال الأطباء أن ليتفينينكو لم يتناول أي شيء على مدى ١٨ يوما بعد التسمم وكان يحقن بالمغذي . وتضرر بشكل جدي لدى ليتفينينكو نخاع العظم مما تسبب في حرمان الجسد من كريات الدم البيضاء تقريبا . وأظهرت التحاليل والفحص الخاص بالسموم أن نسبة معدن الثاليوم الخطر في جسم ليتفينينكو أكثر من المعدلات المسموحة بثلاثة أضعاف تقريبا.

وأشارت التحقيقات إلى أن ليفتينينكو من أقرب المقربين لرجل الأعمال المعارض لنظام الرئيس الروسي بوتين والهارب إلى لندن بوريس بيريزوفسكي .

والآن يجدر بنا التوقف قليلاً عند المادة المشعة التي فجرت الفضيحة، بعد أن أودت بحياة ليفتنينكو، وقلبت حياة اللندنيين رأساً على عقب خوفاً من آثارها . فقدعثر على آثار البولونيوم في ثلاثة مواقع في لندن وهي فندق ميلينيوم في مايفير، حيث التقى الجاسوس السابق روسيين اثنين في الأول من نوفمبر، وفي مطعم ايتسو الياباني للسوشي في بيكاديللي، حيث تسلم مستندات من الأستاذ الجامعي الإيطالي ماريو سكاراميلا، وفي منزله في موزويل هيل شمال المدينة.

تعد " البولونيوم ٢١٠ " أحد العناصر الموجودة في الطبيعة، والقادرة على بث إشعاعات من نوع " ألفا " المضرة بالكائنات الحية عموماً، وبينها الإنسان. وتم اكتشافه من قبل ماري كوري البولندية الأصل في أواخر القرن التاسع عشر، وتحديداً في عام ١٨٩٨ .

وهو من العناصر النادرة جداً في الطبيعة، ويتم استخراجه اليوم إما مباشرة من الصخور المحتوية على عنصر اليورانيوم، حيث يُعطي كل طن متري من اليورانيوم حوالي ١٠٠ ميكروغرام من البولونيوم، أو من خلال عمليات فصل كيميائي لهذه المادة من مادة اليورانيوم - ٢٢٦.

وله أكثر من ٥٠ نظيرا مشعا غير ثابت، أكثرها توفراً هو " بولونيوم-٢١٠ " . ويصدر أشعة " ألفا " بكميات عالية، حيث ينتج مليغرام واحد منه من أشعة ألفا ما تُنتجه ٥ غرامات من مادة الراديوم. لكن من المعروف أن أشعة ط ألفا " يُمكن التحكم في تسربها بصفة سهلة نسبياً، لذا فإنه نظرياً يُمكن وضعها في علبة زجاجية محكمة الإغلاق، مثلا، أو مظروف ورقي أو في داخل قطعة من الطعام، دون أن يتضرر من يحملها أو من حوله طالما لم تُستنشق المادة أو تُبلع. وتوجد هذه المادة المشعة في أجزاء الطبيعة القريبة من الإنسان بكميات ضئيلة، كما في التربة والهواء والمياه، بل تُوجد حتى في لفافات التبغ المزروع في بعض مناطق العالم. ولذا فإن أجسام الناس تحتوي على كميات ضئيلة جدا منها بصفة طبيعية.

وتعتبر مادة " بوليونيم - ٢١٠ " عالية الإشعاع والسمّية إذا ابتُلعت أو استُنشقت أو حُقنت في الدم. ومن الخطورة الصحية بمكان حملها أو التعامل معها دون احتياطات سلامة. وتعد كمية ١ ميكروغرام (جزء من ألف غرام) خطرة جداً، نتيجة التأثير المباشر لطاقة أشعة ألفا على أنسجة الجسم. وبحساب تقريبي فإن التأثير السمّي لغرام منها يُعتبر أكثر سمّية من غرام من السيانيد، بمقدار ٢٥٠ مليون مرة، ما يعني أن قطعة بحجم ذرة غبار تعد عالية السمّية.

ولا توجد مادة مضادة لعلاج حالات التسمم بالبولونيوم - ٢١٠، لكن عندما تتواجد في الجسم بكميات عالية فإنها تتسبب في أضرار بالغة على أعضاء الجسم خصوصاً عند ابتلاعها أو استنشاقها، وربما تُؤدي إلى الوفاة.

ويجد الأطباء صعوبة في اكتشاف وجود المادة عندما يتعرض لها الإنسان، والسبب في ذلك هو طبيعة إشعاعات ألفا التي تصدرها المادة، لأنها ذات مدى

قصير في اختراق أنسجة الجسم، وحينما يتم ابتلاعها أو استنشاقها فإنها تتلف الأنسجة المحيطة بمكان تواجدها دون الخروج بشكل كاف إلى مناطق خارجية من الجسم، مما يُصعب على الأطباء اكتشاف وجودها. ولهذا فإن الشخص الذي يتعرض للتسميم بالمادة، لا يؤثر بشكل ضار، في الغالب، على من هم حوله من الناس.

ومن هنا يبدو اختيارها كوسيلة قتل، فكرة ذكية، ولم يسبق استخدامها لهذه الغاية من قبل، كما تشير بعض المصادر، ولا يُمكن اكتشافها بأجهزة رصد الإشعاعات المعتادة. ولهذا فإن الأطباء عادة لا يكتشفون وجودها حينما تبتلعها الضحية أو يستنشقها، حتى حين بدء ظهور الأعراض المرضية عليه، إضافة لعدم تسببها في أذى للمحيطين بالشخص المعني. لكن ثمة آراء طبية تفيد بان الناس الذين يتعرضون لبول أو براز وربما إفرازات عرق، الشخص المعني، قد يتضررون هم ايضاً بانتقال أجزاء ضئيلة من المادة المشعة الضارة إليهم.

وعند مراجعة المصادر الطبية حول دراسات التسمم، لا يستطيع الإنسان العثور سوى على إشارة لهذه المادة في إحدى الدراسات الروسية الطبية الصادرة عام ١٩٩٤.

والتأثير المباشر لهذه المادة على جسم الإنسان يحدث نتيجة لأشعة ألفا الصادرة بوفرة عن مادة بولينيوم - ٢١٠، حيث تُؤدي الطاقة الناجمة عن الأشعة هذه إلى تفتيت آلية عمل جينات الخلايا، ما يُؤدي إلى قتل الخلايا الحية أو تحويلها إلى خلايا سرطانية. ولذا تظهر الأعراض على مناطق الجسم التي تتميز بوجود خلايا تنقسم بسرعة في العادة، مثل خلايا نخاع العظم أو بصيلات الشعر أو بطانة أجزاء الجهاز الهضمي، أي ظهور حالة أنيميا الدم وضعف جهاز مناعة الجسم وتساقط الشعر وأعراض شتى في الجهاز الهضمي.

وعودة إلى مأساة لفتيننكو الغريبة والعجيبة أيضاً، وبالتحديد صبيحة الوفاة فى ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٦، ظهرت وصيته التى قال عنها صديقه أليكس جولدفارب : الكسندر

فالتيروفيتش ليتفينينكو هو الذي أملاها علي بنفسه يوم ٢١ نوفمبر ٢٠٠٦ وهو يصارع الموت، أي قبل يومين من وفاته .. هذه الوصية التي غيرت مسار الأحداث، وحولت حكاية العميل السابق إلى أزمة بين موسكو ولندن ممتدة وفي تصاعد حتى صدور هذا الكتاب .. ويقرأ نص الوصية :

"أود أن أشكر العديد من الناس .. أطبائي وممرضاتي، طاقم المستشفى الذي يفعل في هذه الأثناء كل ما في وسعه لمساعدتي. أود أن أشكر الشرطة البريطانية التي تحقق في قضيتي بجلد واحترافية، وفي الآن ذاته تؤمنني وتحمي عائلتي. أود أن أشكر الحكومة البريطانية على رعايتي والاهتمام بي. عن حق أفخر أني مواطن بريطاني. أود أن أشكر الشعب البريطاني على رسائل الدعم والمساندة، على الاهتمام الذي أبداه تجاه محنتي.

أشكر زوجتي مارينا التي وقفت دوما بجانبي. فلتعلم أن حبي لها ولابننا لا يعرف حدودا.

ولكنني إذ أرقد هنا، أحسبني أسمع بوضوح تام ويقين دقات أجنحة ملاك الموت. ليتني أفر منه، غير أن ساقي اليوم لن تطيعاني، ولن تعدوا بالسرعة التي أتمناها. وعلى هذا أظن الوقت قد حان .. لأقول شيئا أو بضع أشياء لهذا الذي يسأل عن وضعي الراهن ..

لربما نجحت أن تسكتني، لربما نجحت أن تخرسني، ولكن للسكوت ثمن .. ثمن يدفع، وقد دفعتموه .. دفعتموه حين ارتديتم ثياب البربرية، ثم دفعتموه مجددا حين دنا بكم للقاع، للمستوى الذي قبعتم فيه قساة متبلدي الإحساس، وأثبتم معه صدق كل كلمة قالها أعداؤكم وناقديكم.

أريتموني والعالم من بعدي أنكم تفتقدون كل احترام للحياة والحرية، تماما كما تعوزكم قيم الحضارة.

ما قط استحققتم مناصبكم ولا مسؤلياتكم، ولا ثقة المتحضرين والمتحضرات.

لربما نجحتم أن تسكتوا رجلا واحدا، ولكن عواء الثوار والأحرار حول العالم سيدوي، حتما سيدوي، ويزلزل الأرض .. سيدوي أمام عينيك سيد بوتين. غفر الله لك ما اقترفته، في حقي، وفي حق روسيا الحبيبة وشعبها " .. إلى هنا انتهى نص الوصية !

وبدأت خيوط الأزمة تتجمع بفعل الكشف عن مضمون الوصية، وما حملته من اتهامات .. وحاولت الصحف الروسية الموالية للحكومة السبت الدفاع عن الكرملين وقالت صحيفة "روسيسكايا غازيتا" "أن تسميم ليتفيننكو قد يكون وراءه بوريس بريزوفسكي لإثارة الشبهات في السلطات الروسية".

أما الرئيس الروسي فلاديمير بوتين فقد ندد باستخدام موت العميل الروسي السابق ليتفينينكو في لندن للتحريض السياسي ضد نظامه " !

وقد هدد العميل الإيطالي الأستاذ الجامعي ماريو سكراميلا الذي كان مصاباً أيضاً بنسبة ضئيلة من مادة البولونيوم المشعة ورقد بأحد مستشفيات لندن لبعض الوقت قبل شفائه ، بالكشف عن ملفات ووثائق تورط عدد من السياسيين والصحفيين الأوروبيين في قضايا التجسس لصالح جهاز الاستخبارات الروسي . ونقل المحامي سيرجيو راستريللي عن سكراميلا قوله : "قبل أن أودع هذه الحياة سأكشف عن أسماء سياسيين وصحفيين كانوا يمدون جهاز الاستخبارات الروسي بمعلومات عن بعض دول الاتحاد الأوروبي".

واعتبر ماريو سكاراميلا أن الكرملين أمر بقتل الكولونيل السابق في اف.سي. بي (كي.جي.بي سابقا) لما كان لديه من معلومات". وقال سكاراميلا في مقابلة مع صحيفة كورييري ديلا سيرا أن "ليتفيننكو لم يمت بمرض في بطنه، لقد قتل بسبب ما كان يعلمه، وكل ذلك موجود في وثائق لجنة ميتروخين".

وكان سكاراميلا وهو أستاذ في جامعة نابولي، مستشارا في تحقيق برلماني

إيطالي أجري حول ملف ميتروخين الذي يتعلق بالجواسيس الذين جندهم جهاز الكي.جي.بي في إيطاليا.

وكانت لجنة التحقيق التي شارك فيها ليتفيننكو برئاسة باولو غوزانتي السناتور في حزب فورتسا إيطاليا حزب رئيس الحكومة السابق سلفيو برلوسكوني.

وتفيد رسائل إلكترونية نشرت صحيفة الغارديان البريطانية مقتطفات منها أن أجهزة الاستخبارات الروسية كانت تعتزم استخدام القوة ضد الكسندر ليتفيننكو وسكاراميلا وغوزانتي ورجل الأعمال الروسي المثير للجدل بوريس بريزوفسكي المعارض الروسي لنظام فلاديمير بوتين المقيم في بريطانيا.

وتشير الوثائق التي يبدو أن سكاراميلا سلمها في الأول من نوفمبر للتفيننكو أيضا إلى أن العملاء المكلفين تحضير عمليات ضدهم كانوا "على الأرجح متورطين في اغتيال آنا بوليتكوفسكايا" الصحافية الروسية المعارضة التي اغتيلت في السابع من أكتوبر في موسكو.

وأضاف أن وجود مادة "البولونيوم ٢١٠" المشعة بجسده لم يأت بمحض الصدفة أو الخطأ، مؤكدا أن جهات روسية وغربية تحاول اغتياله بنفس الطريقة التي اغتالت بها العميل الروسي ألكسندر ليتفيننكو لإسكاته عن كشف الملفات التي بحوزته والتي تورط عدد من كبار السياسيين الروس والغربيين بها.

وقال المحامي راستريللي في حديث لصحيفة "لاستمبا" الإيطالية إن هذا الأخير كشف له عن الأسباب الحقيقية التي جعلت المخابرات الروسية المتعاونة مع بعض السياسيين الغربيين، تقوم بتسميم جسده بالمادة المشعة ، مشيرا إلى أن حصوله على معلومات مهمة أثناء لقائه بالعميل الروسي ليتفيننكو كان كافيا لوضعه ضمن لائحة الأسماء المطلوب تصفيتها .

وفي السياق نفسه، أجرت السلطات الإيطالية تحريات بشأن احتمال هبوط

طائرات بوينج ٧٦٧ بأحد مطاراتها قادمة من موسكو يعتقد أنها كانت تحمل مواداً إشعاعية مثل "البولونيوم ٢١٠".

و في تلكم الأثناء اشتعل الموقف بفعل توجيه سلطات سكوتلاند يارد الاتهام إلى عميل سابق لجهاز استخبارات بوتين وهو الروسي اندري لوغوفوي بقتل ليفتنينكو، قبل عودته بسرعة إلى موسكو، ومطالبة حكومة توني بلير رئيس الوزراء البريطاني – آنذاك – للرئيس بوتين بتسليمه للتحقيق معه ومحاكمته في لندن بعد ثبوت تورطه لأن الشرطة البريطانية (سكتلنديارد) تعتبر لوغوفوي الذي تحول إلى عالم البيزنس، وأصبح رجل أعمال هو المشتبه به الرئيسي في وفاة ليتفيننكو!

ولكن الرئيس بوتين رفض تسليم لوغوفوي فطردت بريطانيا في عام ٢٠٠٧، بعد أشهر من تكرار طلبها بتسليمه، أربعة دبلوماسيين روس من سفارة موسكو بلندن. فما كان من نظام بوتين إلا أن رد بطرد أربعة دبلوماسيين بريطانيين وتشتعل الأزمة أكثر فأكثر !!

ويكمن سر رفض بوتين تسليم لوجوفوي في أنه في حال ثبوت إدانته فإن ذلك سوف يفتح الباب على مصراعيه أمام عددٍ من الأسئلة الحساسة مثل : "من بعث بهذا الشخص لفعل ذلك، ومن أعطاه السم، ومن أين أتى، ومن تحمل نفقات كل ذلك ؟ .. كما أنه في حالة العثور على أدلة تثبت أن لوجوفوي لم يكن يعمل بمفرده، وأنه كان في مهمة، فإن الأمر سيكون "فضيحة كبرى لو ثبت تورط الرئيس الروسي فيها كما تشير كافة الدلائل !!

ويتفق المحللون السياسيون على أن قضية "لوجوفوي" من المحتمل أن تزيد العلاقات الباردة بين روسيا والغرب سوءًا، فما بالك لو ثبت تورط موسكو فيها !!

وجاءت أزمة ليفتنينكو لتسكب البنزين على النار الموقدة بين لندن وموسكو أصلاً بسبب رفض لندن ترحيل كل من رجل الأعمال الروسي "بوريس بريزوفسكي"، والزعيم الشيشاني "أحمد زاكاييف" لمواجهة اتهامات أمام القضاء الروسي.

ووفقًا للدستور الروسي؛ فإن أي مواطن يتورط في ارتكاب جريمة فوق أراضٍ أجنبية يجب أن تتم مساءلته جنائيًّا في روسيا، إلا أنَّ موسكو انضمت عام ٢٠٠١ إلى الاتفاقية الأوروبية بشأن ترحيل المطلوبين، وهو ما يعني أنّ السلطات الروسية ليست ملزمة بمحاكمة "لوجوفوي" داخل البلاد، ويمكن لها تسليمه إلى بريطانيا إذا ما أرادت ذلك.

و كان الملياردير المنشق على بوتين بيريزوفسكي قد قرر في تلك الأثناء كسر حاجز الصمت بشأن مقتل صديقه ليتفيننكو ليروي للصحفيين في لندن كل ما أطلعه عليه الجاسوس السابق قبل مقتله ليسكب المزيد من النار على البنزين !!

قال بوريس بيريزوفسكي: عندما ذهبت لزيارة " ساشا " – لقب ينادى به لفتينينكو – في المستشفى أول مرة بعد تسممه- في ذلك الوقت كما تذكرون كانوا يناقشون بنشاط نظرية أن (المستشار الإيطالي ماريو) سكاراميللا متورط- وقد قال لي" هل تعلم يا بوريس، لدي نظرية لن أعلن عنها للملأ، ولكنها الحقيقة . لقد قابلت لوغوفي يوم مرضي (الأول من نوفمبر). لم أقابله وحده- بل (ديميتري) كوفتون وشخص آخر كنت أقابله للمرة الأولى، كانوا هناك أيضا. أعتقد أن هؤلاء الأشخاص هم من قاموا بتسميمي."

بصراحة فوجئت من ذلك. فالمعلومات التي شاركها ليتفيننكو لم تكن متوقعة. وعدا ذلك، قبل يوم واحد فقط – في ٣١ أكتوبر- جاء لوغوفي لزيارتي في مكتبي. وقد قمنا باقتسام زجاجة من النبيذ الأبيض فيما بيننا. وأقول بيننا نحن الاثنان حرفيا، لأنه لم يكن أحد آخر هناك. لذا ما حدث مع ساشا اليوم التالي، وحقيقة أن ساشا يشك بأن لوغوفي متورط في التسميم- بالطبع بالنسبة لي كان هذا أمرا غير متوقع على الإطلاق.

هل أصدق هذا أم لا؟ بعد كل الصعوبات التي واجهتها خلال السنين الأخيرة، أعرف أنه لايمكن استبعاد الأمر بكل بساطة. وعدا عن ذلك، بالطبع، زادت شكوكي مؤخرا كثيرا. لأنه توجد طريقة يستطيع فيها لوغوفي إبعاد الشبهات عن نفسه وذلك بأن يستقل طائرة لبريطانيا ويتطوع للذهاب إلى سكوتلانديارد. وحسب خبرتي مع النظام القضائي الإنجليزي فإنه إذا كنت متأكدا أنك على صواب، فلا يوجد أي شك ولو صغيرا أنك ستتعرض لمقاضاة قانونية، ستصبح فقط ضحية تحكيم قانوني.

و رداً على سؤال حول ما إذا كان ليتفيننكو قد فسر له شكوكه، قال بيريزوفسكي: نعم، لقد قام ساشا بتفسير ذلك. وقد قال من الواضح جدا أنه لا يوجد هناك ما يسمى "بالسابق"- أي عملاء سابقين للمخابرات الروسية الكي جي بي سابقا والأف إس بي حاليا. وقد كان متأكدا أن لوغوفي يتبع الأوامر بكل بساطة. المرحلة الأولى كانت في التقرب من ساشا، ومن ثم إثارة فضوله بمعلومات معينة، ثم المرحلة الثانية كانت في تنفيذ الأوامر بكل بساطة- ألا وهي قتله. بعد أن قام (الرئيس الروسي فلاديمير) بوتين بتوقيع القرار- كان ذلك قبل سبعة أشهر- الذي يسمح للقوات الخاصة بقتل، دون محاكمة أو عواقب، أعداء نظام الحكم في الخارج الذين هم في الواقعة عبارة عن معارضين سياسيين، وقد قال لي ساشا مرارا أننا الأوائل على القائمة- هو (المفوض الشيشاني المنفي في لندن أحمد) زكايف، وأنا. ولم تنته "قائمة القتل" هنا، ولكننا كنا الأوائل.

و عندما سئل بيريزوفسكي : إذا كان لوغوفي قادرا على شيء كهذا لماذا لم يحاول تسميمه هو أيضاً بالبولونيوم، طالما كانت لديه فرصة عندما تشاركا زجاجة النبيذ، قال بيريزوفسكي: المخاطر التي واجهها ساشا والتي نواجهها أنا وأحمد زكايف متماثلة. وهذا يطرح بطبيعته التساؤل لماذا قتلوا ساشا وليس أنا. كل ما لدي هو التكهنات. يجب أن يتم طرح مثل هذه الأسئلة ليس على بل على الشخص الذي أعطى أوامره للوغوفي. ويجب في البداية إثبات أن لوغوفي هو الذي قام بهذا العمل بالفعل. ساشا صرح بشكوكه. ولغوفي بخوفه من القدوم إلى هنا- واستخدم تحديدا كلمة "خوف"- بكل بساطة يزيد من هذه الشكوك.

ولكني أعتقد أنه كانت هناك أسباب لكون ساشا وفي هذا الوقت تحديدا. أخبرني ساشا عن العمليات التي كان مشتركا بها في ذلك الوقت- ليست عمليات فعلية، بل الأشخاص الذين كان يجمع أدلة خطيرة عنهم تدل على اشتراكهم في عمليات إجرامية. وبمعرفتي بساشا علمت أن الأمر في الواقع خطير جدا، لأنه كان فعلا عميلا جيدا جدا.

وحول ملابسات معرفته بلوغوفي، قال بيريزوفسكي: لقد ظهر لوغوفي في الوقت الذي توقف فيه إيغور جايدار عن كونه رئيس وزراء (أواخر عام ١٩٩٢). وكما علمت حتى ذلك الوقت كان لوغوفي رئيس حرس جايدار. وقد كان إيغور جايدار هو الذي أوصى بلوغوفي كشخص صريح صادق قادر على تولي مسؤولية حراستي الشخصية. بعد أن التقيت بأندريه قام ببناء النظام الذي أريده في الواقع. وكان هناك العديد من موظفي الكي جي بي السابقين وأيضا من الدائرة التاسعة (للكي جي بي) (الذين كانوا يحرسون شخصيا المسؤولين المرموقين) من بين حراسي الشخصيين، وكان لوغوفي واحدا منهم.

بعدها قام بدري (باتاركاتيشفيلي، صديقي القديم وشريكي) بعرض منصب رئيس حرس (تلفزيون) الأوآرتي عليه في تلك المنظمة الهائلة. وقد كان لوغوفي هو من نظم الأمن في الأو آر تي. وبعد توليه ذلك المنصب ضعفت صلاتنا نوعا ما، ولكنه كان موجودا دائما. وكنا نتحدث من وقت لآخر، بأمور منتجة.

لذا تحدثت معه عندما جاء في البداية إلى لندن، قبل ثلاثة أشهر (من هذه الأحداث). كانت ابنتي على وشك الذهاب إلى روسيا، وقد طلبت من لوغوفي أن ينظم الحراسة لها. وقد فعل ذلك. وطبعا عندما حضر إلى لندن في (المرة الأخيرة) عند لقائنا في ٣١ أكتوبر، أردت أن أشكره لتنظيم الحراسة لابنتي.

وحول هدف مكتب المدعي العام الروسي من الإصرار على استجواب أكثر من ١٠٠ شخص في لندن ؟

رد بيريزوفسكي قائلاً : لنبدأ من البداية. أولا، من الواضح أن مكتب المدعي العام منظمة إجرامية عصابات تخدم كوسيلة لاضطهاد الناس الذين لهم جوهريا عقلية مثل بوتين وآخرين الذين يجلسون في الكريملين. هذا بالتحديد سيساعدك على فهم الهدف من وراء هذا الطلب.

لننظر إلى الأمر من هذه الناحية. نعرف أن السكوتلانديارد أتمت تحقيقاتها. ومن الواضح أن التحقيقات قد تمت بطريقة مسؤولة وغير متحيزة .

ووفق معلومات تم تسريبها إلى الصحافة عندي انطباع بأن السكوتلاند يارد تعرف مرتكب الجريمة ويعرفون بالتحديد من وراءه- ألا وهي الدولة الروسية. مكتب المدعي العام (الروسي) يعرف هذا أيضا، لذا فإن أعمالهم تكتيكات للتمويه. يعرفون من تولى العمل في الجريمة. يعرفون أكثر من محققي سكوتلانديارد بكثير، لأنهم هم الذين كانت عندهم المعلومات أولا.

موقفي بسيط جدا. سأساعد السكوتلانديارد بأية وسيلة ممكنة، حتى لو تعرضت شخصيا للخطر من جراء ذلك. لذا فقد قلت إنني مستعد للقاء ممثلين عن مكتب المدعي العام الروسي إذا كان ذلك يساعد السكوتلانديارد في تحقيقاتهم. روسيا تبتز السكوتلانديارد في هذه الحالة. يقول (المسؤولون الروس أنهم سيسمحون الاستجواب (في روسيا) إذا سمحت (بريطانيا) (روسيا) أن تستجوب الناس في بريطانيا. وقد قلت لا بأس يمكن أن يستجوبوني إذا ساعد الموضوع بالإمساك بقاتل صديقي.

ولا يختلف موقفي في هذا الصدد عن موقف زوجة ألكسندر ليتفيننكو، مارينا. لن نسمح بتوقف الاستجواب، وسنذهب إلى النهاية للإيقاع بالمجرمين.

بقي أن نعرف أن والد ليتفينينكو كان قد فجر مفاجأة من العيار الثقيل، عندما كشف عقب مقتله عن أن نجله، المولود لعائلة مسيحية أرثوذكسية، والذي توفّي مسموما في لندن طلب قبل وفاته أن توارى جثته وفق الشريعة الإسلامية .

وقال فالتر ليتفينينكو والد الجاسوس الراحل " قلت له في مستشفى يونيفرسيتي كوليج".، بُنيّ لقد أشعلت من أجلك شمعة في كنيسة سانت سيرج في رادونيج، وصليت من أجلك، وردّ علي، أبي أريد أن أُدفن وفق الشعائر الإسلامية . "

وكان موقع إلكتروني للمقاتلين الشيشان قد أشار بُعيد وفاة الجاسوس إلى أن ليتفينينكو قد اعتنق الإسلام، حيث قال ممثل المقاتلين الشيشان اللاجئ في لندن أحمد زكابييف لصحيفة "ديلي تلغراف" السبت الماضي، "قمنا بتلاوة آيات من القرآن عليه قبل وفاته".

وأضاف زكابييف "لقد قال ليتفينينكو لزوجته وأسرته بأنه يريد أن يدفن وفق الشريعة الإسلامية ".

واتهم والد الجاسوس السابق روسيا بالضلوع في عملية تسميم ابنه، قائلا"لا يساورني أدنى شك في ضلوع الأجهزة الروسية الخاصة التي فعلت ذلك بتصريح من الرئيس فلادمير بوتين".

وردا على سؤال بشأن معلومات تداولتها الصحف البريطانية عن احتمال مقتل الكسندر ليتفينينكو بأيدي عملاء سابقين في المخابرات الروسية، اعتبر والد القتيل أن ذلك "غير صحيح". وأضاف بأن أي منظمة لمقاتلين سابقين لا تجرؤ على قتل عميل سابق لأجهزة المخابرات، مؤكدا بأن المسألة لا تزيد عن أمر صادر من أعلى مستوى".

ونشرت "ديلي تلغراف" وثيقة تتهم الأجهزة السرية الروسية ومجموعة محاربين قدامى أطلق عليها اسم "كرامة وشرف" يقودها الجنرال الروسى فالنتين فليتشكو بأنها سعت إلى قتل العديد من الأشخاص الذين اعتُبروا مضرين بالمصالح الروسية.

وأكد والد الجاسوس ليتفينينكو أن نجله "يعرف من قتل آنا بوليتكوفسكايا" الصحافية الروسية المعارضة التي اغتيلت في موسكو، قائلا "كان بإمكانه تقديم شهادته عن جرائم أخرى للأجهزة السرية الروسية، خصوصا في شمال القوقاز".

على صعيد آخر، رفضت السلطات الروسية السماح لمحققي الشرطة البريطانية سكوتلنديارد باستجواب الجاسوس الروسي السابق المقدّم ميخائيل تراباشكين الذي تحتجزه السلطات الروسية في سجن "نيجني تاغيل" منذ العام ٢٠٠٤ والذي تتهمه بتسريب معلومات سرية إلى جهات أجنبية. وقد قامت سكوتلنديارد بالتحقيق مع تراباشكين بشأن وفاة ليتفينينكو، حيث كان هذا الأخير قد وجّه رسالة إلى ليتفينينكو يقول له فيها بأن معلومات بلغتّه تفيد بوجود فريق روسي خاص مهمته تصفية ليتفينينكو اللاجئ في لندن!!

وفي موضوع ذي صلة، نفى الأطباء الإيرلنديون الذين أشرفوا على معالجة رئيس الوزراء الأسبق "إيغور غيدار" أن يكون المرض الذي يعانيه هو نتيجة لتسممات من مواد مشعة، في محاولة للفصل بين وفاة ليتفينينكو ومرض غيدار، حيث كان غيدار قد سقط مريضا في إيرلندا يوما بعد وفاة ليتفينينكو، وقد أوضحت السلطات الصحية الإيرلندية بأنه لا توجد أية آثار لمواد مشعة في الناحية التي زارها غيدار، مما ينفي وجود علاقة بين الحادثين .

ولاتزال شرطة سكوتلنديارد — حتى صدور هذا الكتاب - تجري مساعي كبيرة من أجل استجواب تراباشكين، الذي تقول محاميته بأن السلطات الروسية كانت قد وعدت بالتعاون مع البريطانيين في التحقيق، لكنها تراجعت عن وعدها، معتبرة هذا اللقاء "أمرا غير ممكن أبدا".

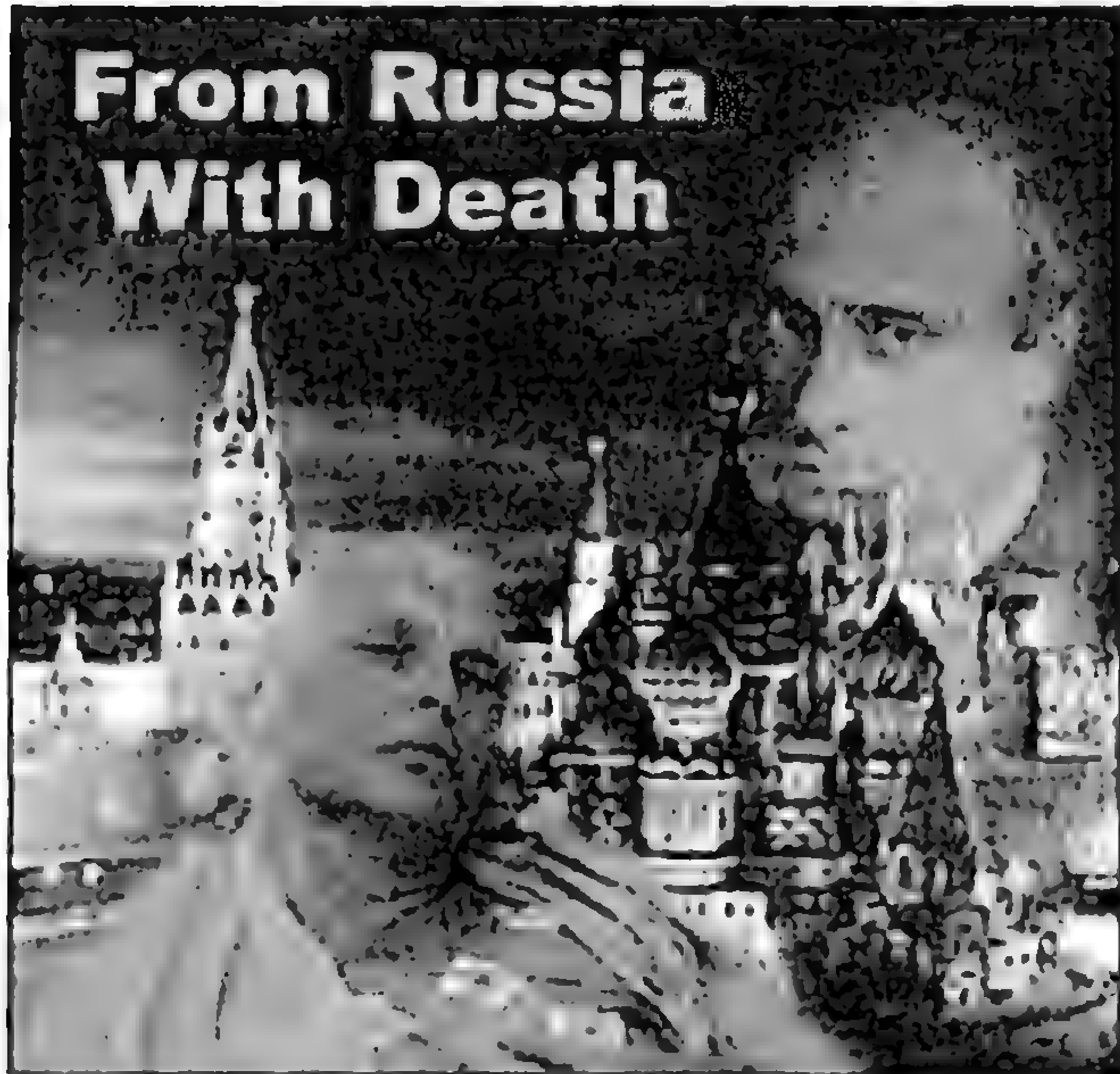
و قد جاء الإعلان عن خبر إسلام ليتفينينكو ليعطي القضية أبعادا أخرى، إذ من المحتمل أن يكون ليتفينينكو قد تعاون مع المقاتلين الشيشان الذين يسعون إلى استقلال بلادهم عن روسيا، وهو الأمر الذي سيجعل من مسألة اغتياله قضية تستحق المتابعة في وجود معطيات جديدة !!

وكانت بريطانيا قد منحت ليتفينينكو حق اللجوء السياسي على أراضيها وسلم في أكتوبر من عام ٢٠٠٦ بطاقة هويته الشخصية البريطانية.

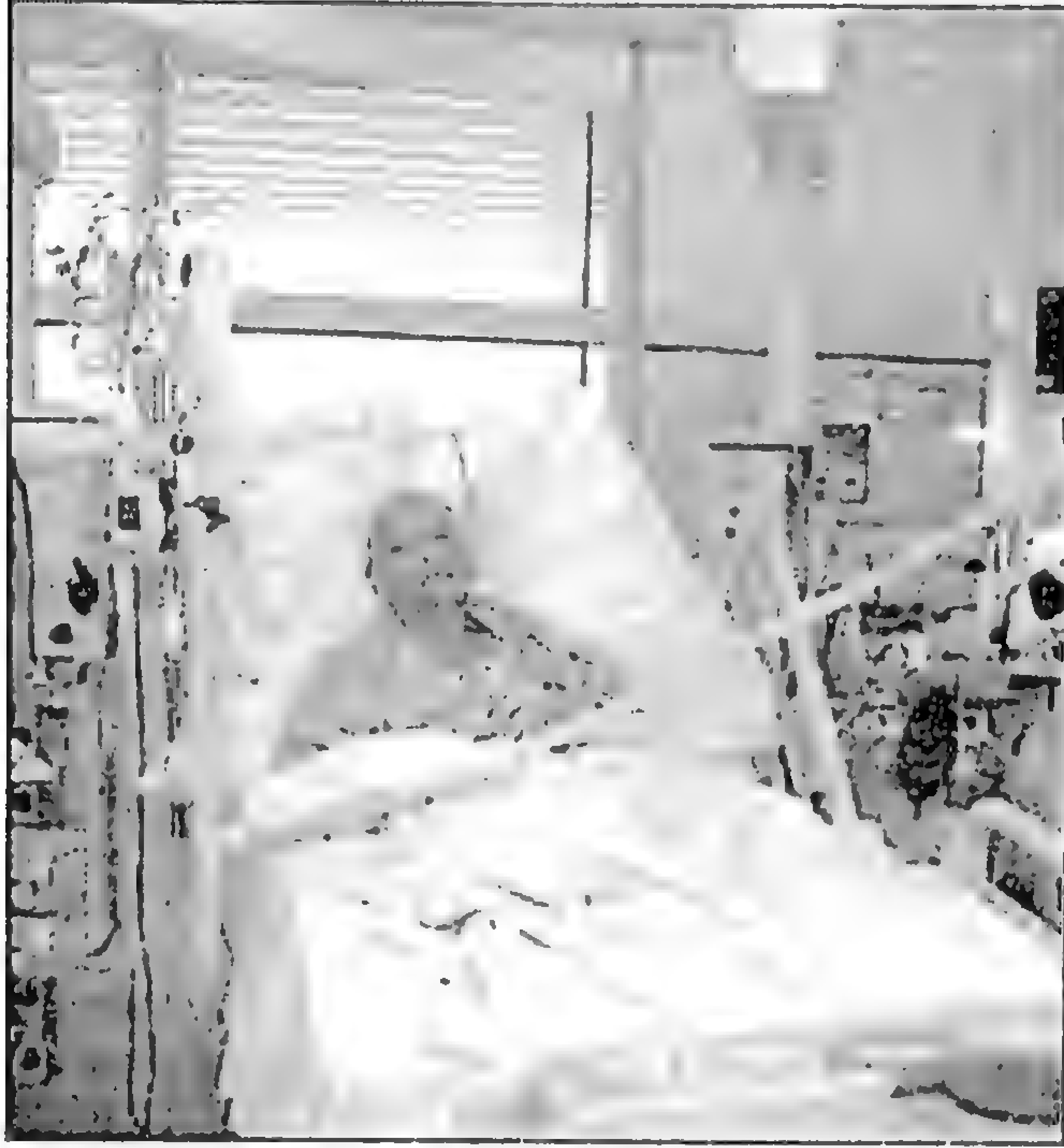
وهكذا راح ليتفيننكو ضحية مؤامرة دبرتها عصابة إجرامية غامضة،والشيء الوحيد المؤكد أن الرجل قد مات. أما سر قتله فإنه مثله في ذلك مثل الكثير من أسرار الحرب الباردة، قد يظل سرًّا إلى الأبد، ولكن الأسوأ أن الجريمة قيدت في النهاية ضد مجهول !!



ليفتينينكو قبل وبعد تسميمه !!



من روسيا بوتين مع الموت .. وليس من روسيا بوتين مع التحية .. هكذا نشرت الصحف البريطانية أخبار الجريمة مشيرة بأصابع الاتهام إلى الرئيس الروسي !!..



رقدة ما قبل الموت بعد أن أخذ السم القاتل يفتك بجسد العميل الروسي السابق !!



الأب يبكي ابنه بحرقة في جنازة ابنه الذي راح غيلة !!

١٦- رضا هلال .. أغرب عملية اختفاء !!



●● وحتى الآن لا يعرف أحد ما إذا كان قد قتل أم خطف أم ماذا، ولكنه لا يزال حديث الناس بسبب غموض مصيره الذي لم يُعرف بعد !!

لا يزال اختفاء الصحفي المصري رضا هلال يمثل لغزاً محيراً بالنسبة للمصريين والعالم، الذي تابع القضية وسط توقعات قوية حول أن الأمر ينطوي على جريمة كبرى شاركت في ارتكابها أجهزة عتيدة قررت تصفيته جسدياً دون أن تترك أثراً واحداً يشير إلى طريقة قتله، أو هوية قاتليه !!

رضا هلال لم يكن بالشخصية العادية .. كان نائب رئيس تحرير صحيفة الأهرام وله مواقف سياسية تثير عليه غضب الكثيرين من الجماعات الإسلامية إلى جهاز الاستخبارات الإسرائيلي " الموساد " إلى أجهزة مخابراتية أخرى منها أجهزة عربية .

كما كان لرضا هلال توجهات ليبرالية انعكست في العديد من مقالاته. عمل صحافيا لجريدة عراقية أيام صدام حسين ووقت غزو الكويت، وصحافيا لجريدة العالم اليوم، وقضى بعض وقته في أمريكا وله بعض الكتب المؤلفة والمترجمة .

يوم اختفائه طلب " أوردر " من مطعم " أبو شقرة " الشهير بقلب القاهرة، الذي يبيع " الكباب " وجاء عامل " الدليفري " ليجد قفلا على باب شقته في شارع القصر العيني. بعدها بعامين أعلنت جماعة " الجهاد الإسلامي " مسئوليتها عن اغتياله، ولكن هذا الزعم لم يتأكد أبدا.

و كان إعلان جماعة الجهاد المصرية أنها اغتالت مساعد رئيس تحرير صحيفة «الأهرام» المصرية رضا هلال قتلا بالرصاص، وذلك في ذكرى مرور عامين على اختفائه الغامض . وجاء هذا الإعلان في ثنايا رسالة إلكترونية أرسلتها جماعة الجهاد إلى الكاتب المصري الشهير سيد القمني تعلن فيها قبول توبته وتوقفه عن الكتابة.

وقالت الرسالة التي لم يتم التأكد من مصدرها أو صحتها، إن القمني نجا من مصير هلال .

وقالت الجماعة في رسالتها " لقد نجوت بأعجوبة حقيقية، وكنا قد أعددنا الخطة وندرس تصوير عملية اغتيالك واستثمارها، حيث أننا تعلمنا من حادثة رضا هلال الذي أردي برصاص الموحدين، أن ذلك النمط من الحرب لا يكون مجدياً إلا إذا صاحبته دعاية "

وسبق للجماعات الأصولية في مصر اغتيال الكاتب فرج فودة مطلع تسعينيات القرن الماضي، كما حاولت اغتيال الحائز جائزة نوبل الأديب نجيب محفوظ، إضافة إلى الكاتب الصحفي المصري مكرم محمد أحمد نقيب الصحفيين المصريين .

واعتبر محامي الجماعات الإسلامية في مصر ممدوح إسماعيل، أن هذه القصة برمتها مصطنعة، والهدف منها إلقاء الضوء على القمني وأن الزج باسم رضا هلال في هذه الرسالة هو أمر مستبعد تماماً، فما الذي يمنع الجهاد من تبنيها اغتياله في وقته لو أنها نفذت ذلك.

وقال إن الدولة وكافة أجهزتها كانت منشغلة بقضية رضا هلال، ولو حدث واغتيل لعثرت على جثته. وأضاف أنه لو صح أن هذه الرسالة وصلت بالفعل إلى القمني فقد تكون مفبركة عن طريق أحد محترفي الإنترنت الذين يعبثون في محاولة لاستغلال الأحداث الساخنة على الساحة وآخرها موضوع تفجيرات شرم الشيخ.

وكان القمني قد أعلن بشكل مفاجئ توقفه عن الكتابة وتويته عن كل ما نشره بعد تهديد تلقاه من الجهاد من أجل الحفاظ على حياته وحياة أفراد أسرته كما قال.

ومن جهته استبعد الدكتور هاني السباعي مدير مركز " المقريزي " للدراسات بلندن تورط جماعة الجهاد في اختفاء الكاتب الصحافي رضا هلال.

وأوضح أن أغلب حوادث الاعتداء على الصحفيين والمفكرين المناهضين للتيار الأصولي كانت من تدبير «الجماعة الإسلامية» المصرية في حقبة التسعينيات، مثل اغتيال فرج فودة ومحاولة اغتيال نجيب محفوظ. أما محاولة اغتيال وزيري الداخلية المصريين حسن أبو باشا والنبوي إسماعيل والكاتب الصحافي مكرم محمد أحمد نهاية الثمانينيات فكانت من تدبير جماعة " الناجون من النار على حد قول السباعي.

ومرت سنوات دون أية أخبار تشير إلى جديد في قضية اختفاء رضا هلال في الحادي عشر من أغسطس عام ٢٠٠٣ .

الشقة ذات الإضاءة الخافتة في الطابق الخامس من البناية الواقعة في ٣٤ شارع إسماعيل سري، في وسط القاهرة، تبدو تقريبا على حالها كما بدت قبل أربع سنوات عندما تواجد فيها رضا هلال للمرة الأخيرة.

فما زالت أرفف الكتب العالية الممتدة على جدران غرفة المعيشة وغرفة المكتب المجاورة تمتلئ بعناوين كتب عربية وإنجليزية سياسية واقتصادية ودينية. وثمة كمبيوتر شخصي على طاولة المكتب الخشبية الكبيرة، بانتظار من يستخدمه.

على الرغم من المظاهر، إلا أن رضا هلال، وهو أحد كبار المحررين في صحيفة "الأهرام"، لا يبدو أقرب إلى العودة إلى بيته اليوم من ذلك اليوم الصيفي القائظ في ١١ أغسطس ٢٠٠٣.

في ذلك اليوم، قيل إن رضا هلال توجه إلى بيته بعد يوم عمل روتيني في "الأهرام". وبعد ذلك اختفى ببساطة. ولم يسمع أحد منه أي شيء منذ ذلك الوقت، وليس هناك سوى إشارات قليلة تدل على مصيره.

وقال وائل الأبراشي، رئيس تحرير الصحيفة الأسبوعية المستقلة "صوت الأمة"، والذي ظل يتابع قضية هلال: "نوعية الاختفاء بهذا الشكل، وكأن الأرض انشقت وابتلعته".

حالات "الاختفاء القسري" أو الاغتيال ضد الصحفيين المصريين نادرة. ولم تحدث من قبل أبدا حالة مثل هذه يتعرض لها كاتب كبير في صحيفة بارزة ومؤيدة للحكومة مثل "الأهرام".

وقد سعت أسرة هلال وعدد من أصدقائه للحصول على إجابات، ولكن دون فائدة، وزعمت أجهزة الأمن المصرية الهائلة أنها لم تتمكن من حل القضية. وقد أدى الغياب شبه الكلي لأية معلومات حول مصيره إلى حالة من الحيرة والقلق بين الصحفيين المصريين.

ومما يثير الحيرة بدرجة مشابهة، هو صمت زملائه، الذين تجاهلوا محنته خلال السنوات الأخيرة وقد يكون الدافع وراء ذلك الآراء غير الشعبية التي كان يعبر عنها هلال والمؤيدة للولايات المتحدة الأمريكية، ودعمه للعلاقات مع إسرائيل، وكذلك الخوف إلى حد ما. أما صحيفة "الأهرام" التي كان يعمل بها هلال، والتي تعتبر من أكبر وأشهر الصحف في العالم العربي، فلم تنشر عنه سوى النزر اليسير خلال سنوات. وهكذا أصبح هلال الرجل المنسي في مصر وفي المنطقة بصفة عامة.

وبصرف النظر عما حدث لرضا هلال ومن هي الجهة التي تقف وراء اختفائه الغريب، فإن أسرته وعدد قليل من الصحفيين والنشطاء في مجال حقوق الإنسان، منزعجون من اخفاق السلطات في القاء الضوء على هذه القضية.

وقال جمال فهمي، وهو كاتب صحفي وعضو في مجلس أمناء نقابة الصحفيين المصريين، : "المسؤولية عن الاختفاء الغريب لزميلنا رضا هلال تقع على كاهل الدولة والحكومة. هذا الصمت الفظيع مستمر منذ سنوات، وهذا من شأنه إثارة مزيد من الشكوك لدى الناس".

حسب جميع الروايات، بدأ يوم الاثنين الموافق ١١ أغسطس ٢٠٠٣، بداية روتينية لهلال. ففي الصباح الباكر، جلب بواب العمارة صحف الصباح وعلبة سجائر، حسب

العادة اليومية، إلى هلال في الشقة التي كان يعيش فيها وحيدا منذ خمس سنوات. كان هلال، الذي يبلغ من العمر ٤٥ عاما، يعاني آنذاك من الزكام؛ فقد طلب لاحقا زجاجة من عصير البرتقال الطازج، والتي أحضرها له بواب العمارة لاحقا. ذهب هلال إلى العمل قبل الساعة العاشرة صباحا، وربما يكون قد استقل سيارة " تاكسي" من شارع قصر العيني المزدحم، الذي يبعد مسافة قصيرة عن شقته.

ووفقا لما نشرته صحيفة "الأهرام" وصحف أخرى، أمضى هلال عدة ساعات في مكاتب "الأهرام" الواقعة في شارع الجلاء في وسط القاهرة. وقبل مغادرة المكتب بعد الظهر، طلب وجبة غداء كما يفعل عادة من محل أبو شقرة، وهو مطعم كباب شهير يقع على مسافة قصيرة من شقته. وفي حوالي الساعة ٢:٤٠ بعد الظهر، وفقا لما أوردته صحيفة الأهرام، أقله سائق يعمل في الصحيفة إلى شقته، ومن المفترض أنه أوصله إلى مدخل العمارة. وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي رآه فيها أي شخص.

عندما وصل عامل من مطعم " أبو شقرة " إلى شقة هلال لتوصيل الطعام في حوالي الساعة ٣:٣٠ بعد الظهر، لم يجب أحد عند قرع باب الشقة.

ووفقا للرواية التي نشرتها صحيفة "الأهرام" كان باب الشقة مقفلا بقفل، وهو ما اعتاد هلال أن يفعله عندما يغادر لعدة ساعات أو أكثر. ومر يومان قبل أن يتبين زملاؤه وأسرته أن أمرا مريبا قد حدث.

في ١٣ أغسطس بدأ زملاء هلال يتساءلون عن سبب عدم حضوره للعمل، لا سيما وأنه كان مكلفا في ذلك اليوم بالإشراف على إرسال الصحيفة إلى المطبعة. وقال شقيق هلال البالغ من العمر ٤٣ عاما، ويدعى سيد،، "وصلني اتصال من صحيفة الأهرام وسألوا ما إذا كان رضا موجودا معي، وقلت لا. وسألتهم عن السبب فقالوا إنه لم يأت إلى المكتب".

وسارع سيد، الذي يعيش في مدينة المنصورة الواقعة في دلتا النيل، بالذهاب إلى القاهرة بصحبة ابن شقيقته، ماهر. وعندما وصلا، ساعدهما البواب في كسر قفل

الباب والدخول إلى الشقة، والتي لم يبدو فيها أي أثر لشجار. ولم يكن هناك أي شيء غير عادي سوى أن نوافذ غرفة الاستقبال كانت مفتوحة على غير العادة، وأن توصيلة جهاز الفاكس والرد الآلي كانت غير موصولة بالكهرباء.

وقال سيد إنه تحدث مع أخيه في اليوم السابق للاختفاء، وإنه لم يلحظ أي شيء غير عادي. وقد ذهب إلى مركز شرطة السيدة زينب القريب للإبلاغ عن اختفاء أخيه.

وشنت الشرطة المصرية والأجهزة الأمنية ما دعته صحيفة "الأهرام" عملية بحث "شاملة" و"رفيعة المستوى" للعثور على المحرر الصحفي المختفي. وبحسب التقارير، قام المحققون بتمشيط شقة هلال بحثا عن أدلة واستجوبوا أصدقاءه وزملاءه. وعلى مر التحقيقات، لم يصدر عن مسؤولي أجهزة الأمن المصرية أي تصريحات، على الرغم من أن "الأهرام" نشرت سردا مشحونا بالإطراء على عملهم المبكر في القضية.

وأوردت الصحيفة في ٢٣ أغسطس ٢٠٠٣ إن "فريق البحث الأمني الذي يترأسه السيد حبيب العادلي وزير الداخلية بنفسه ويضم نحو ٣٠٠ ضابط لم يدع خيطا سياسيا أو جنائيا، دوليا أو محليا إلى وبدأ في تتبعه، لكن هذه الأجهزة تعمل كعادتها في سرية وتكتم ولا تعلن عن كل ما تتوصل إليه، فهي تؤمن أن العبرة بالنتائج، وأن التصريح قد تتبعه أقاويل تشهر بالأبرياء".

وفي الأسابيع التي تلت اختفاء هلال، تم الاقتباس عن مسؤولين أمنيين قولهم إنهم يعتقدون أن القضية ليست سياسية، وإنها قد تكون مرتبطة بشؤون شخصية، وإنهم يتابعون عددا من الأدلة. ونشرت صحيفة "الأخبار" اليومية المدعومة من الحكومة نصوصا لرسائل صوتية زعمت أنها كانت موجودة على آلة الرد الآلي التابعة لهلال، بما في ذلك عدة رسائل من نساء، وكانت إحدى تلك النساء تذكّر هلال بحفلة مقبلة يقيمها السفير الأمريكي. ولكن بعد عدة أشهر، تم إعلام سيد هلال إن التحقيقات توقفت، وإنها ستتواصل في حال ظهور أدلة جديدة.

وقال حافظ أبو سعدة، الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، "نحن لم نحصل سوى على تلميحات صدرت عن مصادر أمنية، وقد زعمت بأن علاقات هلال الشخصية قد يكون لها دور في اختفائه. لقد تحدثت في البداية عن ما يسمى "علاقاته بالنساء"، ثم لجأت إلى الصمت".

وقامت صحف الإثارة وصحف أخرى في المنطقة أحيانا بنشر تقارير مريبة غير موثقة تزعم أن هلال قد شوهد خارج البلاد، أو إنه في إسرائيل، أو إن الأجهزة الأمنية لدولة غير محددة قد اعتقلته بسبب محاولته نشر سبق صحفي حول موضوع خطير.

وبرز التطور الذي حاز على أكبر تغطية إعلامية في يوليو ٢٠٠٥، عندما ادعت منظمة الجهاد الإسلامي المصرية أنها قتلت هلالا بعد فترة وجيزة من اختطافه، علما أنه كان من الناقدين البارزين للتطرف الإسلامي. وقد ورد هذا الزعم في رسالة إلكترونية (إيميل) تهديدية أرسلت إلى الكاتب المصري العلماني سيد القمني، تحذره من أنه سيلاقي المصير ذاته الذي لاقاه هلال، والذي زعمت الجماعة أنها "قتلته بالرصاص". وما عدا استثناءات قليلة، فقد شكك صحفيون، ونشطاء في مجال حقوق الإنسان، وإسلاميون متنفذون بصدقية الزعم، وأشاروا إلى أن الرسالة الإلكترونية أرسلت بعد وقت طويل من الاختفاء، وإن هلالا لم يكن يعتبر من أبرز أعداء المتطرفين على الرغم من أنه كان ينتقدهم بشدة.

وبعد مرور سنوات، لم تصدر السلطات المصرية حتى الآن تفاصيل التحقيقات التي أجرتها، وقد تم نسيان القضية تماما.

وقال حافظ أبو سعدة الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، "هناك تناقضات عديدة وتضارب بين الروايات المختلفة لاختفاء هلال. وليس هناك دليل واضح على أنه عاد إلى شقته من العمل. ووفقا لإحدى الروايات، فقد توجه لبلد مجاور. ... ولغاية الآن، فإننا لم نر أي سيناريو جدي للقضية".

و قدمت لجنة حماية الصحفيين طلبات متكررة للاجتماع مع مسؤولين من وزارة الإعلام ووزارة الداخلية في القاهرة لمناقشة القضية، وقد تم تقديم الطلبات من خلال السفارة المصرية في واشنطن، ولكن تم تجاهل تلك الطلبات. وقال متحدث باسم السفارة للجنة حماية الصحفيين في شهر أغسطس "الحكومة ما زالت تواصل تحقيقاتها في قضية رضا هلال، ولغاية الآن لم تنتج التحقيقات أي معلومات مهمة حول الاختفاء. ومع ذلك، فإن الحكومة تتابع هذه القضية بجدية كبيرة، وعندما ينتج عن التحقيقات أي معلومات مهمة، ستعلن عنها الحكومة".

ثمة بضعة مفارقات في القضية تثير التساؤلات. على الرغم من أن صحيفة "الأهرام" أوردت إن السائق أوصل هلال إلى شقته يوم الاختفاء، إلا أنه لا يوجد أي شاهد يؤكد هذا الزعم.

وقال بواب العمارة، أشرف أبو الحسن، الذي يعمل هناك منذ عشر سنوات، للجنة حماية الصحفيين إنه كان على رأس عمله يوم اختفاء هلال، ولكنه لم يره أبدا يعود إلى منزله بعد ظهيرة ذلك اليوم. ولم يذكر البواب ولا زبائن مقهى "زوزو" المجاور إنهم رأوا أي نشاط غير عادي في ذلك اليوم. ولم تنجح مساعي لجنة حماية الصحفيين في تحديد مكان السائق، المدعو سيد عبد العاطي. وقال سيد هلال إن صحيفة "الأهرام" رفضت طلباته بالتحدث مباشرة مع السائق.

ويعتقد سيد هلال أن أخاه لم يصل إلى شقته أبدا في ذلك اليوم، وأنه اختفى في طريقه إلى المنزل عائدا من العمل.

وفقا لزملائه وأفراد أسرته، لم يكن هلال على الرغم من آرائه السياسية غير الشعبية، من الصحفيين الذين يتزعمون حملات إعلامية ويتوقع المرء أن يكونوا في خطر جراء عملهم. وكصحفي محترف مؤيد للحكومة، انضم إلى صحيفة "الأهرام" في أواسط عقد الثمانينيات، وبعد ذلك كتب في صحف عربية أخرى. وفي بدايات عقد التسعينيات، أمضى وقتا في نيويورك كمراسل لصحيفة "العالم اليوم"، وعاد بعد

ذلك إلى مصر للانضمام إلى الشريحة العليا من الإعلام الحكومي المصري، حيث تمت ترقيته إلى منصب نائب رئيس التحرير، وهو منصب خوله من الناحية العملية بتحديد ما يجوز نشره وما لا يجوز نشره على صفحات "الأهرام". وكان يكتب عمودا صحفيا أسبوعيا، وكان كاتبا غزير الإنتاج، إذ أصدر عدة كتب حول الاقتصاد، وسياسات الولايات المتحدة، والإسلام، والعلاقات الأمريكية الإسلامية.

وفي صحيفة "الأهرام"، وصفه زملاؤه كتابع لإبراهيم نافع، الذي كان حينها رئيس تحرير الصحيفة، إذ كان ينفذ إملاءات نافع في نقابة الصحفيين المصريين. وكان معروفا في النقابة بتحديه للصحفيين المستقلين ودعمه للمتعاطفين مع الحكومة في انتخابات النقابة.

أصدقاء هلال وجيرانه وصفوه بأنه أعزب هادئ يحب السخرية من نفسه، وكان محافظا على خصوصياته ويمضي ساعات طويله في شقته يقرأ ويكتب. ومثل العديد من الصحفيين، له شبكة معارف مهنية واسعة، ومن ضمن معارفه السفير الأمريكي السابق بالقاهرة ديفيد ويلش، والروائي نجيب محفوظ، الحائز على جائزة نوبل في الآداب، الذي كان يقيم صالونا أسبوعيا في حي جاردن سيتي في القاهرة، وكان هلال يتردد على الصالون.

كان هلال معروفا في صفحات "الأهرام" ككاتب ليبرالي ناقد للفكر القومي العربي والتطرف الإسلامي. وعلى العكس من العديد من كتاب الأعمدة الصحفية المصريين، دعم اجتياح العراق بقيادة الولايات المتحدة، وكان داعما قويا للعلاقات الإسرائيلية المصرية. ونتيجة لذلك، لم تكسب كتابات هلال سوى إعجاب ضئيل ضمن الأوساط الصحفية في البلاد، والتي تسودها النزعة القومية. وقال ريموند ستوك، وهو كاتب السيرة الذاتية لنجيب محفوظ، وأحد أصدقاء هلال، "لقد كان رضا من الناحية الفعلية الكاتب 'الليبرالي' الوحيد من هذا المقام في مصر— محرر في منصب عال وكاتب بارز في الصحيفة الحكومية الرئيسية في البلاد. لقد

كان يهاجم الإسلاميين بصفة متواصلة، إلا أنه وقف أيضا ضد النزعة الفكرية المعادية للغرب السائدة في أوساط المعارضة العلمانية هنا".

و بعد هجمات ١١ سبتمبر على الولايات المتحدة، وجه هلال اللوم إلى الذين يسوغون الإرهاب، ودعاهم "بن لكن"، وذلك لقيامهم بشجب أسامة بن لادن شجبا خفيفا مع إيراد توضيحات لمبرراته. انتقد هلال أيضا الخطاب القومي والإسلامي، والذي زعم إنه السبب في نقص الديمقراطية في العالم العربي وعيوبا أخرى، كما لام المفكرين العرب الذين يتعاطفون مع منكري الهولوكوست. وكان قد صرح لصحيفة "الأهرام ويكلي" الناطقة بالإنجليزية في عام ٢٠٠٠، "ليس من مصلحتنا إنكار الهولوكوست، لأننا لسنا مسؤولين عنها. وينبغي ألا نتعاطف مع الذين يجب أن يلاموا على ارتكابها".

وفي آخر مقال صحفي كتبه لصحفية "الأهرام" نشر في اليوم الذي سبق اختفائه، تحت عنوان "أزمة الديمقراطية في العالم العربي" انتقد هلال الانتخابات التي كانت قد جرت قبل فترة وجيزة في نقابة الصحفيين المصريين، إذ استخدم تلك الانتخابات لتوجيه انتقاد أوسع للديمقراطية في العالم العربي، وكتب إنه حتى الانتخابات الحرة والنزيهة يمكن أن تحمل إلى السلطة "أشخاصا غير ديمقراطيين، سواء كانوا إسلاميين، أو قوميين فاشيين".

ومع ذلك، فإن مقالات هلال لا تقدم سوى أدلة ضئيلة على الجهة التي ربما استهدفته. ويقول سيد شقيق رضا هلال، معبرا عن رأي منتشر بين العديد من الصحفيين، "لا أعتقد أن مواقفه السياسية لعبت دورا في ما حدث. ففي حين أن مواقفه قد تكون جلبت له بعض العداء، إلا أنه لم يذكر يوما أنه تلقى تهديدات، كما أنه لا يوجد له أعداء محددون".

وعلق كارم يحيى، الصحفي بـ"الأهرام"، قائلا: "الشيء الغريب أنه كان يتمتع بعلاقات طيبة مع أشخاص متنفذين في السلطة في مصر. ولم يكن معارضا لمبارك

ولم يكن من شخصيات المعارضة. وكانت آراؤه السياسية "مثل دعوته لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ودعم سياسات أمريكية محددة، تناقش ضمن الأوساط الرسمية، حتى وإن كانت تتعرض لانتقادات على نطاق واسع".

يتفق العديد من الصحفيين على أن اختفاء هلال قد نفذ بمهارة. وقال كارم يحيى إن "الشعور السائد هو أنه مهما تكن الجهة المنفذة، فقد كان تنفيذ محترفين"، ولم يستبعد أن يكون عملاء جهاز استخبارات أجنبي وراء الاختفاء. وقال آخرون إن التنفيذ تم من داخل البلاد.

وفقا للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، اختفى في مصر ٥٣ شخصا ما بين العامين ١٩٩٢ و٢٠٠٦، العديد منهم من المشتبه بأنهم نشطاء إسلاميون.

وأشار عديدون إلى أنه بصرف النظر عن أي دور ممكن للأمن المصري في اختفاء هلال، فإنه من الصعب عليهم تصديق أن السلطات ليس لديها أي معلومات حول مصير المحرر الصحفي المختفي. إن أجهزة الأمن المصرية متعددة الطبقات هي ضمن أكثر الأجهزة تعقيدا وانتشارا في المنطقة، وتتعامل مع آلاف العملاء والمخبرين. كما أن المنطقة التي قيل إن هلال اختفى فيها تعتبر إحدى أكثر المناطق أمنا في المدينة.

وقال جمال فهمي، : "لقد قدمنا عددا من الطلبات للأجهزة القضائية لإعلامنا بنتائج التحقيقات، ولكن لغاية الآن لم تردنا أية إجابة. نحن لا يمكننا تصديق أن الأجهزة الأمنية المتشعبة والحاضرة في كل مكان ليس لديها أي تفسير وأنها لا تستطيع تزويدنا بإجابة".

وقال حافظ أبو سعدة الأمين العام للمنظمة المصرية لحقوق الإنسان، "لم يجر أي تحقيق جدي على الإطلاق. ولم يصدر أي تصريح علني حول بذل جهود جدية لمعرفة كيفية اختفائه ومكان احتجازه وسبب اختطافه. ولم نحصل سوى على تخمينات وتلميحات تصدر عن مصادر أمنية".

ومما يثير القلق بقدر صمت الحكومة المصرية، هو صمت الصحافة المصرية المشاكسة بطبيعتها. تابعت صحيفة "الأهـرام" وصحف أخرى عن قرب قضية اختفاء هلال لعدة أسابيع في أواخر صيف عام ٢٠٠٣. وبحلول شهر يناير التالي، كانت التغطية الصحفية معدومة تقريبا، كما غاب التعبير عن التضامن من قبل الصحفيين.

وقال كارم يحيى الصحفي بـ"الأهرام" وأحد مؤسسي مجموعة صغيرة ضمن نقابة الصحفيين المصريين تدعى صحفيون من أجل التغيير، "كان التجاوب مع قضية رضا ضعيفاً ومخجلاً".

عزا صحفيون عدم اهتمام الصحافة بقضية هلال إلى مواقفه السياسية، والتيارات السياسية القومية والإسلامية التي تسود نقابة الصحفيين المصريين، وهي تيارات لا تتعاطف مع آراء هلال. ولكن يؤكد بعض الصحفيين على أن الخوف لعب دورا في ذلك، وإن الصحفيين، وخصوصا في صحيفة "الأهرام"، هم ببساطة متخوفون من متابعة قضية تبدو عليها سمات حالة اختفاء قسري قد تكون قادتها السلطات الأمنية.

وقال يحيى : "ربما لم يكن يتمتع بشعبية كبيرة بسبب مواقفه السياسية، ولكنني أظن أن هذا أمر ثانوي. أعتقد أن الناس هنا خائفون، خصوصا بسبب الظروف الغامضة للقضية".

وأخيرا، في سبتمبر ٢٠٠٦، قامت لجنة حرية الصحافة التابعة لنقابة الصحفيين المصريين بتنظيم نشاط لإلقاء الضوء على قضية هلال، وطالبت السلطات بالكشف عن معلومات حول التحقيقات التي أجرتها. وخلال ذلك النشاط، الذي حضرته لجنة حماية الصحفيين، قدم عدة صحفيين اعتذارهم لشقيق هلال بسبب صمتهم الغريب والطويل عن القضية. وكان من اللافت للنظر غياب أية مشاركة في النشاط لصحيفة "الأهرام".

وأشار وائل الأبراشي، إلى "تقصير صحفي واضح، وتقصير أكثر وضوحا من زملاء هلال في صحيفة الأهرام".

وفي ١١ أغسطس ٢٠٠٧، تواصل الصمت إذ مرت الذكرى السنوية الرابعة على اختفاء هلال دون أية إشارة تقريبا للمناسبة من قبل الصحف. قبل موته، كتب نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للاداب سردا قصيرا يشبه الحلم عن اختفاء رجل.

ويعتقد ريموند ستوك، كاتب السيرة الذاتية لنجيب محفوظ أن الرجل المختفي المشار اليه في أحد "أحلام فترة النقاهة" هو رضا هلال. إذ روى الأديب الكبير الراحل في "الحلم ١٥١" ضمن "أحلام فترة النقاهة" اللتي نقلها إلى الإنجليزية ستوك ما يلي: "كنا نجلس حوله للسمر الممتع والمفيد تحت الشجرة، ويوما استأذن منا دقيقتين لتناول الدواء وصعد إلى شقته ولكنه غاب، فأرسلنا أحدنا ليطمئن عليه فوجد الشقة مغلقة بالقفل من الخارج، ومن ثم بدأت رحلة البحث غير المجدية عنه في جميع نطاقه، وأخذ يساورنا القلق، يتساوى في ذلك المحبون والكارهون والمستفسرون، أما إمام المسجد فقد دعا إلى أداء صلاة الغائب على روح الغائب."

وبمرور السنين راحت أجهزة الأمن تنشغل بقضايا أخرى، وبدت غير معنية بإعطاء أي تفسير لما حدث خاصة أن هناك شبهات تتردد حول دور مًّا وعلاقة مًّا لجهاز مخابرات مًّا بالأمر.

لقد اختفى الصحافي " رضا هلال " من منزله في القاهرة بشكل مفاجيء ومثير للحيرة ولم يترك خلفه أي أثر يمكن تعقبه لحل لغز الاختفاء المفاجئ لصحافي كبير.. واهتمت الحكومة المصرية في البداية بكشف لغز الاختفاء حتى إن وزير الداخلية نفسه ترأس مجموعة البحث عن الصحافي المختفي لأن هذا اللغز – إن لم تجد له الشرطة تفسيرا – من شأنه أن يتحول إلى كابوس يطارد كل الكتاب والصحفيين المصريين الذين قد يتعرضو للمصير نفسه .

من هنا لم تترك الشرطة المصرية في بداية الأمر، أثناء توهج الحدث، واهتمام الناس به، احتمالا إلا ودرسته وحققت فيه .. وشمل دراسة تفصيلية لحياة رضا هلال الخاصة وعلاقاته مع الآخرين ،حتى إن الشرطة بحثت عن إمكانية وجود علاقة بين حادثة الاختفاء وعلاقة قيل إنها ربطت بين رضا هلال وسيدة اسمها " ليلى نجاتي " .

البعض كان لديه في ذلك الوقت شبه يقين من أن الشرطة المصرية تتمتع بخبرة واسعة وكبيرة في كشف الجرائم الغامضة وفك ألغازها وأن من المؤكد أن لغز " رضا هلال " سيتم كشفه إن آجلا أم عاجلاً .

و رغم أن احتمالات ودوافع الاختفاء قد تكون شخصية، وأن يكون هلال قد لقى مصرعه في جريمة عادية من جرائم القتل التي تقع كل يوم .. لكن الاحتمالات الأخرى ذات البعد السياسي لا تزال قائمة، وإلا ما معنى أن تطلب الحكومة المصرية رسميا من " الانتربول " المساعدة في فك لغز اختفاء " رضا هلال " ؟!

خبراء البحث الجنائي لا يكتفون في عملهم بالأدلة المادية لكشف الجرائم وحل الألغاز وإنما يلجأون أيضا إلى الأدلة المعنوية بما في ذلك دراسة بصمات المجرم الشفوية التي تركها في مكان الجريمة وأعني بها طريقة تنفيذ الجريمة والتوقيت والهدف المحتمل من اختيار هذا الأسلوب ثم البحث عن الدوافع لاختيار هذه الضحية بالتحديد .. ورغم أن خبراء البحث الجنائي المصري انكبوا، وفي ظل غيبة الأدلة المادية على دراسة هذا الجانب الذي قد يقودهم إلى معرفة المجرم ... أو على الأقل على فك لغز الاختفاء غير المفهوم وغير المبرر لكاتب وصحافي كبير يشغل منصبا هاما في أكبر وأهم جريدة مصرية .. رغم ذلك إلا أن البحث لم يسفر عن أية نتائج ملموسة تقود إلى حل القضية واستمر اختفاء هلال الغامض لغزاً !!

ويؤكد كثيرون أن رضا هلال كان أذكى من أن يورط نفسه في قضية شخصية ذات طابع أخلاقي، ويرفضون تفسر لغز اختفائه لأسباب أخلاقية، أو نزاعات شخصية، كما حاولت بعض الجهات أن توحي من خلال إشارتها إلى علاقته بسيدة

قيل إنها اختفت هي الأخرى .. وبالتالي فهناك ثمة اتفاق على التفسير الآخر الذي يربط الاختفاء بمكانة الرجل وعمله وكتاباته .

ومن هنا طالب كثيرون الجهات الأمنية المصرية بمراجعة جميع مقالات رضا هلال المنشورة قبل الاختفاء بعدة أشهر، لعلها تصل إلى طرف خيط يقودها إلى جماعة أو جهة أو دولة قد يكون لها مصلحة في خطف الزميل أو قتله أو إخفائه وهذا احتمال وارد بخاصة في ظل مجتمعاتنا العربية التي لا تحتمل الرأي والرأي الآخر.

و رغم مرور سنوات إلا أن الغموض لا يزال هو سيد الموقف في مسرحية اختفاء "رضا هلال" الكاتب الصحفي بالأهرام، الذي يقول زملاؤه الصحفيون إنه على المستوى الشخصي هو إنسان ودود ودائم الابتسامة، أما على المستوى المهني، فيكفيه نجاحه الذي حققه كصحفي أولا في صحيفته وككاتب متميز صاحب فكر وقضية يدافع عنهما مهما كلفه ذلك من جهد وعناء !!

فصول المسرحية طالت ولم تصل إلى نهاية حتى الآن بعد مرور سنوات، بالرغم من الجهود المضنية التي تبذلها أجهزة الأمن لفك طلاسم اختفاء رضا هلال فهل اختطف أم قتل أم جرت تصفيته ؟

و هكذا نجد لدينا عدة سيناريوهات لما جرى لرضا هلال، والحادث لا يخرج عن ثلاثة احتمالات . الأول جنائي والثاني أخلاقي والثالث سياسي – أمني!!

الاحتمال الأول والثاني مستبعدان لأسباب كثيرة أهمها أن أقصى جرم فيهما لا يستدعي بالضرورة أقصى عقوبة وهي الاختطاف أو التصفية أو الاغتيال ونحن هنا نطبق المبدأ الشهير لكل فعل رد فعل مساو له في القوة ومعاكس له في الاتجاه، ولذلك لن نتطرق كثيرا في الحديث عن الشقين الجنائي والأخلاقي، ولذلك سنركز حديثنا عن الاحتمال الثالث والأهم وهو السياسي – الأمني ولم يتم تأخيره للمرتبة الثالثة رغم أهميته حتى نتفرغ له بالإسهاب ولن نضيف جديدا إذا تحدثنا عن علاقات رضا هلال برموز خارجية أو داخلية وكل هذه العلاقات لا تستدعي أيضا

تطبيق "حد التصفية" ضده فالصحفي من حقه تكوين صداقات وعلاقات تساعده في أداء عمله وتساهم في تبصيره بخفايا القضايا المحلية والدولية، وحتى القضايا الجدلية تستوجب استشارة مسئولين وذوي الخبرة والعلاقات والسلطة .

والعلاقات المحلية مهما علا شأنها فهي ليست بالخطيرة ولا تشكل خطورة على الأمن العام للوطن فالقضايا الداخلية يعرفها الجميع ويناقشها بصوت مسموع، ولا ضرر منها وكل القضايا الداخلية معروفة تقريبا، وليس أقلها ما يصوره البعض بالخلافة أو حل مجلس الشعب أو قضايا الفساد واتحاد الكرة الفاشل ومباراة السوبر بين الزمالك والأهلي!!

وفي إطار الحديث عن القضايا الخارجية، فهي شائكة ومنها ما يتعلق بالعراق وأخرى بالتيار الإسلامي والأهم من كل ذلك العلاقات مع الولايات المتحدة أو تشكيل هذه العلاقات، فموقف رضا من العراق معروف ودعا إلى الإطاحة بنظام صدام حسين بأية وسيلة سواء كانت باحتلال أمريكي أو انقلاب داخلي، فالهدف هو الإطاحة بنظام قمعي ودكتاتوري دمر بلاده وخربها وعذب شعبه وأهدر المليارات في لا شيء سوى تأمين السلطة للحاكم ولأولاده من بعده .

أما التيار الإسلامي، فالعداء ليس مستحكما بينه وبين رضا هلال، لأن الأخير مسلم ولكنه يرفض التوجه السوداوي في الحكم وليقينه بأن الحاكم الإسلامي ليس أفضل من الحاكم العسكري فكلاهما غير مستنير ولا يقبل بالديمقراطية، ولا الشورى ولا الحرية .

إذا .. القضيتان اللتان ارتبطتا برضا هلال خلال الفترة الأخيرة مردود عليهما بأن الخلاف لا يستدعي الاختطاف أو الاغتيال أو التصفية ولست مع من يردد أن عملاء النظام السابق العراقي وراء تصفيته انتقاما من آرائه وهجومه على صدام حسين وإلا وجدنا نفس المصير قد طال العشرات، بل المئات من العرب هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ما قوة هذا النظام السابق كي يشكل ميليشيات اغتيال

المعارضين والمناوئين، لا سيما وأن صدام نفسه يعيش في كهوف متنقلة ولا يأمن يومه، ولماذا نشيع الآن أن هذا النظام قوي وسرعان ما عاد للعمل الإجرامي وتنفيذ عمليات قتل وتصفية بحق منتقديه؟

أما عن الإسلاميين فإن المسألة مشابهة إلى حد كبير مع العراق، لأنه مهما كانت درجة العداء فهي لا تستدعي الاختفاء أو الاختطاف أو التصفية ويكفيهم الرد على آراء رضا هلال عبر الفضائيات أثناء المناظرات أو من خلال الكتابات الصحفية ناهيك عن وزر تحمل جرم خطير قد يدخلهم في نفق مظلم لا نهاية له.

نأتي للشق الأهم في المسألة أو ما شاع أو يتردد عن علاقة رضا هلال بالولايات المتحدة الأمريكية أو عشقه لنظام الحكم في أمريكا ورغبته في فرض هذا النظام في مصر أو الدول العربية بل والعالم كله مثلما رفضنا فكرة تصفيته على أيدي عملاء صدام لعدم منطقيتها نرفض أيضا القول أو الزعم بأن هذه العلاقة قد أدخلته في محور الدائرة السوداء " التى لا يعود صاحبها أبدا للحياة.

والسؤال : هل دخل رضا رغم حرصه الشديد وذكائه البالغ هذه الدائرة بمحض إرادته أم تم دفعه لدخولها واختراقها لمعرفة كواليسها وأسرارها والنيل منها وهو ما استدعى التخلص منه من جانب أحد الأطراف التي تتحكم في هذه الأمور، فالأطراف ربما تستخدم إنسانا ما ولفترة محدودة للعب دور محدود مرسوم بدقة متناهية ولكن لو درت بأن هذا الإنسان استغل مروره على درجات هذه الدائرة وصعد إلى دور غير مكتوب له فإن مصيره لن يكون الهبوط درجة درجة، ولكن بإسقاطه مباشرة إلى الهاوية واعتباره كأن لم يكن وإبلاغ رسالة للآخرين من الطامحين لتجاوز حدود المعرفة أو العلاقات!!

ملابسات المسرحية لا تزال غامضة ومبهمة وبلغت من الحبكة الدرامية أقصاها لدرجة أن المؤلف أو المسئول عن إخراجها وتأليفها وقع في مأزق إيجاد نهاية عادلة ومرضية للجميع، وإذا كانت قواعد الدراما تقول إن النهاية يجب أن تكون سعيدة

وتدعو للخير والتفاؤل وتبتعد عن الشر والأشرار فإن مسرحية "رضا هلال" لا تلتزم بقواعد الدراما التي نعرفها جميعا وهو ما يدفعنا إلى القول أن مخرج المسرحية متمرس في عمله وليس هاويا بل محترفا للغاية، ولكن فاته أن الشخصية المحورية للمسرحية ليست عادية وستظل في الذاكرة بمعنى أن الجمهور لن ينساها ولن ينشغل بقضية أو مسرحية أخرى وهو مالا نتمناه.

بقى أن نمر بسرعة على أهم مؤلفات وترجمات وكتب رضا هلال .. ولعل أهمها:

* كتاب " المسيح اليهودي ونهاية العالم المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا" الصادر عن دار " الشروق "عام ٢٠٠٠.. ويبين هلال في هذا الكتاب كيف تتحكم أسطورة " المسيح اليهودي " في الثقافة – ومن ثم السياسة – الأمريكية، تلك الأسطورة التي حولت يسوع (الناصري)، مسيح الحب والسلام والزهد في الدنيا، إلى مسيح يهودي منتظر ليقود حرب نهاية التاريخ ويحكم العالم من صهيون رغم قوله : " مملكتي ليست في هذا العالم ! " . ويكشف الكتاب أن المسيحية الأمريكية (البروتستانتية) مسيحية متهودة، حيث أعادت البروتستانتية الاعتبار " لليهود " وجعلت العهد القديم (اليهودي) المرجع الأعلى . ويتابع حركة المسيحية السياسية والأصولية الأمريكية، التي انطلقت من العقيدة الألفية أي الاعتقاد بمجيىء المسيح المحارب (اليهودي) ليحكم العالم في الألف عام السعيدة . ويرصد الكتاب صعود اليمين المسيحي الأمريكي حتى أصبح يستحوذ على ٢٥٪ من القاعدة التصويتية، كما يتناول تحالفه مع اليمين السياسي في الحزب الجمهوري ليشكلا ما أصبح يعرف باسم " حزب الله الأمريكي " . ويستعرض الكتاب المنظمات الأصولية وجماعات وميليشيات العنف المقدس " جيش الله "، ويحلل دور المسيحية السياسية والأصولية في السياسة الخارجية الأمريكية، وينبه إلى أن الانحياز الأمريكي لإسرائيل أساسه لاهوتي وثقافي (اليهومسيحية) وليس أساسه الصوت اليهودي، وإلى أن الصهيونية المسيحية سبقت الصهيونية اليهودية وزودتها بالتبرير اللاهوتي والسياسي . ويحذر

الكاتب الليبرالي رضا هلال - في هذا الكتاب - من خطر الأصولية المسيحية على روح أمريكا (الديمقراطية العلمانية) وعلى الإنسانية عامة، والشرق الأوسط خاصة .

* تحديث التخلف " الدولة والمجتمع والإسلام في مصر" الصادر عن دار "سينا للنشر " عام ١٩٩٣ . ويحاول هلال فيه الإجابة عن السؤال : لماذا أخفقت تجارب التحديث في مصر والشرق العربي الإسلامي ...!! وبمعنى آخر لماذا استمرت الدولة، دولة للاستبداد الشرقي منفصلة عن المجتمع مستندة على مشروعية احتكار العنف..!! ولماذا ظل الاقتصاد عاجزا ومعتمدا على الخارج في التقنية والتمويل والتزود بالغذاء ويعكس أدواؤه تزايد الفقر والبطالة والتضخم ..!! إن الفرضية الأساسية في هذا الكتاب هي كيفية فهم " إخفاق " أفكار ومؤسسات الحداثة، إذ تنجز ما أنجزته في الغرب : أي التقدم بل أصبحت معوقة عقيمة مفقرة للاقتصاد والمجتمع والسياسة وتعيد إنتاج الانحباس الحضاري وقد فرض ذلك ابتداء كشف الجانب الأسطوري الطوباري لنظريات التحديث ثم بحث أدوار الدولة والمجتمع والإسلام في " تحديث التخلف ".

* كتاب " السيف والهلال " الصادر عام ١٩٩٩عن دار " الشروق " المصرية.. وموضوعه أنه بعد ٧٥ عاماً من الأتاتوركية ظل الجيش التركى فى حروب داخلية مع ما يعتبرهما تهديدين لمشروع أتاتورك وهما : الإسلام السياسى والمسألة الكردية ومن ثم كانت ملاحقة أوجلان زعيم حزب العمال الكردستانى بعد إسقاط حكومة أربكان زعيم حزب الرفاة الإسلامى . وهذا الكتاب حصيلة بحث ومتابعات وسفر لتركيا منذ أن زارها المؤلف للمرة الأولى بعد الانقلاب العسكرى عام ١٩٨٠ وحتى رحلته الأخيرة فى درب كردستان ١٩٩٨ عندما هدد الجيش التركى بحرب ضد سوريا ويناقش الكتاب العلاقة بين الجيش والسياسة فى تركيا بالتركيز على الصراع بين المؤسسة العسكرية (الأتاتوركية العلمانية) والإسلام السياسى فيرصد تطور الجيش فى إقامة تركيا الحديثة وإلغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك ثم دور

الجيش بعد رحيله والتحول إلى التعددية الحزبية وعودة الإسلام كبديل للمشروع الأتاتوركى .

* كتاب " صناعة التبعية قصة ديون مصر وصندوق النقد الدولي " الصادر عن " دار المستقبل العربي "عام١٩٨٧ .

* كتاب " الصراع على الكويت " الصادر عن دار " سينا للنشر "عام ١٩٩١.

* كتاب " لعبة البترو دولار " الاقتصاد السياسي للأموال العربية في الخارج" سينا للنشر عام ١٩٩٢. ويتعلق موضوع هذا الكتاب بمسألة توظيف العائدات النفطية في الدول العربية الخليجية واستثمارات تلك الدول في أسواق المال بالدول الصناعية الغربية.

* كتاب " أرض الميعاد والدولة الصليبية : أمريكا في مواجهة العلم " تأليف والتر مكدوجال .. ترجمة رضا هلال، والصادر عن " دار الشروق " عام ٢٠٠١. ويدور الكتاب حول كيفية رؤية الولايات المتحدة دورها في العالم بين العهد القديم والعهد الجديد، ويحطم كل الأصنام في معهد التاريخ للسياسة الأمريكية، ويكشف أساطير حجب المعاني الحقيقية للمبادئ الأمريكية الأساسية، ويبين المفارقة الهائلة بين السياسة الخارجية الأمريكية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

* كتاب " أمريكا والإسلام - صدام أم تعايش " الصادر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٢ .

١٧- سعاد حسني ..من قتل السندريلا ؟!



●● وراحت سعاد من نفس المبنى الذي شهد انتحار أو نحر كثيرين من قبلها ومن بعدها والسبب إعلانهم عن نشر مذكراتهم التي تتضمن كشف أسرار خطيرة!!

هل قتلت سعاد حسني ؟! .. هل سقطت كما حدث مع كثيرين في لندن قرروا كتابة مذكراتهم وخشيت أجهزة معينة مما سيكتب عنها في هذه المذكرات ؟! .. هل انتحرت؟!.. هل وهل وهل ولكن النتيجة واحدة هي لا حل للغز، ولا جواب يشفي الغليل !!

جاء رحيل الفنانة سعاد حسني سندريللا السينما المصرية من أشهر النهايات الغامضة حيث كان ولايزال حدث رحيلها في الحادي والعشرين من يونيو عام ٢٠٠١ لغزاً يحير الجميع حتى الآن، ولم تظهر الحقيقة بعد إذ كان حادث موتها انتحاراً أم قضاء وقدراً، ام جريمة قتل، فقد عثر على جثمان السندريللا أسفل مجمع برج "ستيوارت تاور" وحسمت تحقيقات سكوتلاند يارد ملف القضية بانتحار سعاد حسني رغم وجود دلائل كثيرة تشير إلى وجود شبهة قتل، بعد أن سقطت من الطابق السادس من شقة صديقتها نادية يسري التي كانت تقيم معها قبل عدة أيام من الحادث وهي بريطانية من أصل مصري. ورفضت أسرة الفنانة الراحلة فكرة انتحارها لأنهم كانوا على اتصال بها لمعرفة أخبارها، حيث أكدوا أن معنوياتها كانت مرتفعة جداً وكانت تستعد للعودة إلى مصر قبل رحيلها بأيام، فيما أكد بعض جيرانها في التحقيقات أنهم سمعوا صوت شجار وصراخ داخل الشقة التي كانت تقيم بها الفنانة.

وقد تلقّى الشعب المصري والعربي صدمة مدوية إثر إعلان الخبر عن انتحار سندريلا الشاشة العربية سعاد حسني التي تربعت على عرش القلوب لسنوات طوال دون أن ينازعها أحد في مكانتها الفنية .

وانتظرنا كثيرا وترقبنا النتائج التي ستسفر عنها التحقيقات في هذه القضية فلقد رفض كل المصريين أن يصدقوا ما أشيع عن انتحارها فالحادث تحوم حوله شبهات أيدٍ خفية كانت السبب في حدوثه .

إلا أن هذه التحقيقات جاءت لتجدد الصدمة في قلوب المصريين وتؤكد على عدم

وجود شبهات جنائية في الحادث وأن الأمر لا يعدو سوي ان يكون مجرد انتحار أقدمت عليه الفنانة بعد يأسها في العلاج من المرض الذي كانت تعاني منه .

بهذه الكلمات القاسية تأكد لكل المتابعين لأحداث القضية أن هناك أمرا يدار في الخفاء . فهذه القضية ليست الأولى من نوعها التي يتولاها البوليس البريطاني بالتحقيق ويثبت فشله فيها فلا توجد تحريات أو تحقيقات ولا يوجد شيء على الإطلاق ولعل الأمر اللافت للنظر أن مفتشي البوليس تعاملوا مع قضية الفنانة الراحلة على أنها غير ذات أهمية ولا تستحق المسألة كل هذا إنهم يرون أن المسألة لا تستحق هذه التحريات والتحقيقات وأن الموضوع ليس به أية شبهات .

وهكذا كان من الطبيعي أن يصدر حكم محكمة الطبّ الشرعي ويعلن القاضي أن الفنانة سعاد حسني انتحرت وأن الأمر لا يخرج عن كونه انتحارا لفنانة عربية .

أن أعمال مبدأ الحقائق هو الشيء الوحيد المطلوب في مثل هذه القضية ولو تحدثنا بهذا المبدأ سنجد أن احتمال الانتحار واحتمال القتل يتقاسمان بالنسبة المئوية بواقع ٥٠ ٪ لكل منهما .

فالحادث وقع دون شهود سوى تلك الشخصية التي ثارت حولها الشبهات منذ ظهورها على مسرح الأحداث نادية يسري والتي تضاربت أقوالها حول الحادث في التحقيقات ، ويكفي إعلانها أمام المحكمة أن سعاد انتقلت من المصحة إلى شقتها يوم ١٨ يونيو ٢٠٠١ وتبين بعد ذلك من مذكرة المحامي أن موعد عودتها كان بعد هذا التاريخ بثلاثة أيام . وهذا ما ورد في سجلات شركة الليموزين التي أقلتها إلى الشقة .

ولكن وبعد كل ما ذكر فسوف تظل مسألة انتحار السندريلا أمرا مرفوضا وغير قابل للنقاش والجدل لكل من يعرفها . وكان من الممكن أن يقتنع الجميع بهذا الاحتمال في حالة قدرة المحكمة والشرطة على إثباته . ولكن لقد جاءت التحقيقات

والتحريات التي أجراها البوليس الإنجليزي سطحية لدرجة أنهم بحثوا عن الحل الأسهل وهو إعلان انتحارها دون دراية بمدى صدق هذا الإعلان أو حتي صحته .

ولعل ما يدفعنا إلى تصديق أمر إهمال وتقصير البوليس الإنجليزي أكثر من تصديقنا لقرار المحكمة بانتحار سعاد حسني عدم جدية التحقيقات فضلا عن تسرعها وعدم اقتناع محامي الفنانة الراحلة وأسرتها بتبريرات المحكمة الواهية خاصة أنهم كانوا متابعين للتحقيقات عن قرب .

أيضا لم يسمح القاضي لمزيد من التحري عن الوقائع . والأخطر من ذلك أننا لم نجد في ثنايا القضية أي شيء يدل على تحري البوليس عن نادية يسري بكل ما تحمله شخصيتها من غموض وتناقضات تدفع كل المتابعين للقضية بالاشتباه فيها . إن التساؤلات التي طرحها محامي عائلة الفنانة الراحلة على مفتش البوليس وإجاباته عليها لهي خير دليل على ما حدث في هذه القضية من إهمال وتقصير دفع المحققين إلى تثبيت فكرة واحدة في ذهن القضاة لم يفكروا في سواها فكانوا يبحثون عن الأسهل والأيسر والأقرب للمنطق من وجهة نظرهم وهو انتحارها .

لكننا وغيرنا الكثيرون نعتقد اعتقادا قويا غير قابل للشك أن القضية بها كذب وإخفاء للحقائق. لذا لم يكن غريبا بعد عامين من التحقيقات المزمع إجرائها وإصدار المحكمة حكمها النهائي في تصنيف حادث مصرع سعاد حسني على أنه انتحار أن تقرر عائلة سعاد حسني وأصدقاؤها وأعضاء الجمعية التي تكونت باسمها في لندن من مواطنين يحملون الجنسية البريطانية ويرفضون الإفصاح عن هوياتهم في وسائل الإعلام . يقررون مطالبة السلطات البريطانية إعادة التحقيق بشكل جدي في حادث مصرع الفنانة الراحلة والعمل على تزويد سلطات التحقيق بكل المعلومات المتاحة لخدمة سير القضية على أن تتم هذه التحقيقات بإشراف أسرتها حتي يتم التأكد من صحتها وعدم الإهمال أو التقصير فيها .

وقد أعادت حادثة الرحيل المفاجئ والغامض فتح ملف عمارة ستيوارت تاور أو برج ستيوارت الذي يقع غربي لندن، وأصبح أحد أشهر المعالم في عاصمة الضباب.

وسر شهرة هذا البرج السكني المكون من ١٦ طابقا.. أنه شهد ٩ حالات سقوط من شرفات شققه خلال السنوات القليلة الماضية كان آخرها وأشهرها على الإطلاق حادث سقوط النجمة المصرية اللامعة سعاد حسني.

ما هي حكاية هذا البرج المشئوم ؟ .. وما هي حكاية السقوط منه ؟ .. ولماذا يفضل المنتحرون إنهاء حياتهم فيه ؟ .. أو لماذا يفضل القتلة تصفية الضحايا بإلقائهم منه ؟!

حادث سقوط نجمة مصر الأولي سعاد حسني من الطابق السادس ببرج ستيوارت هو ما لفت الأنظار إلى هذه البناية السكنية المشئومة.. خاصة وإن هذا البرج شهد من قبل عدة حوادث سقوط على مدار تاريخه.

وبرج ستيوارت تم بناؤه في عام ١٩٦٨.. وهو مكون من ١٦ طابقا.. وفي البداية كان هذا البرج السكني مخصصاً لصغار الموظفين.. خاصة موظفي البنوك.. واشتهر هذا البرج برخص ثمن شققه.. وهي ليست شققاً كالمتعارف عليها وإنما شقق استديو أي أن الشقة الواحدة مساحتها لاتزيد عن ٦٠ مترا مربعا.. وهي عبارة عن غرفة واحدة بها سرير ومطبخ ومنضدة.. وإلى جوار هذه الغرفة يوجد الحمام.

وتتخذ بناية ستيوارت تاور شكل حرف لا وهي بذلك تطل على ٣ شوارع من أشهر شوارع العاصمة البريطانية هي شارع ميدايل من جهة الشرق.. وشارع سادر لاند افنيو من جهة الشمال.. وشارع لانارك رود من جهة الغرب.. وبرج ستيوارت به ١٨٦ شقة على ثلاثة أجنحة.. كل جناح يحوي أربع شقق أي أن الطابق به ١٢ شقة.. ويصل ثمن الشقة بها إلى ١٦٠ الف جنيه استرليني.

ويمتاز "ستيوارت تاور" بأنه يواجه حي سان مونزرود وهو أحد الأحياء الراقية.. كما أنه قريب من منطقة ليتل فينيس أو فينسيا الصغرى وهي منطقة مزودة بأجهزة الأمن والحراسة الإليكترونية حيث تمتلأ بالكاميرات ليلا ونهارا.. ويمتاز برج

ستيوارت ايضا بقربه من وسط لندن وشارع أكسفورد والذي يعد الشارع التجاري الأول في أوروبا كلها.

وبرج ستيوارت يعد قريبا أيضا من منطقة الوست اند حيث المسارح الكبري والملاهي.. كما أن "ستيوارت تاو" يطل على شارع ميدافيل وهو الامتداد لشارع ادجوار رودد أو شارع العرب كما يطلق عليه الانجليز حيث تكثر المتاجر والمكاتب العربية والمطاعم اللبنانية والشرقية.

وشهد برج ستيوارت منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي توافد العديد من العرب على الاقامة في شققه.. كما شهد البرج العديد من المشاهير العرب الذين استأجروا أو امتلكوا شققا به ومنهم اللواء فؤاد فريد وقد أصبح مديرا للأمن والذي كان يدرس بإحدي جامعات لندن في الستينيات.

كما أقام في إحدي شقق هذا البرج السكني صلاح سليم والذي أصبح سفيرا بعد ذلك.. وفي بداية الثمانينيات أقام بالبرج مجموعة من اللبنانيين وخاصة من أهل الفن منهم عازف الكمان الشهير عبود عبدالعال والمطربة صابرين والفنانة جيجي عمر والراقصة كهرمان.

وفي منتصف الثمانينيات ومطلع التسعينيات وفد على البناية مجموعة كبيرة من كبار رجال الأدب والصحافة أشهرهم الأديب الراحل يوسف إدريس والدكتور زكي نجيب محمود والكاتب الصحفي محمود السعدني والكاتب المسرحي ألفريد فرج والإذاعي محمد عروق والكاتب محمد عودة وغيرهم.

ولكن.. تعالوا بنا نعود إلى بداية إنشاء برج ستيوارت عام ١٩٦٨.. لنتعرف على تاريخه منذ البداية.

عندما تم بناء برج ستيوارت بدأت المشاكل حيث شهد مجلس العموم البريطاني استجوابا من أحد اعضائه ضد شركة مونيكيو انترناشونال ستيت وهي الشركة

المسئولة عن تأجير شقق البرج السكني بسبب ارتفاع البناية الشاهق نسبيا حيث كانت في ذلك الوقت ثالث البنايات الشاهقة بعد فندق هيلتون بارك لين وكامدن تاور.. وكان سبب الاعتراض على 'ستيوارت تاور' أنه يؤثر على جمال البنيان العمراني التقليدي في لندن!

ولكن مر الاستجواب دون أن يتم اتخاذ أي اجراء.. ولم يكن أحد يعلم بعد ذلك ما سيشهده هذا البرج من حوادث غامضة وصل عددها حتي الآن إلى ٩ حالات ما بين انتحار وقتل! حتي إن عددا من البريطانيين يطالبون الآن بتغيير اسم البرج من 'ستيوارت تاور' إلى 'سيوسايت تاور' أي برج الانتحار!

والسبب في ذلك يرجع إلى حوادث الانتحار التسع التي شهدتها البناية السكنية.. وضحايا هذه الحوادث ٧ أشخاص من جنسيات مختلفة ومصريين هما الليثي ناصف قائد الحرس الجمهوري الأسبق والفنانة القديرة سعاد حسني.

والغريب أن كل الحوادث التي شهدتها هذه البناية وقعت باسلوب واحد.. وهو إلقاء الشخص بنفسه من طابق مرتفع في البناية المشئومة.. والغريب أيضا أن أغلب هذه الحوادث كان يكتنفها الغموض الذي يشير إلى أن هناك جريمة مًّا وراء هذه الحوادث.

في أواخر السبعينيات.. تلقي رجال شرطة اسكوتلاند يارد بلاغا من سكان 'ستيوارت تاور' بعثورهم على جثة لرجل يحتمل أن يكون قد سقط من البناية.. وتوجه رجال الشرطة إلى البرج حيث تم التعرف على صاحب الجثة وتبين أنه 'الليثي ناصف' قائد الحرس الجمهوري المصري الأسبق.

واكتشف رجال شرطة اسكوتلاند يارد أن الضحية سقط من الطابق الحادي عشر من البرج.. ورغم التحقيقات الموسعة التي أجراها رجال الشرطة في ذلك الوقت إلا أن كل هذه التحقيقات لم تسفر عن شيء.. وتم قيد الحادث على أنه قضاء وقدر..

رغم أن أسرة "الليثي ناصف" لا تزال إلى يومنا هذا تصر على أن موت "الليثي" لم يكن قضاء وقدرا وإنما بفعل فاعل صعد إلى شقته وألقي به من الشرفة إلى الشارع.

ثم شهد "ستيوارت تاور" حادثا آخر هز مصر كلها.. وكان سقوط نجمة مصر المحبوبة سعاد حسني والتي سقطت من الطابق السادس للبرج من شقة إحدي صديقاتها المقيمات في لندن.

وفور سماع المصريين لنبأ الحادث تبادر إلى الاذهان العديد من السيناريوهات.. فهناك من قال إن سعاد حسني انتحرت بعدما يأست من الشفاء حيث كانت تعالج في لندن لأربع سنوات!.. وهناك من قال إن النجمة الشقية اختل توازنها وسقطت من الشرفة لتلقي مصرعها نتيجة لتأثير المهدئات التي تناولتها كعلاج لآلامها المبرحة.. وأخيرا رأي البعض أن الحادث لم يكن قضاء وقدرا.. وإنما هناك جريمة وراء سقوط نجمة مصر الأولي،

وبعيدا عن حادثي سقوط "الليثي ناصف" و"سعاد حسني".. هناك ٧ حوادث سقوط أخري شهدها "ستيوارت تاور" كان اخر هذه الحوادث انتحار فتاة إسبانية في الرابعة والعشرين من العمر من الطابق السابع بالبرج.. والفتاة كانت تقيم مع شاب مصري مقيم في لندن منذ بداية السبعينيات.

أيضا هناك رجل روسي الجنسية ألقي بنفسه من "ستيوارت تاور" قبل ٧ أعوام بعدما تناول وجبة العشاء مع مجموعة من أصدقائه داخل إحدي شقق الطابق التاسع.. دون أن يُعرف أحد سبب انتحاره أو حتى إقدامه على ذلك.

وأخيرا.. أليس عجيبا ما يحدث في هذا البرج السكني؟ ما السر وراء انتشار ظاهرة الانتحار أو السقوط من هذه البناية الشاهقة بالذات؟ .. الإجابة حتي الآن غير معروفة.

ولا أحد يستطيع الإجابة سوى بجملة واحدة وهي أن "ستيوارت تاور" عمارة غامضة ومشئومة وكئيبة.. ومن الأفضل أن نسميها بـ " برج الموت " !!!



الشرفة التي أُلقيت منها سعاد حسني، أو ألقت بنفسها منها، كما انتهت تحقيقات شرطة " سكوتلانديارد " التي لم يبتلعها أحد !!



بجانبها شقيقة الفنانة الراحلة تشجع الى جلسة المحكمة



سعاد حسني

نقابة المحامين المصريين تعيد فتح القضية وشقيقتها تقدم طلبا بنقض الحكم النهائي

سمير صبري يشير بأصابع الاتهام إلى نادية يسري ويرى أن الحادث كان هدفه السرقة

القاهرة - مكتب ... - محمد أحمد رسيد يونس

تحل الذكرى الرابعة لرحيل سندريلا الشاشة العربية سعاد حسني والغموض لا يزال يكتنف الأسباب الحقيقية لوفاتها وما إذا كانت سعاد قد انتحرت بالفعل كما جاء في حكم القضاء البريطاني ام أن الجريمة لها ابعاد ثانية وأياد أخرى؟

على اية حال فهناك عدم اقتناع في الوسط الحقوقي والفني المصري بخيار انتحار سعاد حسني وهو ما دفع نقابة المحامين المصريين مساء الخميس الماضي لإعادة الملف من جديد بغية استجلاء ابعاده الحقيقية تمهيدا لاستئناف المداولة في القضية امام المحاكم البريطانية.

الندوة التي عقدتها نقابة المحامين حضرها حشد من الفنانين والمحامين في مقدمتهم سمير صبري وحمدي احمد وعلاء كريم وميرنا وليد.

وتؤكد جانجاه محمد حافظ الأخت غير الشقيقة لسعاد حسني في تصريحات ان الشرطة البريطانية قالت ان سعاد حسني انتحرت لكنها لم تقدم اسباب الانتحار وهو حكم باطل بشهادة المحامي البريطاني لسعاد حسني الذي اكد ان القضية يشوبها جانب كبير من القصور.

واوضحت انها ستتقدم طلبا باستئناف المداولة في القضية وان كان الامر سيتكلف اموالا باهظة معربة عن املها في تقديم محبي سعاد حسني التبرعات اللازمة لذلك.

وقالت ان نادية يسري التي كانت تقيم معها في شقتها بلندن هي المتهمة الرئيسية في القضية وهي في نفس الوقت الشاهدة الوحيدة. واكد خالد ابو كريشة عضو مجلس نقابة المحامين المصريين ان النقابة ستقف بكل قوة وراء اسرة سعاد حسني لكشف ملابسات ما حدث مشيرا الى ان القضية برمتها بها لغز يجب ان يتكشف حتى تتضح الحقيقة. واشار الى ان سعاد حسني وما قدمته من اعمال جيدة تستحق من الجميع بذل الجهد لكشف ملابسات ما حدث وإنزال العقاب بالجاني الحقيقي خاصة وان كل المؤشرات تدفع باستبعاد خيار الانتحار.

ومن جانبه طالب عاصم قنديل المحامي الخاص بقضية سعاد حسني وزير العدل المصري المستشار محمود أبو الليل والنائب العام المستشار ماهر عبد الواحد في تقديم المساندات اللازمة لاعادة النظر في القضية امام المحاكم البريطانية.

واوضح ان العقبات المالية تحول دون الطعن في حكم القضاء البريطاني غير انه اعرب عن امله في ان يساعد محبي سعاد حسني واسد قائنا في القضاء على هذه العقبة.

وقال الفنان سمير صبري: عندما علمت بخبر وفاة سعاد اسرعت لتقديم طلب كي اكون مرافقا للجثة وهي قادمة الى مصر ووجدت بجواري في الطائرة فتاة سمراء تبكي واخبرتني ان سعاد حسني كانت تعتز بصداقتي لها وانها كانت اقرب اصدقائها.

واضاف: في اللحظة تذكرت ما حدث في بداية التسعينات عندما كان يوسف شاهين يعرض مسرحية في فرنسا ودعاني وسهير البابلي ويسرا لحضور الافتتاح وهناك قابلنا سعاد حسني واخذناها معنا ثم تناولنا العشاء في احد المطاعم الباريسية وسألتها عن موعد عودتها لمصر فأخبرتني ان ذلك سيكون حينما يقل وزنها بسبب الكورتيزون الذي كانت تتناوله للعلاج من السكر.

وأضاف انه في هذه الاثناء ضرب مصر الزلزال الشهير فقررنا ان نقيم حفلا لصالح ضحايا الزلزال وبالفعل ذهبنا للسفير المصري في فرنسا وعرضنا عليه الفكرة فرحب وأقمنا الحفل بمقر اليونسكو في باريس حيث حضرها ٩ الاف من العرب والفرنسيين وكان ضمن التذكرة الواحدة ...

واوضح ان سعاد حسني اصرت على المشاركة في الحفل ومن ثم قامت بغناء «يا واد يا تقيل» حيث قمنا بتشغيل شريط للاغنية وقامت هي بالغناء بطريقة التمثيلية الراجعة وفوجئ الجمهور بالدموع تذرف من عينها.

ويشير الى انه خلال تواجدهم في فرنسا قدم شخص الى سعاد حسني وسلمها ظرفا به مال لكنها رفضت مؤكدة له انها ليست بحاجة الى المال لأن مصر تقوم بعلاجها.

واكد انه عندما عاد الى القاهرة وتم دفن جثمان سعاد حسني اتصلت به امرأة اخبرته انها نادية يسري صديقة سعاد حسني التي كانت تسكن معها والتي كانت تجلس بجواره في الطائرة المقلة للجثمان الى القاهرة وطلبت منه ان يقابلها وعندما قابلها سمع منها - على حد قوله - كلاما مليئا بالمتناقضات وشاهد امام عينه فاصلا من التمثيل الدرامي غير المقنع على غرار سينما الثلاثينات، فالدموع كانت اشبه بدموع التماسيح وحركاتها كانت تتسم بالهيستيرية وكلامها يشوبه عدم المصداقية وهي تؤكد انها شاهدت سعاد حسني وهي تلقي بنفسها من النافذة ثم تعود لتقول كلاما مختلفا. وذكر سمير صبري انه اصر على ان يجري حلقة تلفزيونية تحقيقية حول لغز الحادث فالتقى نادية يسري في القاهرة لمدة اربعة ساعات والتي قالت فيها ان سعاد كانت تعاني من ضائقة مادية وانها اصيبت بالاكتئاب في الايام الاخيرة ... وانها لم تشاهد لحظة القائها بنفسها على الارض على الرغم من انها قالت من قبل انها شهدت هذه اللحظة.

وأضاف انه سأل نادية يسري حول السبب في عدم ابلاغها الشقاء سعاد حسني بالحادث عقب وقوعه مباشرة مشيرا الى انها بررته بأنها كانت مشغولة مع صديق انجليزي ولم تستطع الاتصال الا في اليوم التالي للحادث!!

وقال انه ذهب الى لندن وقام بتصوير الشقة التي كانت تقطن فيها سعاد حسني ونادية يسري ووجدها شقة صغيرة تتكون من حجرة نوم وصالة ونافذة ومطبخ وحمام مما يعني ان نادية لطفي كان بامكانها ان ترى ما حدث لسعاد حسني في لحظاتها الاخيرة وهي متواجدة في اي مكان بالشقة.

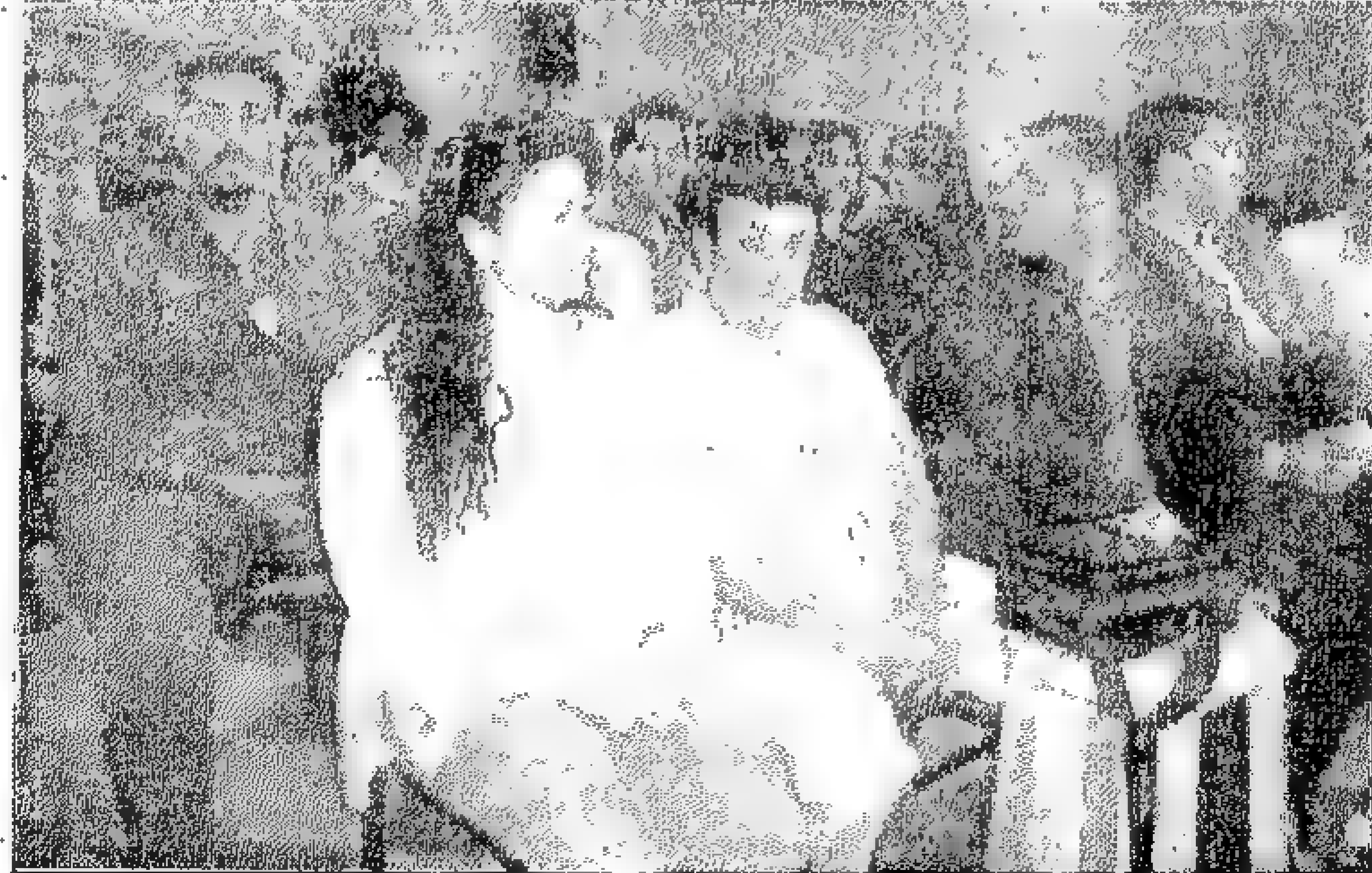
وأكد انه ذهب الى الطبيب الذي كانت تعالج عنده سعاد حسني فاخبره ان حالتها النفسية كانت مرتفعة للغاية وانها كانت مصرة على العودة الى مصر عقب انخفاض وزنها وبعدما اجريت عملية تركيب اسنان جديدة كما التقى السائق الذي نقلها الى شقتها بعدما ذهبت الى الدكتور وقبل الحادث مباشرة مشيرا الى ان السائق اخبره ان معنوياتها كانت مرتفعة وانها لم تتوقف عن الغناء وهي في سيارة الاجرة.

وكشف سمير صبري عن انه قبل وفاة سعاد بأيام قليلة تم تحويل مبلغ مالي كبير الى سعاد حسني من احد البنوك المصرية وهو ما يناقض كلام نادية يسري بأن سعاد كانت تعاني من ضائقة مالية.

واكد سمير صبري تفسيره الشخصي لما حدث قائلا انه في اعتقاده ان ما حدث لسعاد حسني كان بدافع السرقة من قبل احد الاشخاص الذي دخل الشقة وعندما قاومته سعاد قام بضربها وألقى بها من اعلى ثم بعد ذلك قام بتهديد نادية يسري التي لم ترد ان تكشف عن حقيقة ما حدث.

واستبعد ان يكون وراء الحادث دولة اجنبية بسبب مذكراتها التي تحوي حقائق مهمة كما يراه البعض.

ودعا سمير صبري الى التبرع لأسرة سعاد حسني كي يقوم المحامي المصري الخاص بالقضية بالطعن في الحكم واعادة المداولة في القضية من جديد حتى تتكشف الحقيقة.

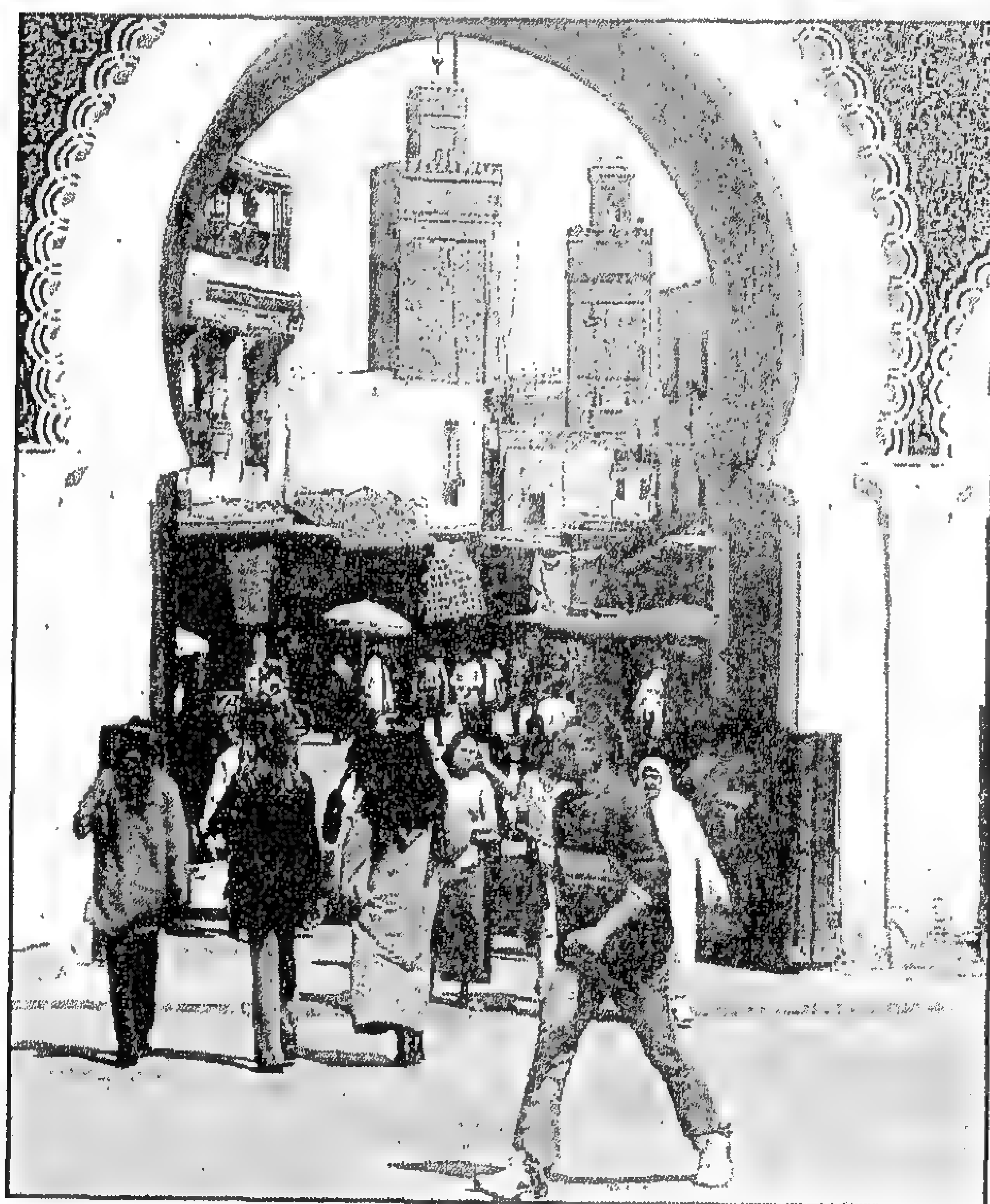


الفنان سمير صبري اثناء الجلسة في المحكمة

هكذا تحول رحيل سعاد حسني الغامض

والمريب إلى قضية تشغل الرأي العام المصري !!

١٨- سر المذبحة الغامضة لفتيات المغرب !!



في شهر أبريل من عام ٢٠٠٦، عاش المغرب على وقع سلسلة جرائم غامضة امتدت من أقصى جنوبه إلى شماله، بحيث أضحى حديث المواطن في الشارع أو المنازل منصبا على فك لغز العديد منها، فيما أججت وسائل الإعلام من هذه الأحاديث عبر مقالات وتحقيقات مصورة تتابع أولا فأولا تفاصيل تلك الجرائم.

وتراوحت أغلب الجرائم التي ارتكبت في الآونة الأخيرة بين الرغبة في الانتقام أو السرقة، غير أنها تميزت بطابعها البشع؛ حيث تم العثور على أطراف بعض الجثث بأرجاء البلاد، مقطعة بطريقة تنم عن "احترافية كبيرة"، بحسب وصف مصادر أمنية مغربية.

وشبهت بعض وسائل الإعلام المغربية هذه الجرائم الجديدة على المجتمع المغربي بجرائم "ريّا وسكينة"، في إشارة إلى سلسلة الجرائم الشهيرة التي شهدتها مصر قبل عقود، وتحولت إلى أعمال سينمائية ومسرحية وتلفزيونية.

ورغم نفي السلطات أن تكون هذه الجرائم ناتجة عن تسيب أمني أو اختلال اجتماعي متصاعد، والقول إن للصدفة دورا كبيرا في تزامنها"، رافضة الربط بينها وبين مظاهرات احتجاجية شهدتها عدة مناطق مغربية احتجاجا على تدهور الأمن وارتفاع نسبة الجريمة.

إلا أن الأمر لم يبد كذلك !!

وكانت أحدث حلقة بسلسلة هذه الجرائم، ما كشفته الشرطة من معلومات حول خادمة تبلغ من العمر ١٨ عاما تلقت ٥ طعنات في صدرها، وتوفيت على الفور بفيلا في مدينة الدار البيضاء.

وتبين فيما بعد أن خادمة سابقة بالمنزل تواطأت مع شريكين هما شقيقها وصديقه؛ حيث اقتحموا المنزل لسرقة محتوياته، معتقدين غياب أصحابه، لكنهم فوجئوا بوجود الخادمة الجديدة.

وجاء الكشف عن تفاصيل هذه الجريمة في وقت لم ينسَ فيه المغاربة بعد جريمة قتل طفل وتقطيع أطرافه بمدينة سيدي قاسم شمال العاصمة الرباط.

وكانت امرأة -يعتقد أنها كانت على علاقة عاطفية بوالد القتيل قبل أن يتركها ويتزوج- قد أغرت أسرته وأسرا أخرى في الحارة بمنح دروس إضافية للأطفال، ومنحت المرأة طفل خليلها السابق امتيازا خاصا، وهو مشاركته في دروس التقوية بالمجان، من أجل التقرب إلى والده من جديد.

غير أنها -بعد يأسها من تقربها من الأب- قتلت الطفل وشوهت جثته لإعطاء الانطباع بأنه تعرض للاغتصاب، ثم وضعته بكيس بلاستيكي، ورمته بأحد أطراف مدينة سيدي قاسم.

ثم تم العثور على عدة أطراف بشرية موزعة بين أماكن بمدينة سلا (قرب الرباط) وبين ضواحي مدينة الدار البيضاء.

وكشفت الشرطة عن أن المتورطين في إحدى هذه الجرائم امرأتان وزعتا الأدوار فيما بينهما، دون أن يعرف إلى الآن إن كانتا قد شاركتا في جرائم أخرى أم لا.

وذكرت وكالة الأنباء المغربية ٢٠٠٦ أن النيابة العامة وجهت إلى المرأتين رسميا تهمة "القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد والتمثيل بالجثة، وارتكاب أعمال وحشية بها وإخفائها، والتسميم، وحمل الغير على الإدلاء بشهادات تتضمن وقائع غير صحيحة".

ولم يفصح الأمن عن الدوافع وراء هذه الجريمة التي عرفت باسم "جريمة السدري"، نسبة إلى اسم الحارة التي ارتكبت فيها بالدار البيضاء، والتي تعتبر الأولى من نوعها من حيث بشاعتها ووجود نساء خلفها.

غير أن معلومات أولية لفتت إلى أن القتيل كان يعمل حارسا، وسبق له أن أدلى بشهادة قضائية تعرض على إثرها لتهديدات، ويحتمل أن تكون شهادته وراء قتله.

وتتشابه هذه الجريمة مع أخرى ارتكبت قبل بضعة أشهر بالمدينة نفسها؛ حيث تم اكتشاف أطراف بشرية في عدد من مناطقها، وتوصل التحقيق إلى أنها أطراف امرأة، واعترف قاتلها فيما بعد بأنه قتل ٥ نساء بالطريقة ذاتها.

وجاءت هذه الجرائم بعد فترة وجيزة من "جريمتين غامضتين" عرفهما شمال المغرب؛ حيث اكتشفت جثة فتاة قاربت على العشرين من عمرها غريقة في البحر، وعليها علامات عنف.

وبعدها اهتزت منطقة الريف على وقع جريمة بشعة أخرى، لقيت فيها امرأة حتفها بواسطة بندقية صيد، ووجهت تهمة قتلها لزوجها وابنه، فيما يعتقد أنها نتيجة حسابات عائلية داخلية وعملية انتقام أسرية.

وفي جريمة بشعة أخرى، قتلت امرأة في حارة وادي الذهب بمدينة سلا، وقطعت أطرافها من قبل زوجها، فيما تم العثور على جثة طفلة في حوالي السادسة من العمر بكيس بلاستيكي، ويعتقد أنها ابنة القتيلة.

وقالت مصادر أمنية بالمدينة: إن الابنة الأخرى للمرأة القتيلة شاهدت بعض فصول الجريمة، وهربت من المنزل؛ حيث تم العثور عليها في حالة نفسية سيئة، وأُدخلت مركزا خيريا.

ويقول محام مغربي: إن هذه الجرائم التي يتم الكشف عنها وتحظى باهتمام الناس تشكل جزءا بسيطا فقط من مجموع الجرائم التي تتخذ منحى متصاعدا.

وشدد المحامي -الذي فضل عدم الكشف عن اسمه- على أن هذه الظاهرة أصبحت تثير الهلع، و"صار من واجب السياسيين والأخصائيين الاجتماعيين

وعلماء الدين ومسئولي الأمن الجلوس إلى مائدة واحدة من أجل العمل على رصد أسباب هذه الظاهرة المخيفة، والبحث عن حلول لها".

وأضاف: "يجب أن نتوقع الكثير في بلاد يحطم أبناؤه الأرقام القياسية في مجال الهجرة، ويعيش الملايين منهم تحت خط الفقر، وترتفع معدلات البطالة إلى درجات غير مسبوقة".

١٩ - اغتيال العقول العراقية

رحلوا ولم يكترث أحد !!



●● وكان السؤال ولا يزال هو : لماذا تُسَجَّلُ كل الجرائم التي تخص اغتيالات هذه النخبة الخيرة ضد مجهول !؟

ذبح العقول العراقية بالاغتيال أو الإخفاء .. مأساة بشرية .. وجريمة سياسية تمثل لغزاً لا يزال يستعصي على الحل .. خرجت إلى السطح منذ اليوم الثاني لغزو القوات الأمريكية للعراق ..!!

وهناك تقرير مؤلم نشرته مجلة " المشاهد السياسي " البريطانية كان صدمة للعالم، والعراقيين على وجه الخصوص رغم أن كل العراقيين سمعوا وتابعوا الكثير منها ويتذكرونها جيداً .

التقرير محزن يتضمن اتهامات وإحصائيات وتوضيحات لأمور تتعلق بالقتل المستمر للعلماء والكفاءات العراقية .

ضحايا هذه النخبة الخيرة من شعب العراق لم يرتكبوا أي جرم سوى أنهم أناس أذكياء لهم اهتمامات علمية متميزة همهم خدمة العراق والبشرية جمعاء بها.. وأما عن استهدافهم من قبل الموساد الإسرائيلي المتغلغل في قوات الاحتلال وكما ورد في التقرير أمر لا عجب فيه حيث غايته تفريغ العراق من العلماء والكفاءات وبالتالي إيقاف عجلة تطوره.

لقد تناول التقرير جريمة وأد العقول العراقية وتزايده بشكل ملحوظ خلال السنين الخمس الأخيرة حيث ضعف الدولة وفقدان الأمن أي الاتهام غير المباشر للحكومات المتلاحقة بعد إسقاط صدام وإلى يومنا هذا.

وكان السؤال ولا يزال هو : لماذا تُسَجَّلُ كل الجرائم التي تخص اغتيالات هذه النخبة الخيرة ضد مجهول ؟!

هل بسبب الخوف من ذكر الجهات الفاعلة لها ؟!

هل من الصعب على الحكومة ولمدة خمسه سنوات متواصلة من الاغتيالات تشخيص الجهات التي تقف وراء هذا الاستنزاف لقادة العلم والتطور في العراق ؟!

هل من المعقول أن يتم اعتقال شبكه تعدادها ٨٠٠٠ مجرم متهمين بهذه الجرائم ويتم إعدام ٦٠٠ منهم ولم يتم الإمساك بخيط من خيوط هذه الجريمة أو الجهات التي تقف وراءها ؟!

ألا يفهم من توجيه الاتهام لهذا العدد الكبير بان ما يراد منه خلط الأوراق وتمييع الجريمة ؟!

ألا تقع على عاتق الاحتلال مسؤولية حماية كل الأفراد في البلد المحتل ومنهم العلماء ولماذا الصمت وعدم توجيه الاتهام المباشر لهم ؟!

وأخيرا .. إذا عجز محققوقم عن كشف خيوط هذه الجريمة النكراء فلماذا لا يتم الاستعانة بمحققين دوليين وألا تستحق هذه النخبة وهذا العدد هذا الاهتمام؟!

من يتكتّم على عصابات قتل العقول العراقية التي ذهب ضحيتها أكثر من خمسة آلاف عالم وجامعي عراقي حتى الآن؟

ما هي نتائج التحقيقات التي أجريت في هذه القضية؟

الفضيحة أن ملفات المتهمين بهذه الجريمة أحيلت على المحاكم الجنائية العليا في بغداد، لكن أي مرجع عراقي رسمي، قضائي أو سياسي، لم يكشف حتى اللحظة أية معلومة تتصل بجرائم التصفية التي استهدفت الآلاف، وكأن المقصود التستر على هذه الجرائم ومرتكبيها أو الذين حرّضوا عليها ولا يزالون. والمطلوب في النهاية- وهذا ما بات يعرفه الجميع- تفريغ العراق من عقوله كي يسهل قياده، ومنع العلماء الذين هاجروا من العودة كي لا يكون للعراق مستقبل في المدى المنظور.

هذه بعض الأسئلة التي تدور بخلد المواطن العراقي الذي يرى أنه يتعين على الحكومة العراقية وبالذات أجهزتها الأمنية والمخابرات التابعة لها إثبات نزاهتها

ومصداقيتها بتقديم أجابه تفصيلية مدغومة بالدلائل والشهادات على كل ما ورد في التقرير وعليهم أيضا تقديم جرد مفصل يُعْلَنُ على الملأ عن ظروف اغتيال كل عالم عراقي والجهات والعناصر المنفذة التي تقف وراءه.. وإذا كان هذا صعبا عليهم.. إذن عليهم الاعتراف بفشلهم وترك العمل في هذه المؤسسات لعدم امتلاكهم الكفاءة للعمل فيها.

ويرى كثيرون أن هناك دلائل تشير على إن الاحتلال وراء الكثير من هذه الاغتيالات لأنها تجرى في عهده وعليه تحمل مسؤوليتها .. وأما الحكومات العراقية المتعاقبة في ظله فتتحمل المسؤولية الكاملة بالتستر على هذه الجرائم بسبب خجلها أو خوفها من البوح بالحقيقة!!

ما ورد في هذا التقرير هو حقيقة أفعالهم وجرائمهم والعلماء والكفاءات أول ضحاياهم واستمرار الاحتلال معناه وأد المزيد من العقول العراقية بين قتل وتهجير!!

عملية ذبح العقول العراقية التي بدأت في اليوم الثاني لسقوط بغداد، تتوزّع بين أطراف ثلاثة:

الطرف الأول :

هو الموساد الذي أوفد مجموعات سرّية إلى العراق لمطاردة العلماء والباحثين والمفكّرين والأطباء، لا سيما الطاقمين النووي والكيميائي، وتصفيتهم بناء على قرار اتخذ على أعلى المستويات الأمنيّة في إسرائيل.

الطرف الثاني :

هو المخابرات الأميركية المركزية، التي قدّمت عروضاً مغرية للعلماء العراقيين من أجل التعاون معها، بينها تأمين عقود عمل لهم في الولايات المتحدة وضمان سلامتهم، والذين رفضوا هذه العروض تمّت مطاردتهم وتصفيتهم على مراحل.

الطرف الثالث :

هو فريق عراقي وقد صدرت إليه التعليمات بالانخراط في حملة التصفية بناء على توجيهات خارجية.

حتى الآن، كل ما صدر عن السلطات العراقية يقول إن «جماعات مسلّحة مجهولة» قتلت عشرات الأكاديميين والباحثين، واستهدفت كذلك الأطباء والمهندسين وكبار الموظّفين الحكوميين السابقين، لكن هذه «الإيضاحات» لا تكشف هويّة هذه الجماعات لا بصورة مباشرة ولا غير مباشرة، وكأن المقصود أن يستمر التعتيم على المجرمين كي تتواصل عملية الذبح التي تستهدف الجامعيين العراقيين إلى ما لا نهاية.

اللائحة الأولى التي نشرت، والتي ضمّت مئات العلماء العراقيين الذين تعرّضوا للاغتيال، ظهرت في موقع إلكتروني عراقي هو موقع «البيّنة» انفرد بنشر أسماء بضع مئات من الأكاديميين والباحثين خطفوا وقتلوا في جامعات العراق، من دون تعليق اللائحة. الثانية إن عملية خطف العلماء تتّسع ولا يستبعد أن تكون هناك «جهات أجنبية» وراء الظاهرة لإفراغ العراق من كوادره المميَّزة.

والتصريحات الأولى التي صدرت حول هذه العمليات جاء على لسان طبيب في وزارة الصحّة العراقية هو الدكتور محمود العياسي الذي قال: إن هذه الظاهرة تحتاج إلى بحث واستقصاء لأنها ليست عملاً عبثياً، وإنما هي من تخطيط جهات أجنبية، وأصابع الاتهام تتجه نحو «الموساد» الإسرائيلي الذي يعتبر الجهة الوحيدة التي تمارس مثل هذه الجرائم، لأنه سبق أن اغتال عدداً من علماء الجامعات العراقية وأساتذتها، لا سيما في بغداد والمنطقة الشمالية.

في وقت لاحق كشفت مصادر في وزارة الداخلية أن إجراءات أمنيّة مشدّدة اتخذت لمواجهة عمليات الخطف والتصفية التي تتولاّها عصابات مسلّحة في حق العلماء والأطباء، بقصد حرمان العراق من عقوله المبدعة.

كل هذا حدث في مرحلة الحكم الانتقالي، مباشرة بعد سقوط بغداد، مع حديث تكثّف في تلك المرحلة عن دخول مجموعات من «الموساد» مختلف المدن العراقية، في حماية الجيش الأميركي، بحثاً عن علماء الذرّة العراقيين وأشهر علماء الكيمياء. في الفترة نفسها، وبعد مضي بضعة أشهر على انتهاء الاجتياح، نشر موقع «العراق ـ ٥» الإلكتروني معلومات أكثر تفصيلاً.

وقد استند الموقع إلى تصريحات أدلى بها الدكتور زياد عبد الرزاق، وزير التعليم العراقي السابق (في زمن صدّام) يقول فيها: إن ١٥٥٠٠ عالم وباحث وأستاذ جامعي عراقي فصلوا من أعمالهم في سياق الحملة الأميركية ـ الإسرائيلية التي استهدفتهم، وقد تكتّمت وزارة الداخلية العراقية على نتائج التحقيقات التي طالت المتّهمين في عمليات الاغتيال ضد أصحاب الكفايات العلمية العراقية، في حين أطلقت السلطات الأميركية عدداً منهم ورفضت الكشف عن نتائج التحقيقات التي أجريت معهم.

في السياق نفسه، اتّهم وكيل وزارة الصحّة العراقية عامر الخزاعي «أياديَ خفيّة وخبيثة» بالوقوف وراء هذه الظاهرة، بهدف تعطيل عملية النهوض بالعراق من جديد»، وشاركت في هذا الاتهام رئيسة مركز الدراسات الفلسطينية في جامعة بغداد هدى النعيمي التي قالت إن «الموساد» يقف وراء التصفيات، وأن عروضاً إسرائيلية قدّمت إلى فريق من العلماء العراقيين للعمل في إسرائيل، وتبلّغ أصحابها رسائل تقول: عليكم أن تختاروا بين القبول أو الاغتيال!

وقد تكثفت التهديدات إلى حدّ أن مجموعة كبيرة من الباحثين العراقيين وجهت رسائل عبر الإنترنت بعنوان: «علماء الأمّة مهدّدون» طلب موقّعوها من الجهات العربية المعنيّة العمل على إنقاذهم من عمليات الدهم والاغتيال والتصفية التي يتعرّضون لها، خصوصاً الخبراء منهم في مجال التسلّح.

وفي ١٥ مايو نشرت صحيفة " المنار" الفلسطينية الأسبوعية، أن الولايات المتحدة نقلت إليها أكثر من سبعين عالماً عراقياً، ودفعت بهم إلى معسكرات خاصة

كي تضمن عدم قيامهم بتسريب معلومات أو معارف عسكرية إلى جهات تصفها الدوائر الأميركية بأنها «معادية» وتشكّل خطراً على المصالح الأميركية.

وتشير مصادر الصحيفة إلى أن هؤلاء العلماء موجودون في المكان نفسه الذي نقلت إليه مجموعة علماء من مختلف الجنسيات.

في مجال آخر، كشفت «المنار» أنه رغم التعاون الوثيق بين «الموساد» و«سي آي إيه» في عملية التحضير للحرب على العراق، إلا أن صراعاً نشأ بين الجهازين محوره استقطاب العلماء العراقيين بطرق خاصة إلى الداخل الأميركي كما إلى الداخل الإسرائيلي، وقد استخدمت إسرائيل في هذه المحاولة الأسلوب الذي استخدمته بعد تفكك الاتحاد السوفياتي عندما استدرجت عشرات العلماء الروس مع برامجها التسليحية ونقلتهم إلى قاعدة سرّية في وسط إسرائيل.

وما يؤكّد الدور الإسرائيلي في خطف وقتل أو استقطاب العلماء العراقيين، التصريحات التي أدلى بها في ٨ أبريل ٢٠٠٤ جنرال فرنسي متقاعد إلى القناة الخامسة في التلفزيون الفرنسي، أكد فيها أن أكثر من ١٥٠ جندياً من وحدات «الكوماندوس» الإسرائيلية دخلوا الأراضي العراقية في مهمة تستهدف اغتيال العلماء العراقيين الذين كانوا وراء برامج التسلّح العراقية الطموحة في أيام النظام السابق، وقد قدّمت أسماء الإسرائيليين إلى لجنة مفتشي الأسلحة الدولية التي ترأسها هانز بليكس في حينه.

ومما قاله الجنرال الفرنسي: إن مخطط الاغتيال هذا تمّ وضعه من قِبل مسؤولين أميركيين وإسرائيليين، وأن لديه معلومات دقيقة عن الغرض المقصود منه، وهو تصفية العلماء الذين خطّطوا للقوّة الصاروخية العراقية ووضعوا أسس البرنامج النووي، كما ساهموا في برنامج الأسلحة الكيميائية الذي أرعب إسرائيل، وعددهم ٣٥٠٠ عالم من ذوي الخبرات العالية، بينهم نخبة تتكوّن من ٥٠٠ عالم اشتغلوا في تطوير مختلف الأسلحة.

في وقت لاحق نشر «مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية» تقريراً مفصّلاً عن أبعاد المخطط الأميركي - الإسرائيلي الذي يهدف إلى منع العراق من إعادة بناء ترسانته العسكرية، واستقصاء المصادر التي استقى منها العلماء العراقيون معلوماتهم ومعارفهم، ومنع انتقالهم إلى أي بلد عربي أو إسلامي، وتحذيرهم من معاودة نشاطاتهم تحت أي صورة من الصور، في المجالات التي ترى واشنطن أنها محظورة عليهم.

ويوضح التقرير أن المخطط يقوم على عدد من المحاور الرئيسية وأبرزها:

تدمير البنية التحتية العراقية المتطوّرة التي سعى العراق إلى بنائها منذ مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، مستفيداً من قدراته المالية التي وفّرت له التكاليف الباهظة لامتلاك الأسلحة المتطوّرة، ومستثمراً حالة الدعم الأميركي والغربي له تحت مظلّة التحالف الذي كان قائماً بينهما في ذلك الوقت.

وقد بدأ تنفيذ هذا المخطّط عندما قامت إسرائيل بقصف المفاعل النووي العراقي «تموز» في يونيو من العام ١٩٨١، ثم أعقب باستصدار واشنطن مجموعة من القرارات غير المسبوقة من مجلس الأمن تدعو إلى تدمير هذه البنية ونزع أسلحة العراق عقب حرب الخليج الثانية، وبقيام بوش باستغلال هذه القضية كمبرّر لإعلان الحرب على العراق، وغض القوّات الأميركية الطرف عن عمليات النهب والسلب التي أعقبت احتلال بغداد، والتي طاولت أكثر من ٧٠٪ من المختبرات والأجهزة داخل الجامعات ومراكز البحث العلمي في العراق. - أما المحور الثاني من المخطّط فيقوم على ملاحقة العلماء والخبراء الفنّيين العراقيين والعرب الذين عملوا في برامج التسليح العراقية. وفي هذا السياق، يقول التقرير إنه منذ بدء البرنامج النووي العراقي، عملت إسرائيل على تعقّب العلماء العرب الذين كانت لهم صلة بتطوير هذا البرنامج، وهو ما حدث مع عالم الذرّة المصري يحيى المشدّ الذي استعين به كحلقة وصل مع مؤسّسة الطاقة الذرّية في فرنسا. لكن عناصر من «الموساد» استطاعت اغتياله في باريس أثناء مهمّة له هناك في صيف العام ١٩٨٠.

كذلك يوضح التقرير، أنه رغم أن النفط كان ولا يزال الدافع الرئيسي لتلك الحرب، فإن استهداف العلماء العراقيين كان عاملاً مهمّاً أيضاً، وهو ما عبّر عنه البريغادير جنرال فينسنت بروكس من مقرّ القيادة المركزية الأميركية قبل شهرين من الحرب، عندما تحدّث عن أهمية العلماء العراقيين بالنسبة إلى الولايات المتحدة، حيث قال: «إن واشنطن لها أهداف أخرى غير الإطاحة بصدّام، على الأخص مقدرة العراق على تطوير أسلحة نووية أو كيميائية أو بيولوجية ضمن برنامج القضاء على أسلحة الدمار الشامل»، كما عبّر عن ذلك بوضوح جاك بوت رئيس بعثة الوكالة الدولية للطاقة الذرية في العراق قبل الحرب حين قال: «يجب أن نحدّد ما إذا كانت توجد قدرات نووية في العراق أم لا؟، وبالنسبة لي فإن ذلك يشمل العقول والأسلحة».

كما تحدّث العديد من الدوائر داخل أميركا عن هذا الموضوع، فقد دعا «جون بي ولفثال» عضو برنامج حظر انتشار الأسلحة النووية في مؤسّسة «كارنيغي» وهو مستشار سابق لسياسات منع الانتشار النووي في وزارة الطاقة الأميركية.. إلى استقطاب علماء العراق مذكّراً بما حدث بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، حيث تعاونت الولايات المتحدة وأوروبا واليابان على إغراء علماء الأسلحة السوفيات، لضمان عدم قيامهم ببيع خبراتهم أو أي مواد تحت تصرّفهم كسباً للرزق.

وأوضح أنه يمكن تبنّي الحل ذاته في العراق، فبدلاً من تعقّب هؤلاء العلماء والخبراء، فمن الأفضل أن يمنح غالبيتهم عفو عام مقابل تعاونهم. وكتب مارك كلايتون في صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» في أكتوبر ٢٠٠٢، محذّراً من العقول المفكّرة التي تقف وراء المخزون العراقي من الأسلحة، وقدّم لائحة بأسماء علماء العراق الذين تدرّبوا في الولايات المتحدة .

وقال: «إن هؤلاء العلماء والفنّيين أخطر من أسلحة العراق الحربية، لأنهم هم الذين ينتجون هذه الأسلحة»، ودعا المفتشين الدوليين إلى ضرورة إيجاد هؤلاء الأشخاص إلى جانب مهمّتهم في البحث عن أسلحة الدمار الشامل العراقية.

ويشير التقرير إلى أن واشنطن اتخذت العديد من الإجراءات لتحقيق هدفها في تفريغ العراق من علمائه قبل إعلان الحرب عليه، فقد أصرّت على تضمين قرار مجلس الأمن الرقم ١٤٤١ الذي صدر في العام ٢٠٠٢، فقرة تجبر العراق على السماح للمفتشين الدوليين باستجواب علمائه وفنّييه حتى لو تطلّب الأمر تسفيرهم هم وعائلاتهم خارج البلاد، لضمان الحصول على معلومات منهم عن برامج التسلّح العراقية.

كما أقرّ الكونغرس الأميركي في مطلع العام ٢٠٠٣ قانون «هجرة العلماء العراقيين» الذي ينص على منح العلماء العراقيين الذين يوافقون على تقديم معلومات «ذات مصدقيّة» بشأن برامج التسلّح العراقية تصريح إقامة دائمة في الولايات المتحدة.

وقد حصلت بعد الحرب على العراق على قوائم بأسماء هؤلاء العلماء، خصوصاً الذين ساهموا في برنامج التسلّح العراقي، من لجان التفتيش التابعة للوكالة الدولية للطاقة الذرّية التي تعاقبت زياراتها للعراق قبيل الحرب.

ويشير التقرير إلى أن الخطة الأميركية عملت على إجبار العلماء العراقيين على الاختيار بين عدّة بدائل هي:

- العمل داخل العراق شريطة التزامهم عدم تقديم خبراتهم إلى دول معيّنة تحدّدها واشنطن، وقد أعدّت الخارجية الأميركية في هذا الصدد خطة حملت اسم «مبادرة رعاية العلوم والتكنولوجيا والهندسة في العراق» فاقت ميزانيتها ٢٠ مليون دولار، من أجل توظيف العلماء العراقيين في أبحاث سلمية داخل العراق.

- إغراء هؤلاء العلماء بالعمل في الولايات المتحدة ذاتها، مع منحهم حق الإقامة فيها.

وقد أكّدت مصادر علمية رفيعة المستوى في العراق، أن ثمّة مفاوضات تدور مع الكثير منهم لنقلهم إلى مراكز بحثية غربية، كما عرض على العديد منهم السفر

إلى إسرائيل، والعمل في جامعاتها ومعاملها التي تتسم بدرجة عالية من التطوّر والتقدم التكنولوجي والعلمي، والحصول منها على درجات علمية.

وقد استجاب بعضهم بالفعل لمثل هذه الدعوات، وعلى رأس هؤلاء الدكتور كنعان مكية رئيس قسم الدراسات الشرق الأوسطية في جامعة بوسطن والمحاضر في العديد من الجامعات الأوروبية، وطاهر لبيب أستاذ علم الفيزياء النووية، ومحمود أبو صالح المتخصّص بالتكنولوجيا. أما من يرفض من العلماء العراقيين التعامل مع هذه الخيارات السابقة، فإن المصير الذي ينتظره ما زال مكتنفاً بالغموض.

ومن خلال مراجعة دراسات أخرى تعود إلى مطلع التسعينيات من القرن الفائت، يتبيّن أن المؤسسات الأمنيّة والعسكرية الأميركية كانت منذ ذلك الوقت تركّز على الخبرة التي يملكها العراقيون. وفي مقال لمارتن أنديك نشر في مجلة «الشؤون الخارجية» في العام ١٩٩٣، نقرأ: إن الاهتمام الأميركي بالعراق يرجع إلى أسباب عدّة أهمها الخبرة العراقية الكبيرة والمتراكمة في مجال التصنيع العسكري والبحث العلمي، وهناك آلاف العلماء العراقيين الذين يشكّلون بحق مصدر خطر في الشرق الأوسط لأنهم قد ينقلون خبراتهم إلى دول عربية وإسلامية.

ولم يخف الأميركيون اهتمامهم بموضوع العلماء العراقيين منذ بدء التحضير للحرب الأخيرة، إذ ركّزوا على الأسماء وطالبوا المحقّقين في لجنة الأنفوميك» بضرورة إعطاء الأولوية لاستجواب هؤلاء العلماء، وتحديد أسمائهم، الأمر الذي مهّد في مرحلة ما بعد الاحتلال لملاحقتهم، وتنفيذ خطط موضوعة سلفاً للتعامل معهم.

وفي بعض الإحصاءات غير الرسمية أن شهر مايو ٢٠٠٣ شهد مقتل ٤٥٨ عالماً وباحثاً عراقياً، وأن العدد ارتفع إلى ٧٥١ في يونيو ثم إلى ٨٧٢ في أغسطس. وقد استقرّ متوسط عدد هذه الاغتيالات على ٦٥٠ ضحيّة في الشهر، اعتباراً من أغسطس ٢٠٠٣ حتى أوائل العام ٢٠٠٤.

وتقول إحصائية صادرة عن عدد من المنظّمات غير الحكومية التي قامت بزيارة العراق بعد الحرب، أن صناعة الاغتيال التي ازدهرت بعد سقوط بغداد، حملت آلاف الأطباء والمهندسين والباحثين والجامعيين على مغادرة العراق قبل أن تشملهم لائحة التصفيات الطويلة في غياب الرادع الأمني.

وتؤكد هذه المنظّمات أن التصفيات كانت تجري في الشارع من دون إنذار مسبق، قبل أو بعد صلاة الجمعة، عندما يتأكد الجناة هويّة الشخص المراد قتله، وفي كل الحالات كانت التحقيقات تحفظ تحت عنوان أن «الفاعل مجهول».

إحصائية أخرى أعدّتها «رابطة الأساتذة الجامعيين» في بغداد تؤكّد أن ٨٠ في المئة من عمليات الاغتيال استهدفت العاملين في الجامعات، وأكثر من نصف القتلى يحملون لقب أستاذ أو أستاذ مساعد، وأكثر من نصف الاغتيالات وقعت في جامعة بغداد، ثم البصرة، ثم الموصل والجامعة المستنصرية، و٦٢ في المئة من العلماء الذين تمّت تصفيتهم يحملون شهادة دكتوراه دولة من جامعات غربية، ثلثهم مختص بالعلوم والطب، و١٧ في المئة منهم أطباء ممارسون، وقد قتل ثلاثة أرباع الذين تعرّضوا لمحاولات اغتيال والربع الذي نجا فرّ إلى الخارج.

وتبقى شهادة ذات دلالة خاصة وردت على لسان العالم العراقي الدكتور نور الدين الربيعي الأمين العام لاتحاد المجالس النوعية للأبحاث العلمية، رئيس أكاديمية البحث وأحد أبرز العلماء العراقيين في مجال التكنولوجيا النووية.

يقول الربيعي: إن التقدّم التقني للعراق كان أحد أسباب الحرب، وقد سبق لمادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأميركية أن صرّحت «ماذا نستطيع أن نفعل مع العراق غير تدمير عقوله التي لا تستطيع القنابل الذرية أن تدمّرها، فتدمير العقول العراقية أهم من ضرب القنابل».

يضيف الربيعي: لقد تحقّق الوعيد الذي أطلقه جيمس بيكر في وجه طارق عزيز وهما مجتمعان في جنيف في العام ١٩٩٩، إذ قال: إذا لم تتعاونوا معنا فسوف

نعيدكم إلى عصور ما قبل الوسطى». ويستطرد: «إن اغتيال علماء العراق جزء من استراتيجية الفوضى المنظّمة التي اعتمدها الاحتلال لتطويع العراقيين وإخضاعهم، وعلى أساسها تمّت استباحة قصور الدولة ومنشآتها الحكومية ومصارفها وجامعاتها ومصانعها ومراكزها الهندسية العسكرية ومتاحفها ومكتباتها إلى جانب كنوزها التراثية».

ويبقى السؤال مطروحاً: لماذا التغطية على المجزرة التي استهدفت علماء العراق، ولماذا لا يتم نشر محاضر التحقيق كاملة مع الموقوفين المتّهمين، أو عناوينهم العريضة على الأقل؟

واضح تماماً أن التحقيقات التي تمّت كشفت بالأدلّة القاطعة هويّة الفاعلين والجهات التي تقف وراءهم، لأن أحكاماً قضائية صدرت في حقهم تتراوح بين الإعدام والسجن المؤبّد، فلماذا تتلكأ السلطات العراقية في الجهر بالحقيقة من أجل حماية من بقي حيّاً في المجتمع الأكاديمي العراقي؟

و هكذا لا يزال السؤال : لمصلحة مَن يستهدف علماء العراق قتلا وخطفا وتهجيرا؟ الظاهرة بدأت مع احتلال العراق واتسعت دائرة ضحاياها مع ازدياد موجة العنف وتدهور الوضع الأمني لتشمل العلماء والأطباء وأساتذة الجامعات والطيارين هذا القتل الممنهج لم يستهدف ذوي الاختصاصات العلمية فحسب أو تلك الأسماء التي لها علاقة بما كان يُعرف ببرنامج التسلح العراقي بل امتد إلى أساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، فداحة الثمن الذي يدفعه العراق وحده دفع جهات عدة إلى دق ناقوس الخطر والتنبيه إلى أن مشروعا تقف وراءه جهات مجهولة لها أطماع في العراق تريد إفراغه من كل كفاءة علمية إن لم يكن بالقتل والاختطاف فبدفع مَن تبقى منهم إلى مغادرة البلاد طلبا للسلامة ليِلتحق المحظوظون منهم بمراكز علمية في الخارج أو بجامعات أجنبية، من باريس أُعلن عن تأسيس اللجنة الدولية لحماية أساتذة الجامعات العراقية وقد أطلقت اللجنة نداءات لدول الاتحاد

الأوروبـي وللمنظمات والحكومات العربية من أجل الضغط على الأمم المتحدة لتوفير الحماية الخاصة لمن تبقى من ثروات العراق العلمية، اللجنة نشرت تقريرها الأول واستعرضت فيه قائمة بأسماء الأساتذة العراقيين الذين تم اغتيالهم خلال الثلاث سنوات الماضية القائمة تحوي أسماء قرابة المئتين من أبرز الكفاءات النووية والفيزيائية والطبية والبيولوجية وتخصصات أخرى فريدة كما تم اختطاف نحو مئة وستين أكاديميا ودفع نزيف الهجرة أكثر من ألفين وخمسمائة أستاذ جامعي إلى مغادرة العراق ونقل التقرير عن جهات عراقية مسؤولة تأكيدها اغتيال أكثر من مئة وخمسين طبيبا وهجرة قرابة الثلاثة آلاف، حرمان العراق من كوادره ونخبته النيّرة التي كان العراقيون يفاخرون بها يبدو مشروعا سريا ينفذ بإحكام ودونما طائفية هذه المرة فاغتيال العقل العراقي لا يستثني مذهبا أو طائفة أو حزبا، مفارقة قد تفسر وضعا يكاد الجميع يحترفون فيه السياسة دون أن يهتم أحد بهموم العلماء.

و يقول الدكتور قيس العزاوي رئيس اللجنة الدولية لحماية علماء العراق التي تم تشكيلها مؤخراً :كان ينبغي أن نلجأ إلى تأسيس هذه اللجنة في وقت مبكر ولكن من المؤسف المشاكل في العراق كثيرة .. لقد وجدنا أن هناك كارثة كبرى وهي اغتيال أبرز العلماء وأساتذة الجامعات فلجأنا إلى تأسيس اللجنة الدولية لحماية العلماء العراقيين والاستغاثة بالرأي العام العربي والدولي لحماية ما تبقى من الثروة العلمية العراقية.

و يقول : طلبنا من الحكومة العراقية أن تحمي هؤلاء الأساتذة أمنيا مثلما هي تحمي نواب البرلمان ٢٧٥ نائبا برلمانيا يكلفون الدولة ٢٧ مليون دولار شهريا لكل نائب حوالي ١٠ حراس عليها أن تضع على الأقل حارسين مسلحين لكل أستاذ جامعي أنا أعتقد أن حماية الثروة العلمية العراقية أفضل وأكثر إلحاحا في الوقت الحالي لأن هناك قتل مبرمج يتم .

و يضيف : نحن نطلب من القوات المتعددة الجنسية التي تدّعي دولها أنها دول ديمقراطية أن تقوم بواجبها وقد توجهنا إلى الأمم المتحدة والمجموعة الدولية

ودول الاتحاد الأوروبي والجامعات ونعرض في الوقت نفسه على الحكومة العراقية لأن الحكومة العراقية عليها مسؤولية ومسؤولية كبيرة عليها أن تحمي هؤلاء .. نحن نطالبها نعلم أنها لا تستطيع أن تحمي أفرادها ولكنها تحمي مع ذلك يعني نسبة الاغتيالات في صفوف نواب البرلمان أو الوزراء أو المدراء العامون أقل بكثير من نسبة الاغتيالات في صفوف الأساتذة الجامعيين أنا اتصلت بأساتذة جامعيين في بغداد يقولون ترخيص بحمل مسدس غير مصرح لنا فكيف يمكن أن نهرب من مكان إلى مكان حتى نذهب إلى الجامعة؟ أنا أعتقد أن الضغط العربي والضغط العراقي على الحكومة العراقية قد يؤدي إلى نتائج وما علينا إلا أن نطالب بذلك وبإلحاح.

أما جون بول شارنييه الخبير الاستراتيجي الدولي فيقول : أنا أعتقد أولا لابد أن أوضح بأنني أشعر بحزن كبير من سماع هذه حالات الاغتيال والقتل الكبيرة التي تحصل في العراق وأرى فيها أن هناك هزيمتين أو فيها إذ هناك هجومان أحدهما هجوم على العقول والأفكار لبلد يمثله أساتذة الجامعة ولكن أساتذة الجامعة في العالم كله يشكلون نوعا من الرابطة أو مجتمع دولي يتجاوز الحدود والقوميات لذلك ما أراه في الجامعات الأجنبية إنه عندما أصل إلى أي جامعة كما حصل عندما توجهت إلى المستنصرية في بغداد وجامعة البصرة هناك لم أحس نفسي إطلاقا بأنني غريب وأجنبي هناك إذاً علاقة أو رابط دولي بين أساتذة الجامعة والعلماء وهذا ما قد يؤثر على العراق بشكل سلبي في العقود القادمة لماذا؟

أعرف أني لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال ولكن في نهاية المطاف لدينا في التاريخ الحديث بعض الأمثلة والحالات التي نجد فيها أن الأوساط الجامعية وبشكل أوسع الأوساط الثقافية تكون تتعرض لمثل هذه الهجمات كان هناك الخمير الحمر في فيتنام وكذلك في ألمانيا النازية وكذلك أثناء الحكم السوفيتي في الاتحاد السوفيتي كل هؤلاء كانوا يهاجمون الجامعيين والمثقفين إذاً فإن هذا وسط دولي تجاوز القوميات نجد فيه أن هؤلاء الذين يعيشون في العراق يتعرضون للخطر.

إن الحديث عن الجامعات تعني الجميع هنالك شيء عالمي فيها يتجاوز الحدود وبالتالي سيكون من الصعب جدا الاستمرار في حوار بعدة أصوات مع العراق في مثل هذه الظروف الحالية، من ناحية أخرى فإن الأستاذ الجامعي يجب أن يتولى مهمة وهنا أود أن نقول إنه يكون لديه مهمة علمية ولكن أيضا مهمة الرقيب والمراقب الانتقادي لما يجري في بلاده.

رابطة الأساتذة الجامعيين حاولت رسم مشهد تصفية الأساتذة الجامعيين، فأشارت في لائحة وُزِّعت على نحو واسع أخيراً، إلى قتل أكثر من (٥٠٠) شخصية علمية وتهجير نحو (١٧) ألف أكاديمي وتدريسي عراقي، منذ سقوط النظام السابق، وإلى تصاعد (مسلسل ملاحقة العقول العلمية العراقية الذي يهدف إلى إفراغ العراق من عقوله وذخيرته الثقافية والفكرية والتربوية، أو إجبارها عن طريق التهديد والتخويف على مغادرة البلاد).

جامعة بغداد حصدت المرتبة الأولى من جهة ارتفاع حوادث الاغتيال، تليها جامعة البصرة، ثم المستنصرية والأنبار والموصل وتكريت، وبعد ذلك هيئة التعليم التقني، فالجامعة التكنولوجية والقادسية ومركز وزارة التعليم العالي، ثم مركز بحوث السرطان. وباتت الجامعات العراقية - التي تضم نحو ثلاثة عشر ألف أستاذ، وكانت تُعدّ في سبعينيات القرن الماضي من أفضل الجامعات العربية - على شفا الكارثة مع قتل الأساتذة أو خطفهم، وهجرة نحو ألف آخرين. وكان أول من تم اغتياله من علماء العراق هو الدكتور محمد الراوي رئيس جامعة بغداد ونقيب الأطباء، الذي اغتيل بعد الغزو بأيام قليلة، وآخرهم - وربما ليس آخرهم - نهاد الراوي نائب رئيس جامعة بغداد الذي اغتيل عند باب جامعة بغداد.

إن عملية تصفية الأكاديميين العراقيين الهادفة إلى إنهاء الجو الأكاديمي واستنزاف العقول الفاعلة وترويع الناس وقتل المبادرات؛ مستمرة بلا انقطاع. فلا يكاد يمر أسبوع منذ احتلال العراق وحتى الآن بدون أن نقرأ خبر اغتيال

أو محاولة اغتيال أحد الأساتذة أو العلماء أو الاختصاصيين، حتى تجاوزت فضيحة الاغتيالات حدود الاختصاص الواحد أو المصادفة. وخلافاً لتصريحات مسؤولي الاحتلال من عراقيين وقوات أجنبية فإن اغتيال الأكاديميين عمل منظَّم يستهدف أشخاصاً معينين دون غيرهم، ووفق تخطيط مرسوم لا علاقة له بحوادث الاختطاف المستهدفة لبقية أبناء الشعب طلباً للفدية، أي: أن منفذي عمليات الإعدام الفوري للعلماء والأساتذة والاختصاصيين هم ليسوا من رجال العصابات العادية وقطاع الطرق والمافيات المنتشرة حالياً، إذ تدل آلية تنفيذ الاغتيالات ـ المباشرة والفورية ـ على أنها عمليات لا تهدف إلى الاختطاف طلباً للمال لتحرير الرهائن، بل إلى ما هو أعمق وأهم، وهو تحطيم البنية الفكرية للمجتمع العراقي.

ومن بين الأعمال الإجرامية التي يتعرض لها المدرسون والمعلمون في العراق اليوم وقوعهم ضحية لعصابات الاختطاف، وأول من تم اختطافه كان عميد جامعة الأنبار في الرمادي على يد مسلحين طالبوا بفدية قدرها ٦٠ ألف دولار للإفراج عنه. وكان الحديثي أول أستاذ جامعي يخطف من داخل حرم الجامعة. وفي «جامعة صدام» التي تعرف حالياً بـ «جامعة النهرين» اضطر د. سعدون عيسى عالم الكيمياء إلى دفع فدية قدرها ٥٠ ألف دولار إلى خاطفي نجله البالغ الثانية والعشرين. ولم يقف الخاطفون عند هذا الحد، بل سلموا نجله رسالة تطلب من الأستاذ الجامعي مغادرة البلاد. كما اختطف مجهولون الدكتور سمير يلدا ـ معاون عميد كلية الإدارة والاقتصاد في الجامعة ـ من أمام بوابة الجامعة من دون معرفة أسباب الاختطاف ولا دوافع الخاطفين، وقد وجدت جثته ملقاة في أحد الشوارع.

و يرى أستاذ للقانون في جامعة بغداد، خشي الكشف عن هويته أن (مسؤولية التحقيق في جرائم اغتيال الأكاديميين والعلماء العراقيين تقع على عاتق الأجهزة الأمنية والقضائية)، مشدداً على أن (هذه العمليات لا علاقة لها بالثأر أو الانتقام الفردي، بل تندرج ضمن الجريمة المنظمة التي تمول من الجهات المستفيدة منها،

ولو ألقت السلطات الأمنية القبض على القتلة المأجورين فإنها ستتمكن - من ثم - من معرفة الرؤوس المخططة للمشروع الشيطاني الذي يستهدف العقل العراقي).

وقال إن (معظم هذه الجرائم تظل بلا متابعات أمنية أو قانونية، والمطلوب من الحكومة العراقية الجديدة أن تضع أمن العلماء في أولوياتها؛ من خلال حماية العلماء أنفسهم، ونشر قوات الأمن في المراكز العلمية وفي تجمعات الأساتذة، مما يضيق الخناق على منفذي الجرائم).

وترى وزارة التعليم العالي أنه (من غير الممكن توفير الحماية لجميع أساتذة العراق؛ لأنهم بالآلاف)، لكنها خيّرت الأساتذة في قرار لها منذ فترة بين القبول بعناصر حماية تعيّنها لهم أو عناصر يقومون هم باختيارهم.

غير أن أحد أكثر قراراتها إثارة للجدل كان القرار الصادر حين اعتبرت إرسال الاختصاصيين العراقيين في مجالات طبية وعلمية نادرة في دورات بحث خارج البلاد (وسيلة لحمايتهم من التصفية والاغتيال).

وحيال «عجز» حكومي عن حماية الأساتذة، عملت «رابطة التدريسيين الجامعيين» على إشراك المؤسسات الأكاديمية الرسمية في «مهمة إنقاذ» الأساتذة والعلماء، فنظمت مؤتمر «الحريات الأكاديمية في الجامعات العراقية»، وأكد الجامعيون في مؤتمرهم على ما يلي:

× توفير المناخ الحر للأساتذة للكتابة والحديث عن الحقيقة كما يرونها بلا قيود، وبخاصة قيد إنهاء الخدمة أو الوظيفة من الإدارة العليا في الجامعة، أو من جانب السلطة السياسية في البلاد، بالإضافة إلى حق الأستاذ في توفير الحماية له من الضغوط، داخل الجامعة أو خارجها، حينما يمارس حقه في الإفصاح عن الآراء والحقائق التي يتوصل إليها في بحثه.

* العمل على ممارسة الجامعة دورها في شكل مستقل، وذلك من خلال السماح لها بوضع وتحديد وممارسة السياسات الخاصة بها، من دون أي تدخل أو كبح من أي جهة خارج نطاق حرمها الجامعي.

* إصدار التشريعات التي تكفل الحرية الأكاديمية في الجامعات إدارةً وعلماً وبحثاً وصيغاً تشريعية وتنظيمية ملزمة في المجالات المنهجية والإدارية.

إن عمليات تصفية الأكاديميين العراقيين التي تجري بصورة منظمة هي جانب من جوانب المأساة التي حلت بالعراق منذ الاحتلال، إذ تم ـ استناداً إلى أكثر المصادر تحفظاً ـ اغتيال ما يزيد على ٥٠٠ أكاديمي، كما أن هناك المئات من المفقودين وآلاف الهاربين إلى خارج العراق؛ حفاظاً على حياتهم.

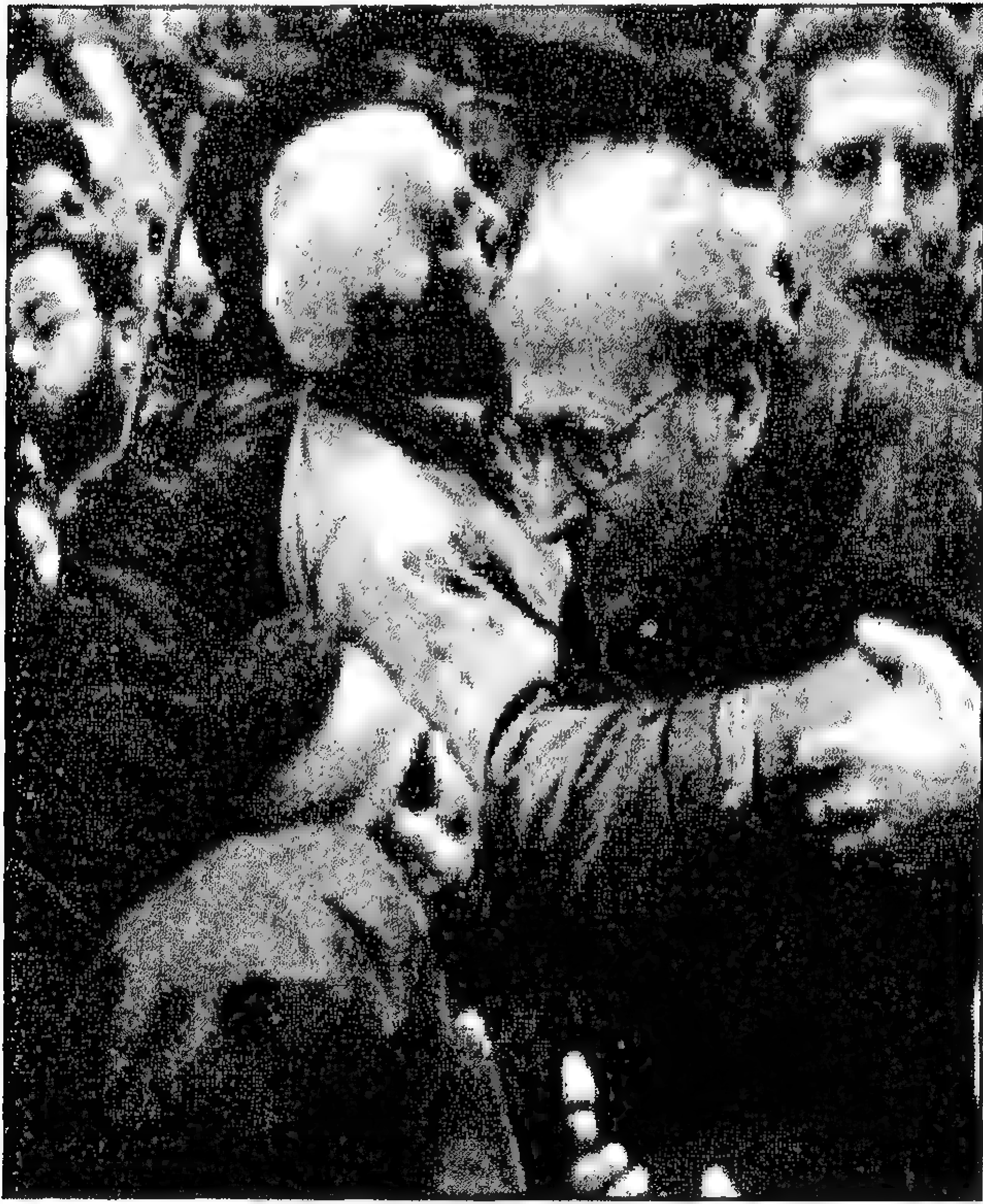
يدل هذا الوضع المأساوي على أن العراق لا يمر بعملية منظمة لإفراغه من العقول وأصحاب الكفاءات فحسب، وإنما يدل كذلك على أن الطبقة المتوسطة المتعلمة المدنية التي ترفض التعاون مع الاحتلال تتعرض لعملية تصفية كاملة، مما سيؤدي بالضرورة إلى تهديد مستقبل العراق.

إن حملة الاغتيالات هذه تستهدف الجميع؛ نساءً ورجالاً، وليس طائفة أو حزباً بعينه، وفي كل أنحاء العراق. وهي لا تستهدف اختصاصات علمية أكاديمية محددة، بل تستهدف كذلك أساتذة الجغرافيا والتاريخ والأدب بالإضافة إلى العلوم. وعلى الرغم من كل هذه الاغتيالات لم يتم اعتقال أي فرد له علاقة بها.

إن الحل الوحيد الذي يوفر للعراقيين الاستقلال والحرية والعدالة وصيانة ثرواتهم البشرية ووضع حدٍّ لإرهاب الاحتلال وميليشيات التكفيريين الجدد؛ هو إخراج قوات الاحتلال الأنجلو – أمريكية من العراق وبأسرع وقت؛ فما دامت قوات الاحتلال باقية تتمتع بالحصانة القانونية التي توفر لها الحماية الكاملة عند ارتكابها الانتهاكات والجرائم وبضمنها جرائم قتل أبناء العراق ـ ومنهم الكثير من الأساتذة والأكاديميين والعلماء ـ فإنها ستبقى صاحبة القرار الحقيقي في بلاد الرافدين، وهي الآمرة الناهية، مهما ادّعى سياسيو وعملاء الاحتلال غير ذلك. وسيبقى الكلام عن (نشر الديمقراطية) و(تحويل العراق إلى أنموذج ديمقراطي مشع في المنطقة)، و(تحرير العراق من أجل الدفاع عن حقوق الإنسان)؛ محض سفسطة وكذب وهراء.

٢٠- سر الجثث الممزقة ..

في مذبحة حى الزيتون !!



●●ولم يعرف أحد السر الغامض وراء هذه المذبحة المروعة، التي صدمت الجميع !!

في شهريونيو من العام ٢٠٠١، تلقى قسم شرطة الزيتون بقلب القاهرة بلاغا من سكان شارع الأطبع بالعثور على جزء من جسم انسان.. فانتقلت الشرطة.. ويتأكد البلاغ.. جذع امرأة ملقي في حقيبة في أحد أركان الشارع.. هذا الجسد الذي كان ينبض بالحياة منذ وقت قصير.. هو الأن.. ينتظر بفارغ الصبر أن يواري التراب.. من فعل ذلك..؟ وقبل معرفة الإجابة.. من صاحب هذا الجسد..؟ معاينة طبيب الصحة، اكد أن الجزء المعثور عليه هو جذع سيدة تقترب من العقد الرابع من العمر.. بيضاء اللون.. ولم يجد الضباط أمامهم في ملف هذه القضية سوي عدة ورقات، كلها لا تحمل شيئا مفيدا.. في أعمال البحث والتحري ليس لمعرفة القاتل بل لتحديد شخصية القتيلة.. وبعد فترة وجيزة.. يتلقي قسم شرطة القاهرة بلاغا بالعثور على قدم آدمية وأجزاء أخري بالقرب من أحد صناديق القمامة. .. وتتواصل عمليات البحث.. ولكن بعد أن أكد الطب الشرعي أن القدم والأجزاء التي تم العثور عليها في منطقة الضاهر هي لنفس السيدة التي تم العثور على أجزاء من جسدها في الزيتون..والسؤال الذي واجه، رجال الشرطة.. وظل دون إجابة رغم مرور وقت طويل.. من هي صاحبة الجثة الممزقة.. هذه.. جهود فريق البحث.. فشلت في التوصل إلى إجابة.. رغم حصر بلاغات الغياب، في القاهرة والمحافظات المحيطة بها.. لكن دون جدوى.. ويفقد رجال المباحث الأمل حتى في مجرد التعرف على صاحبة الجثة.. لا أحد يتقدم بإبلاغ عن غائبة بنفس المواصفات أو قريبة من السن الذي حدده الطب الشرعي ومفتش الصحة.

وبعد مرور الأسابيع والأشهر.. وفريق البحث عاجز عن تحديد شخصية القتيلة.. تأتي مفاجأة بلاغ لقسم شرطة شبرا الخيمة بالقليوبية بغياب امرأة سيئة السمعة في وقت معاصر للعثور على أجزاء جسد المرأة المجهولة.. المتغيبة، تحمل مواصفات

قريبة الشبه بأجزاء الجثة.. التي تم العثور عليها في الزيتون والظاهر.. المعلومات تؤكد أن السيدة المتغيبة، خرجت من السجن قبل الغياب بوقت قصير بعد الحكم عليها في قضية آداب.. أمضت عدة أشهر في السجن.. معلومات أخرى من منطقة شبرا الخيمة تؤكد أن السيدة المتغيبة، غادرت منزلها واستوقفت سيارة نصف نقل بيضاء اللون تحمل في صندوقها الخلفي قطع أثاث منزلي.. ويبدو أنه خاص بإحدى الأسر التي انتقلت من مكان إلى آخر.. الشهود أكدوا أن هذه السيدة ركبت السيارة نصف نقل البيضاء، وجلست بجوار السائق.. وغابت عن الأعين في المنطقة.. وربما غابت عن الدنيا.. هذا هو الاشتباه الوحيد في صاحبة الجثة.. لكن لا شيء جديد.. أقاويل أخرى ترددت أن سيدة شبرا الخيمة، ربما سافرت إلى الخارج.. ربما تقيم لدي أحد أصدقائها أو صديقاتها في القاهرة.. كل المتاح، فقط أن هذه السيدة غادرت منزلها وهي ترتدي ملابس سوداء وتتحلى بالأساور الذهبية..!! .. لكن لا أحد استطاع التوصل إلى السيارة وقائدها.. ربما هو القاتل..! أيضا لا إجابة حتي الآن..!

بعدها.. أشارة إلى قسم شرطة النزهة، بالعثور على جثة فتاة ممزقة وموضوعه في أجولة من تلك التي تستخدم لتعبئة الدقيق.. ولكن أجزاء الجثة جميعها في مكان واحد.. أحد الأجولة به الساقان والأخر به الجذع للوهلة الأولي، كان هناك من يربط بين جثة الزيتون وتلك الجثة.. ولكن، بعد المعاينة تبين أن هناك اختلافا كبيرا في تمزيق الجثة.. وهو ما يعني اختلاف الأسلوب.. القاتل في قضية النزهة.. شوه معالم الوجه تماما الفتاة المعثور عليها هي آنسه ولم يسبق لها الزواج.. وللوهلة الأولي استبعد رجال البحث ان يكون دافع القتل هو السرقة لأن الجثة الممزقة عثر معها على سلسلة ذهبية وخاتم.. واتجه فريق البحث إلى السؤال الأهم.. والتكرار.. من تكون القتيلة.. لا أحد يدري حتي الآن.. رغم متابعة بلاغات الغياب في جميع أقسام الشرطة عن طريق قطاع الأمن العام.. ولكن المواصفات لم تنطبق مع جثة القتيلة الممزقة. .. اختلاف جوهري آخر.. بين حادث الزيتون والنزهة.. الجثة الأولي..

ممزقة باستخدام منشار أو أداة للتقطيع.. لكن في الجثة الثانية.. تم اقتلاع الساقين.. سوي نزع المفاصل. القاتل في هذه القضية فرق الجثة من أجل أن يسهل وضعها في أجولة، لإخفاء أجزائها.. وقصد ترك أجزائها في أماكن متفرقة.. التشابه الوحيد بين الحادثين.. هو فشل رجال المباحث في التوصل لشخصية القتيلة.. لا يوجد بلاغ غياب لفتاة في نفس السن.. وهو ما جعل رجال المباحث يتجهون إلى احتمال أن يكون القتل قد تم بأيد عائلية.. ولم تتقدم الأسرة ببلاغ عن غياب الفتاة..! فريق البحث التابع لمباحث القاهرة، أصابه اليأس من امكان التوصل إلى شخصية الفتاة.. فقط عليهم الانتظار لوصول معلومة واحدة مهمة في تحديد شخصية الفتاة.. وغالبا.. سيتم حل لغز القضية بعد التعرف عليها مباشرة.. خاصة أن الاحتمال الأقوى أن القاتل من أسرة الفتاة.

أسبوعان بعد بلاغ النزهة. ويتلقي قسم الوايلي بلاغا العثور على حقيبة سفر.. سوداء اللون بجوار سور كلية الهندسة بميدان عبده باشا.. ويهرع رجال الشرطة إلى هناك.. وبفتح الحقيبة.. تبين أن بها أجزاء من جسد آدمي، متقطعة باستخدام منشار.. وبعد عدة ساعات.. يتم العثور في مدخل إحدى العمارات على عدة أكياس بلاستيك وبها باقي الأجزاء.. ولكن كانت هناك غدة ملاحظات في هذه المرة. أن الأكياس المعثور عليها، كانت باردة جدا وهو مارجع احتمال ان تكون تلك الاكياس موضوعة في ثلاجة لعدة أيام. ويتم تشكيل فريق بحث آخر.. لفك غموض الحادث.. ولكن القاتل يبدو كسفاح محترف.. يعرف إجراءات البحث جيدا.. فحتي الآن لم يتم العثور على رأس القتيلة.. المؤشرات والمعاينة، تقول إن الجثة لفتاة متسخة الملامح.. يبدو أنها من فتيات الشوارع، تقرير الطبيب الشرعي المبدئي قال إن صاحبة الجثة ليست آنسة، ولكنها لم تتعرض للاغتصاب. ملحوظة أخري، أظهرتها المعاينة وهو أن القاتل استخدم منشارا. وببرود شديد قام بتقطيع الجثة إلى عدة أجزاء.. قام بالتقطيع أسفل الركبتين وأسفل الفخذين وقسم الجذع إلى قطعتين، وحتي الآن مازال الرأس.. مختفيا.. يواجه تحديا خطيرا.. وهو سرعة التوصل إلى شخصية

القتيلة المنزوعة الرأس.. ربما استطاع القبض على القاتل.. ويبذل الفريق جهودا كبيرة.. حتي الحقيبة التي عثر بها على الجثة.. توجه الضباط إلى المصنع الذي أنتجها ربما استطاعوا التوصل لصاحبها.. جهود بحث مستمرة.. ولكن حتى الآن المهمة صفر..! أحد أعضاء فريق البحث.. قال ان ثقافة المجرم زادت في الفترة الأخيرة.. بسبب أحد البرامج التليفزيونية التي تؤثر في الأميين الذين يخرج من بينهم بنسبة كبيرة من المجرمين.. وفي هذا البرنامج يتحدث الضابط بالتفصيل عن الأساليب الفنية للكشف عن الجريمة.. وهو ما يستفيد منه القتلة. .. ولكن.. هل تتوقف جهود البحث في القضايا الثلاث.. اعتمادا على القيد ضد مجهول واستنادا إلى قضايا أخرى تم الكشف عن القاتل سريعا..!

البعض ردد وجود سفاح هو قاتل الجثث الثلاث.. هذه الأقاويل.. لم يرددها رجل فريق الشارع العادي فقط.. إنه احتمال تم طرحه للبحث بين ضباط فريق البحث. ولكن.. ظروف الحوادث الثلاث لا تتشابه جميعا. حسب ما قاله أحد أعضاء فريق البحث.. ولكنه عاد يقول.. إن يحتمل بوجود تشابه بين حادث الزيتون وحادث الأزبكية والوايلي.. فالجثتان تم تمزيقهما بأسلوب متشابه.. وأيضا أسلوب الوقت مبكرا للاجابة على هذا السؤال.. هل يوجد سفاح؟! ارتكب جريمتين على الأقل.. مسئولو الأمن العام.. اعدوا تقريرا للرد على هذا السؤال، والقفز فوق النتائج بل إن هذا التقرير يجزم بعدم وجود سفاح... ربما لتهدئة الشارع أو لأنها الحقيقة.

الطب الشرعي جهاز له دور كبير في فك رموز أي قضية غامضة.. تقارير رجاله تقطع برجال الأمن شوطا كبيرا في الوصول إلى الجاني.. بعد أن تفند هذه التقارير الحادث.. وأسلوب الجريمة.. وساعة ارتكابها.. كل شيء يرتكبه الجاني تكشفه تقارير الطب الشرعي! وبالنسبة لجرائم القتل التي يقطع فيها القاتل جثة القتيل فالدور الأكبر هناك أيضا للطب الشرعي.. الذي يربط جميع حلقات القضية.. ويساعد المباحث في تحديد شخصية الجثة.. وأبرز أوصافها! الدكتور فخري صالح هو وكيل أول وزارة العدل ومدير مصلحة الطب الشرعي.. خيوط جميع القضايا

البارزة تمتد إليه ليحسمها بتقاريره.. تحدث معنا عن أسلوب الطب الشرعي في البحث في القضايا الغامضة.. وخاصة جرائم الجثث الممزقة. يقول د. فخري صالح:.. دورنا في هذه الجرائم يبدأ منذ اللحظة الأولي لإكتشاف الجثة الممزقة.. ونبدأ بالكشف عن الأشلاء إذا كانت الجثة واحدة.. أو أكثر أو في مكان واحد.. او عدة أماكن.. بحيث نجري استعراضا.. وكشفا دقيقا لكل جزء من الجثة على حدة.. القدم.. وحدها.. والساق.. والأصابع.. بحيث نكشف هل الأجزاء لإنسان أو حيوان! ولا تتعجبوا في إحدي القضايا عثرنا على بقايا جسد آدمي.. وفي مواصلة جمعنا اكتشفنا أن هناك أجزاء عثرنا عليها تخص حيوانات.. فقمنا باستبعادها طبعا من البحث! أولى الخطوات هي تحديد هل الأجزاء البشرية المعثور عليها لذكر أو أنثى.. وذلك يتم تحديد عمره بدقة.. والأجزاء التي تم بها جراحات داخل جسده.. وأماكن التحام العظام! من المهم جدا تحديد طول جثة القتيل لأن هذا يسهل التعرف عليه! الخطوة الأخرى هي ملاءمة أجزاء الجثة معا.. وتحديد تاريخ الوفاه لكل جزء.. ونبحث عن سبب الوفاة لكل جزء! يكمل د. فخري صالح:

إذا تمكنا من التوصل لمعلومات كاملة عن القتيل لسبب السرقة.. وأسباب الوفاة نوقف البحث.. اما إذا لم نتوصل إلى نتيجة فتواصل الأبحاث ونعيد النظر في الأجزاء المبتورة ونجيب عن سؤال هل الإصابات التي بها حدثت بعد الوفاه أو قبلها.. فمن الممكن أن تقوم الحيوانات بنهش اجزاء الجثة بعد موتها! ولكن لا ننكر أننا في كثير من الأحيان لا نتمكن من تحديد أسباب الوفاة.. أو شخصية المتوفىً.. ولكن بحث رجال الشرطة لا يتوقف في جميع الأحوال.. وعجزنا عن تحديد أسباب الوفاة لا يعني عدم كفاءة رجال الطب الشرعي.. أو عجز الأجهزة التي نستخدمها! يوجد بمصلحة الطب الشرعي أحدث الأجهزة.. وتكملها الخبرة الأساسية للأطباء الشرعيين.. والأخصائيين بالمعامل..

نعم نستخدم تحاليل D.H.A أو البصمة الجينية للمساعدة في تحديد شخصية المتوفىً.. فهذه التحاليل تحدد خصائص وراثية المتوفى.. ولكن هذه التحاليل تكون

بلا جدوي إذا لم يكن هناك عدة احتمالات.. وشكوك في بعض الأشخاص المتوفين.. وتؤكد البصمة الجينية أو تنفي شخصية القتيل! يضيف د. فخري: قضايا الجثث الممزقة هي أصعب الجرائم التي تواجه أجهزة البحث.. وذلك لأن من الضروري أن تجمع معظم أجزاء الجثة لتحديد سبب الوفاة وشخصية المتوفي.. ولكن بعض القتلة يوزعون أجزاء الجثة على بعض المحافظات وهنا يتعاظم دور التعاون بين أجهزة الأمن لكشف غموض الحادث! من أشهر هذه القضايا التي كشفنا غموضها هي قضية سميحة الزوجة التي قتلت زوجها بالسويس ومزقت جثته وألقتها بالشوارع بعد أن وزعتها على أكياس.. تمكنا من تحديد شخصية القتيل وساعدنا المباحث على الوصول للجاني! في هذه النوعية من الجرائم نخطر أجهزة البحث بما يتوافر لدينا من معلومات خطوة خطوة! عاصرت طوال حياتي حوالي ١٥٠ قضية بهذا الأسلوب تمكنا من كشف غموض ٩٠ ٪ منها على الأقل. فلا يوجد جهاز أمني في العالم يكشف جرائم بنسبة ١٠٠ ٪ .. وكانت إحدى محافظات الوجه البحري مشهور عنها القتل وقطع الرأس وإخفائه.. وهذا الأسلوب يصعب المهمة على رجال المباحث لأنهم لا يستطيعون الحصول على التصور الكامل للجريمة! يستطرد د. فخري صالح: تطورت كثيرا أساليب البحث عندنا.. فالآن من الممكن وضع تصور لشكل القتيل حتي إذا عثرنا على الجمجمة فقط وذلك باستخدام الكمبيوتر!.. ومن الممكن أن نصل إلى شخصية القتيل حتي لو وصلنا إلى بعض العظام.. فهناك علامات مميزة نلاحظها في الهياكل العظمية.. أو بقايا الجثث.. منها وجود آثار لعمليات جراحية في الكلي.. أو الكبد.. أو العظام.. كل هذه علامات مميزة تسهل التوصل لشخصية القتيل! .. ورجال الطب الشرعي يشبهون اللاعبين بلعبة الميكانو.. يحاولون التوفيق بين أجزاء الجثة!

يرأس الفريق طبيب شرعي.. وأخصائي معمل طبي.. وأخصائي معمل كيماوي.. يجمعون تقاريرهم معا بهدف الوصول لنتيجة دقيقة!

هناك أكثر من دافع للجناة.. منها الانتقام.. أو الرغبة في العنف.. أو محاولة إخفاء آثار الجريمة.. أو يكون الجاني مريضا نفسيا.. فبعض الناس يمزقون جثث معارفهم بعد وفاتهم بأسباب طبيعية! في النهاية نؤكد أن القاتل الذي يقطع جثة القتيل ويخفيها يصعب المهمة كثيرا على أجهزة الأمن.. ولكننا سنصل إليه آجلا أم عاجلا!

٢١- لغز وفاة العالم النووي المصري شكر بالإسكندرية !!



●● المصير الغامض والقتل كان دائما مصير الكثيرين من علماء الفيزياء النووية العرب أمثال يحيى المشد وسميرة موسى ومصطفى مشرفة وأحمد الجمال وقد اتجهت أصابع الاتهام إلى الموساد باغتيالهم.

في يوم ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٧ تناقلت وكالات الأنباء نبأ العثور على جثة عالم نووى مصري بشقته بالإسكندرية

وكشف مصدر قضائي مصري عن تحقيقات تجرى في نيابة الإسكندرية الكلية تحت إشراف النائب العام المصري في لغز العثور على جثة هذا العالم الذي وجدت جثته متحللة داخل مسكنه في منطقة سان استيفانو.

وأشارت التحقيقات إلى أن العالم يدعى عبده شكر، حاصل على ثلاث درجات في دكتوراه الهندسة النووية، وقد حضر إلى البلاد قبل شهر، لكنه اختفى عقب زيارته بوقت قليل ولم يظهر له أثر حتى قام جيرانه بالإبلاغ عن وجود رائحة كريهة تنبعث من داخل مسكنه.

وقامت أجهزة الشرطة بفتح المسكن وعثرت على جثة العالم متحللة نظرا لمرور شهرين على الوفاة، وبدأت التحريات حول إذا ما كانت الوفاة طبيعية أم لا.

ورغم أن اسم الدكتور عبده شكر غير متداول في الأوساط العلمية المصرية أو المؤتمرات الدولية، إلا أن هناك عددا كبيرا من العلماء المصريين في الولايات المتحدة، وأوروبا غير معروفين في الأوساط الإعلامية أو البحثية نظرا لظروف السرية التي تحيط بأنشطتهم.

وقد صرح الدكتور عصمت زين الدين مؤسس قسم الطبيعة النووية بكلية الهندسة - جامعة الإسكندرية بأن الراحل كانت حياته غامضة وغير معروف بين زملائه حيث لم يكن يعمل في مؤسسة علمية معروفة وقد تخرج في السبعينيات وسافر إلى الخارج.

والمصير الغامض والقتل كان دائما مصير الكثير من علماء الفيزياء النووية العرب أمثال يحيى المشد وسميرة موسى ومصطفى مشرفة وأحمد الجمال وقد اتجهت أصابع الاتهام إلى الموساد باغتيالهم.

وتقدم صبحي صالح وعباس عبدالعزيز (عضوا الكتلة البرلمانية للإخوان المسلمين) بمصر بسؤالين عاجلين إلى كل من رئيس الوزراء ووزراء الداخلية والخارجية والعدل يطالبانهم بسرعة الكشف عن الأسباب الحقيقية لوفاة باحث مصري متخصص في المجال النووي.

وكان الكشف عن العثور على جثة الباحث النووي المصري عبده شكر قد أعاد إلى الأذهان استهداف العلماء المصريين في مجال الطاقة النووية.

وشدد النائبان على ضرورة سرعة اتخاذ التدابير العاجلة للوصول إلى نتيجة يقتنع بها الشارع المصري الذي قال النائب عنه: إن "هذه الواقعة أعادت إلى أذهانه مسلسل اغتيالات علماء الذرة المصريين من أمثال: يحيى المشد وسميرة موسى وسعيد السيد بدير". كان عبده قد عاد لتوه هذا العام من الولايات المتحدة الأمريكية بعد حصوله على درجة الدكتوراه في مجال الطاقة النووية .

وتشير التحقيقات الأولية إلى أن الوفاة طبيعية، وأن أحد وكلاء النائب العام بنيابة الرمل بالإسكندرية استمع لشقيق المتوفى، وأكد أن الوفاة حدثت نتيجة أزمة قلبية، حيث إن شقيقه يعاني من مشاكل صحية متنوعة. وتساءل النائبان عن علاقة الوفاة بالمشروع المصري النووي، بقولهما "هل ما حدث للعالم النووي له علاقة بالإعلان عن المشروع النووي لمصر أم هو استمرار لمسلسل اغتيال العلماء الذي يتعرض له من الحين إلى الحين العلماء المصريون كما تسائلا عن صحة ما تردد من أن العالم النووي اشتكى من مضايقات عديدة له في الولايات المتحدة الأمريكية قبل مجيئه لمصر.

وتلقي هذه الواقعة بظلالها على اهتمام إسرائيل بالبرنامج النووي المصري، وكان النائب العام قد صرح في أبريل من نفس عام الواقعة بأن إسرائيل جندت باحثا مصريا في مجال الطاقة النووية يدعى محمد سيد صابر، وحكم عليه بالسجن ٢٥عاما في أغسطس من نفس العام .

وطبقا لأقوال صابر في تحقيقات نيابة أمن الدولة فإن اثنين من علماء الموساد طلبا منه كتابة تقارير عن العلماء النوويين المصريين، والأبحاث العلمية التي تقوم بها الجامعات المصرية في مجال الطاقة النووية.

وقد استبعدت التحريات الأمنية وتقرير الطب الشرعي في حادث وفاة عالم الذرة المصري عبده شكر وجود دوافع جنائية أو ضلوع جهة أجنبية في اغتياله، وأظهرت أن وفاته كانت طبيعية بسب إصابته بأزمة قلبية.حيث كان مريضًا بارتفاع ضغط الدم وارتفاع الكولسترول.

وأكد أشقاء الباحث المصري في التحقيقات أنه كان يعاني من حالة اكتئاب مزمنة وشرود ذهني. وأضاف أشقاؤه وهم يعملون في التجارة بمنطقة باكوس أنهم لم يزوروه منذ ١٠ أغسطس، ولم يوجهوا التهمة لأي شخص أو جهة بالوقوف وراء وفاته .

وقد أظهرت تقارير طبية وجدت بشقته، أنه كان يعاني من ارتفاع حاد في ضغط الدم وارتفاع نسبة الكولسترول والدهون. وقد أمرت النيابة بدفن الجثة.

وكان أحد أشقائه ويدعى عبد العال شكر قد توجه مساء لزيارته والاطمئنان عليه نظرًا لانقطاعه عن الاتصال بهم طوال الفترة الماضية لكنه لم يجب على نداءاتهم عليه ما اضطره إلى كسر الباب فوجد جثته متحللة في صالة الشقة.

وذكرت مصادر أمنية أن العالم المذكور كان يعمل في مجال الأبحاث النووية في الولايات المتحدة منذ ٢٠ عامًا، بعد حصوله على شهادة دكتوراه في الهندسة النووية

من إحدى الجامعات الأمريكية، قبل أن يعود إلى مصر فى، حيث كان يعاني من اضطرابات فكرية وحالة انطواء ويقيم بمفرده في شقته التي عثر على جثته بها.

وأضافت المصادر أن الباحث الراحل كان قد أرسل لإخوته منذ عدة أعوام مبلغًا من المال لشراء شقة له، وأودع مبلغ ٣٠٠ ألف جنيه في أحد البنوك عقب ذلك، وبعد عودته من الولايات المتحدة طلب من إخوته عدم زيارته إلا بناء على طلب منه.

وأشارت التحريات إلى أنه كان قليل الخروج من شقته حيث لم يكن يخرج سوى لشراء حاجياته كما كان يرفض أن يقضي له بواب العمارة التي يقطن بها مشترياته من السوق، كما كان يتردد على الجامعة الأمريكية بالقاهرة لاستكمال بعض الدراسات والأبحاث.

وقد ساعد على عدم اكتشاف وفاته طيلة شهرين عدم انبعاث رائحة جثته المتحللة، بعد أن اكتشفت المباحث أن باب الشرفة المطل على البحر وأحد النوافذ الموازية له كانا مفتوحين مما ولدا تيارا من الهواء جمل رائحة التعفن بعيدة، نظرًا لأنه كان يسكن بأحد الأدوار العليا.

كما أظهرت معاينة المعمل الجنائي عدم اختفاء أي من محتويات الشقة أو وجود أي عبث في محتوياتها أيضًا، كما لم يلاحظ الطب الشرعي وجود أي أثار على الجثة تشير إلى شبهة جنائية.

وكانت وفاة باحث الذرة المصري قد صاحبتها شائعات قوية حول اغتياله على أيدي جهات خارجية في ضوء حوادث وفاة غامضة لأكثر من عالم مصري متخصص في المجال الذري والنووي.

ومن أشهر هؤلاء الذين توفوا في ظروف غامضة سعيد السيد بدير عالم الذرة ونجل الفنان الراحل سيد بدير داخل شقته بالإسكندرية في يونيو عام ١٩٨٨ بعد عودته من ألمانيا هو وزوجته وأولاده. وأكدت زوجة بدير وقتها ضلوع المخابرات الإسرائيلية "الموساد" في اغتيال زوجها.

كما توفي علماء ذرة مصريون في فترات سابقة على هذا الحادث في ظروف مشابهة ووجهت أصابع الاتهام إلى "الموساد" وجهات استخبارية غربية بالضلوع في اغتيالهم، من بينهم الدكتور سمير نجيب الذي اغتيل في مدينة ديترويت الأمريكية في أغسطس عام ١٩٦٧ عندما أعلن عن نيته الرجوع لمصر وحجز مقعدًا على الطائرة المتجهة لمصر في ١٩٦٧/٨/١٣ حيث صدمته سيارة نقل ضخمة وهو يقود سيارته وقيدت القضية ضد مجهول.

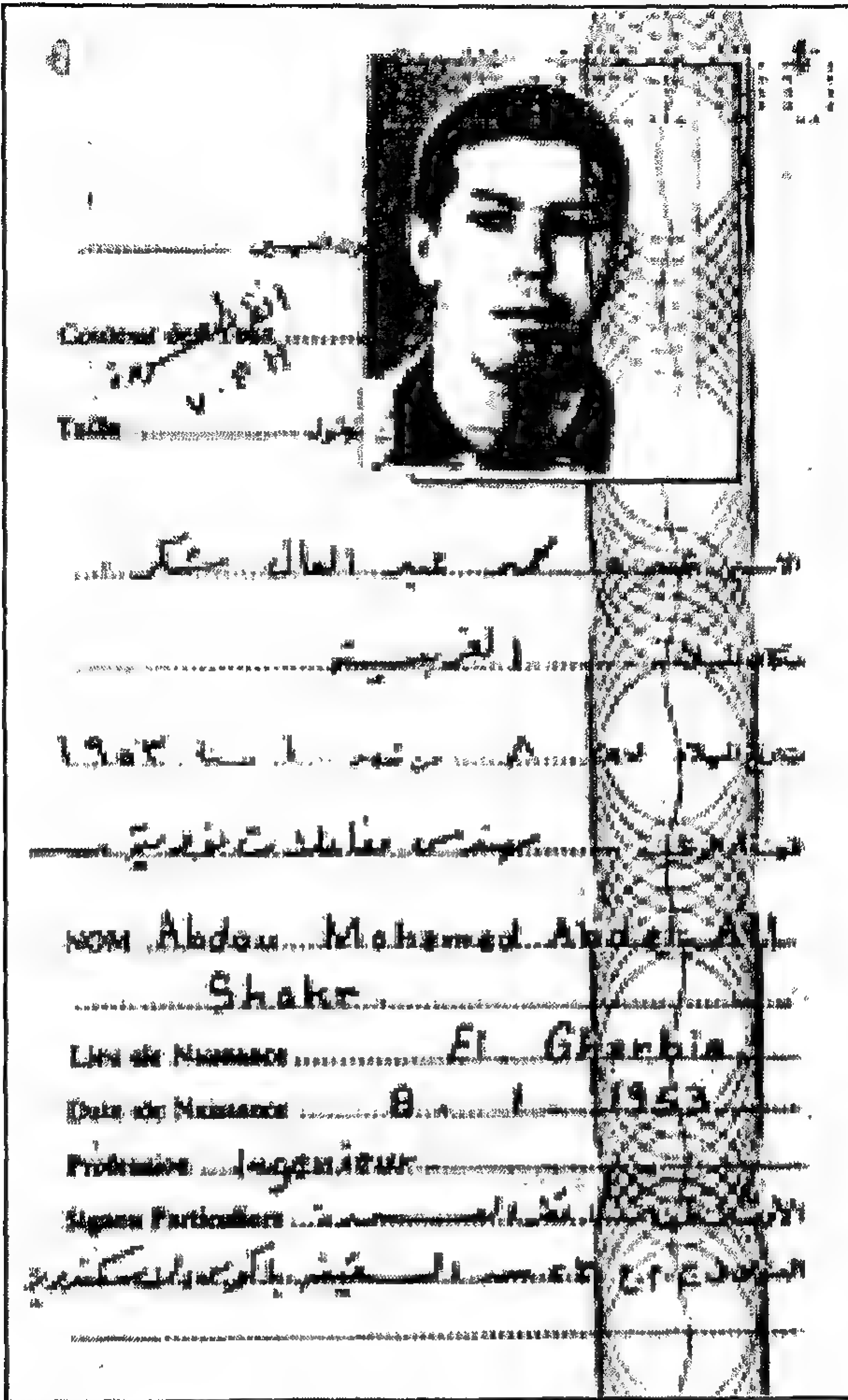
ومن بين علماء الذرة المصريين الذين تم اغتيالهم أيضا العالم الدكتور مصطفى مشرفة أحد تلاميذ العالم ألبرت إينشتاين، وأحد أهم مساعديه في الوصول للنظرية النسبية حيث توفي في ١٦ يناير ١٩٥٠.

وقد تواترت أنباء عن ضلوع "الموساد" في دس السم له أو ضلوع أحد المقربين من الملك فاروق بسبب تشكيل مشرفة جماعة تحت اسم "شباب مصر" من المثقفين والعلماء والطلاب تهدف لإقصائه عن الحكم.

كما لقيت تلميذته الدكتورة هدى موسى عالمة الذرة في ١٥ أغسطس عام ١٩٥١ مصرعها في أحد ضواحي كاليفورنيا عندما صدمتها سيارة نقل مجهولة، وأشارت أصابع الاتهام أيضًا إلى "الموساد".

كما اغتال "الموساد" أيضا عالم الذرة المصري يحيى المشد في فرنسا في ١٣ يونيو ١٩٨٠ في غرفته رقم ٩٤١ بفندق ميريديان بباريس على خلفية توليه الإشراف على البرنامج النووي العراقي ورفضه بعض شحنات اليورانيوم الفرنسي غير المطابق للمواصفات العلمية.

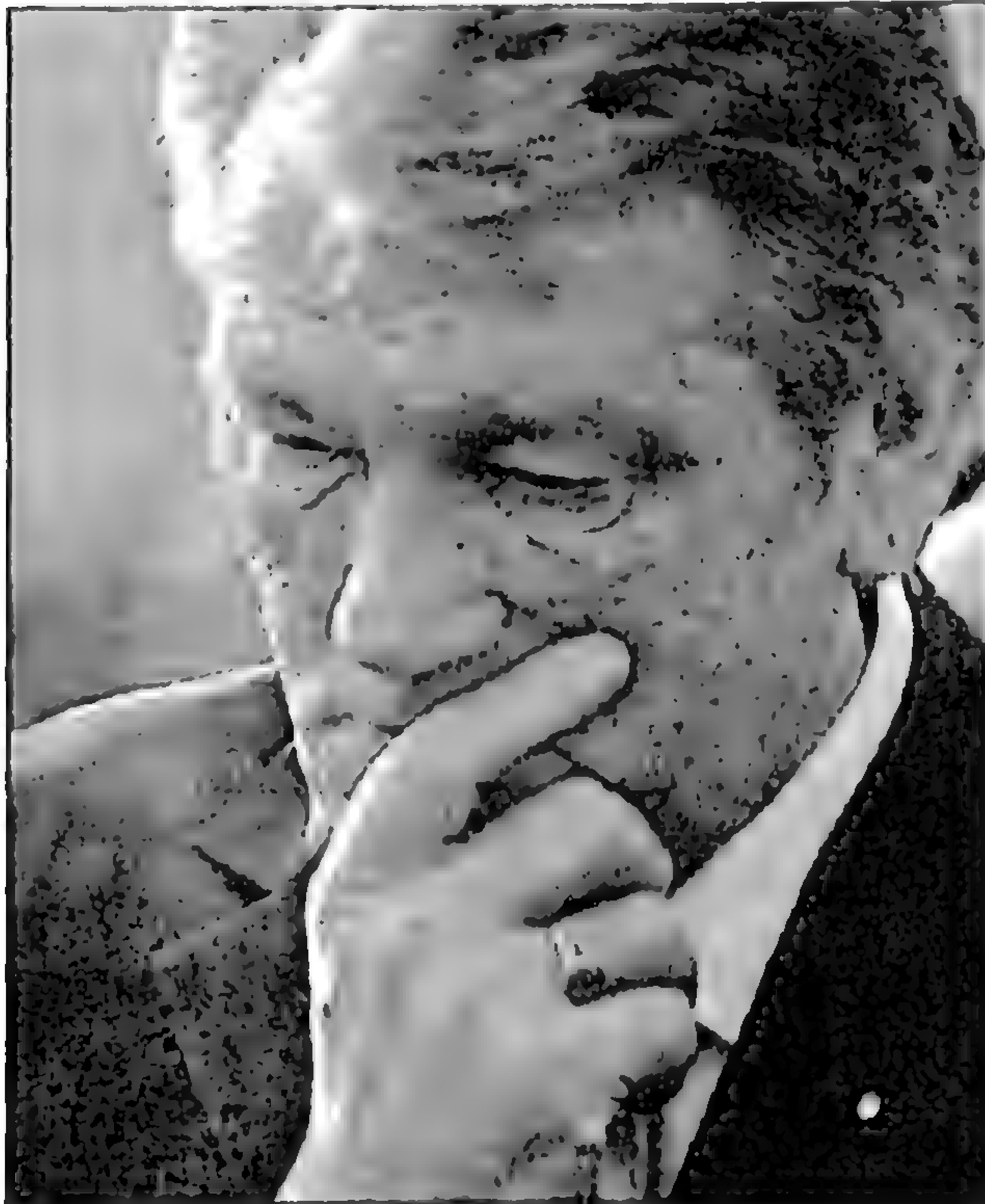
كما اختفى عالم الذرة المصري نبيل القليني منذ عام ١٩٧٥، بعد أن أوفدته كلية العلوم جامعة القاهرة إلى تشيكوسلوفاكيا ليعمل المزيد من الأبحاث في الذرة. وقد كشفت الأبحاث التي قام بها عن عبقرية فذة. وأشارت كافة التحريات والتحقيقات الصحفية في وقتها عن ضلوع الموساد في خطفه وقتله .


Couleur des Yeux
Taille
الغربية
١٩٥٣
مهندس مفاعلات نووية
NOM Abdou Mohamed Abdel All
Shakr
Lieu de Naissance El Gharbia
Date de Naissance 8 1 1953
Profession Ingenieur
Signes Particuliers

صورة جواز سفر شكر وفي خانة الوظيفة كتب : مهندس مفاعلات نووية !!

٢٢- الرئيس فيكتور يوتشينكو..

سر الوجه المشوه !!



••وبعد مشاهدة وجه يوتشينكو المشوه، قام عالم السموم الهولندي برام برروير بفحص عينة من دمه ليكتشف وجود مادة الديوكسين !!

ولد فيكتور أندريوفيتش يوتشينكو في ٢٣ فبراير ١٩٥٤ رئيس أوكرانيا المنتخب إثر ترشحه عن الائتلاف السياسي " أوكرانيا لنا " . وكان مرشح المعارضة الرئيس في الانتخابات الرئاسية الأوكرانية التي جرت في أكتوبر ٢٠٠٤-نوفمبر ٢٠٠٤. . أعلنته لجنة الانتخابات المركزية الأوكرانية الفائز بالإعادة للجولة الثانية من الانتخابات في ٢٦ ديسمبر ٢٠٠٤ بنسبة ٥٢٪ مقابل ٤٤٪ أمام فيكتور يانوكوفيتش. تقلد يوتشينكو سابقا منصب رئاسة الوزراء الأوكرانية بين ١٩٩٩ و٢٠٠١.

ففي أول ديسمبر ١٩٩٩، عَيّن يوتشينكو كرئيس وزراء من قبل الرئيس ليونيد كوشما، وتم التصديق على هذا التعيين بالأغلبية الساحقة لـ ٢٩٦ صوتا مقابل ١٢ صوتا في البرلمان، وتم تحقيق تقدم اقتصادي ملموس خلال عهد حكومة يوتشينكو.

قبل أن يتآمر الشيوعيون ورجال الرئيس من نواب البرلمان ليتم إعفاء يوتشينكو من منصبه خوفاً من شعبيته في الانتخابات الرئاسية التي يعتزم خوضها . ولكن أنصاره جمعوا أربعة ملايين صوت وقعوا عريضة تدعمه وتعارض التصويت البرلماني ضده وسار ١٠ آلاف من المتظاهرين لتأييده في كييف.

وفي ٢٠٠٢، أصبح يوتشينكو قائدا للتحالف السياسي، الذي حقق عددا من المقاعد في الانتخابات البرلمانية ذاك العام.

وكان يوتشينكو متزوجاً من كاترينا (زوجته الثانية). وهي أوكرانية-أمريكية مولودة في شيكاغو، ، انتقدها معارضو يوتشينكو لاحتفاظها بالجنسية الأمريكية. وأثناء الحملة الإنتخابية الماضية، اتهمت كترينا بممارسة تأثير من حكومة الولايات المتحدة الأمريكية على قرارات زوجها السياسية، كموظفة سابقة في الخارجية الأمريكية، واتهموها بأنها عميلة للمخابرات الأمريكية .

وقد اتّهمت قبلا من التلفزيون الروسي بقيادة مشروع أمريكي لمساعدة يوتشينكو للاستيلاء على السلطة في أوكرانيا . وفي يناير ٢٠٠٢، ربحت قضيّة تشهير ضده.

ومنذ نهاية فترة رئاسته للوزراء، أصبح يوتشينكو شخصية سياسية كرزماتية ويحظى بشعبية بين الأوكرانيين في المناطق الغربية ووسط البلاد. وفي ٢٠٠١-٢٠٠٤، أظهرت استطلاعات الرأي أن نسبة شعبيته تفوق تلك التي كانت للرئيس ليونيد كوشما في ذلك الحين .

وكان الداعمون لحركة يوتشينكو المعارضة يلبسون ويقودون سياراتهم حاملين أوشحة برتقالية، وكانت الأشجار، والمحال التجارية والمكاتب مزينة باللون البرتقالي. حتى مواكب حفلات الزفاف برتقالية. وعرف هذا بإسم الثورة البرتقالية.ويعد فيكتور يوتشينكو كسياسي أوكراني ووطني معتدل. كما أنه مؤيد لخصخصة الإقتصاد على نطاق واسع.

وفي ٢٠٠٤، ومع إنتهاء فترة الرئيس كوخما الرئاسية، أعلن يوتشينكو أنه مرشح مستقل للرئاسة. منافسه الرئيسي كان رئيس الوزراء فيكتور يانوكوفيتش.

حملة يوتشينكو السياسية قامت على التواصل وجها لوجه مع المقترعين، وذلك يعود إلى أن الحكومة منعت معظم قنوات التلفاز الرئيسية من تقديم تغطية متساوية لحملات المرشحين. في تلك الأثناء، ظهر منافسه، يانوكوفيتش، بشكل متكرر في نشرات الأنباء، وحتى إنه إتهم يوتشينكو، الذي كان والده الجندي في الجيش الأحمر معتقلا في أوشفيتس، بكونه "نازيًا."

وفي أول سبتمبر ٢٠٠٤أصبح يوتشينكو مريضا بشكل جدي . . وحدث تشويهات خطيرة في وجهه بالكامل، منتفخا، ومليئا بالبثور. وتم نقله بالطائرة إلى مستشفى في فينا بالنمسا للعلاج ،والتشخيص، وأثبتت التحاليل أن السبب " عدوى فيروسية خطيرة ومادة كيميائية لا توجد عادة في المنتجات الغذائية"، الأمر الذي قال يوتشينكو إنه من عمل عملاء للحكومة !!

بعد مشاهدة وجه يوتشينكو المشوه في نشرة الأنباء المسائية ،قام عالم السموم الهولندي برام بروير بفحص عينة من دم يوتشينكو في جامعة أمستردام الحرّة ليكتشف وجود مادة الديوكسين. وأثبتت هذ الفحوصات بالدليل القاطع أن حالة يوتشينكو الصحية السيئة هي نتيجة وجود تركيز عال من الديوكسين في الدم، دخل جسمه على الأغلب عن طريق الفم.

أكد هذه النظرية عالم السموم البريطاني جون هنري من مستشفى سان ماري في لندن، حيث إن الآثار على وجه يوتشينكو عبارة عن أحد الإعراض التشخيصية للتسمم بالديوكسين . وتفسر المشاكل الصحية الكبيرة للأعضاء التداخلية التي عانا منها يوتشينكو.

وفي يوم ١١ ديسمبر، أكد الأطباء النمساويون أن يوتشينكو قد تم تسميمه بمادة الديوكسين " T-٢ "، وأن جسمه يحوي ألف ضعف (مصادر أخرى تقول ٦ آلاف ضعف) من التركيز العادي لهذه المادة في جسمه .

وهذا هو ثاني أعلى مستوى الديوكسين تم قياسه في جسم إنسان. هذا السم المستخدم يعرف أيضا بإسم "المطر الأصفر"، وهي مادة أشيع أنها استخدمت في أفغانستان كسلاح كيماوي في فترة الوجود السوفييتي.

وقد ربط يوتشنكو تسممه بعشاء مع مجموعة من كبار المسئولين الأوكرانيين ، من بينهم رئيس جهاز الأمن الأوكراني وفي الليلة التي سبقت تسميمه .

ويختلف بعض علماء السموم مع هذه النظريّة، وهم يشيرون إلى أن أعراض التسمم بالديوكسين يلزمها عادة ما بين ٣ و١٤ يوما لتظهر بعد "عدّة أشهر بعد الابتلاع" أو التعرض له بشكل آخر، وأن ظهور الأعراض بعد عدّة ساعات من الابتلاع هو أمر غير مألوف.

المهم أن يوتشنكو خاض انتخابات الرئاسة بوجهه المشوه، وسط مؤازرة شعبية جارفة .. الجولة الأولى تمت في ٣١ أكتوبر ٢٠٠٤، وشهدت حصول يوتشينكو على

٨٧, ٣٩٪ أمام يانوكوفيتش بنسبة ٣٢ , ٣٩٪. وحيث أن أيا من المرشحين لم يصل إلى نسبة الفصل ٥٠٪ اللازمة للنصر الحاسم، تم تنظيم جولة ثانية من التصويت تمت في ٢١ نوفمبر ٢٠٠٤.

و بالرغم من نسبة الإقبال التي بلغت ٧٥٪، سجّل المراقبون العديد من المخالفات والخروقات في أنحاء البلاد، ك"تكرار التصويت" المنظم والأصوات الإضافية لِيانوكوفيتش بعد إغلاق صناديق الإقتراع. استطلاعات الرأي الأولية أظهرت النتائج تفوق يوتشينكو في المناطق الغربية وأواسط البلاد.

كان التلاعب المفترض بنتائج الانتخابات، بالإضافة إلى حقيقة أن استطلاعات الرأي الأولية قد أظهرت نتيجة (تفوق بنسبة ١١٪ ليوتشيكو في أحد الاستطلاعات) مختلفة جذريا عن نتائج الفرز النهائية (تفوق بنسبة ٣٪ لِيانوكوفيتش)، دفعت يوتشينكو ومسانديه إلى رفض نتائج الانتخابات.

حاصر آلاف المتظاهرين المؤيدين لـ "فيكتور يوتشنكو" مرشح المعارضة للانتخابات الرئاسية الموالي للغرب مساء يوم الثلاثاء ٢٣-١١-٢٠٠٤ القصر الرئاسي الأوكراني في العاصمة كييف، وطالبوا بتنصيب يوتشنكو رئيساً للبلاد.

وجاء ذلك في تصاعد جديد للاحتجاجات على إعلان فوز المرشح الموالي لروسيا "فيكتور يانوكوفيتش" بالانتخابات الرئاسية التي تحدثت المعارضة وأطراف دولية عن حدوث "عمليات تزوير ومخالفات كبيرة" بها.

وقد توجه آلاف المتظاهرين إلى القصر الرئاسي استجابة لدعوة وجهتها النائبة "يوليا تيموشنكو" إحدى أبرز وجوه المعارضة لأكثر من مائة ألف متظاهر تجمعوا في ساحة الاستقلال وسط العاصمة احتجاجا على تزوير الانتخابات.

وخاطبت تيموشنكو الحشود بقولها: "شكلوا طابورا وتعالوا معنا إلى مبنى الرئاسة. سنقوم بمحاصرته وسننتظر استسلامهم أو سنطالب باستسلامهم. ولن نستخدم القوة".

وأضافت: "لن نغادر المكان حتى يدخل إليه يوتشنكو رئيسا جديدا لأوكرانيا". وقد أقيم سياج حديدي حول القصر الرئاسي الواقع في وسط كييف، فيما تجمع المتظاهرون وراء السياج، وكانوا يصرخون: "الشرطة مع الشعب".

وكانت المعارضة قد أعلنت خلال جلسة برلمانية لم يكتمل فيها النصاب الثلاثاء "فيكتور يوتشنكو" رئيسا لأوكرانيا على أن يتسلم مهامه ابتداء من اليوم. وفي ختام الجلسة، أدى يوتشينكو اليمين الدستورية أمام النواب الحاضرين.

وكان قد تجمع أكثر من مائة ألف متظاهر أوكراني احتجاجا على فوز المرشح الموالي لروسيا "فيكتور يانوكوفيتش" بالانتخابات الرئاسية التي تحدثت المعارضة وأطراف دولية عن حدوث "عمليات تزوير ومخالفات كبيرة" بها.

ويقول المتظاهرون: إنهم سيواصلون احتجاجاتهم حتى يرغموا "الحكومة على الاعتراف بفوز مرشح المعارضة" بالانتخابات الرئاسية.

في المقابل، هدد عمال المناجم في منطقة دونتسك الأوكرانية بالنزول إلى شوارع كييف في تظاهرات دعم لـ "فيكتور يانوكوفيتش المرشح الموالي لروسيا".

وأعلنت قوات الأمن الأوكرانية أنها مستعدة للتدخل في أي لحظة لوضع حد سريع وحازم "لأي عمل غير شرعي".

وأشارت النتائج الرسمية للانتخابات إلى فوز مرشح السلطة الموالي لموسكو يانوكوفيتش في هذه الجمهورية السوفيتية السابقة. وقد سارع الرئيس الروسي فلادمير بوتين إلى تهنئة يانوكوفيتش بالفوز في الانتخابات. وتؤيد روسيا بشكل علني يانوكوفيتش. وقد زار بوتين أوكرانيا مرتين خلال الحملة الانتخابية.

غير أن المعارضة والمراقبين الدوليين أعلنوا عن حصول عمليات تزوير ومخالفات، كما ندد الأمريكيون والأوربيون بوقوع "مخالفات خطيرة" في العملية الانتخابية.

فقد اتهم "فيكتور يانوكوفيتش" مرشح المعارضة السلطة بالقيام بعمليات "تزوير شاملة"، ودعا عشرات الآلاف من أنصاره الذين تجمعوا في العاصمة كييف إلى "النضال حتى النصر". وألقت النائبة "يوليا تيموشنكو" إحدى أبرز وجوه المعارضة كلمة دعت فيها الأوكرانيين إلى "إضراب عام".

ورفض المجلس البلدي في كييف الاعتراف بنتيجة الاقتراع، ودعا البرلمان الأوكراني إلى عدم المصادقة عليها، بينما أعلنت مدينتان أخريان مهمتان هما "لفوف" و"إيفانو-فرانكيفسك" فوز يوتشنكو.

وعبرت الولايات المتحدة عن "قلقها الكبير" بعد الانتخابات التي تضمنت على حد قولها "تجاوزات خطيرة"، ولم تستبعد فرض عقوبات على أوكرانيا، حسبما أعلن "آدم إيرلي" المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية.

كما أدان مبعوث الرئيس الأمريكي جورج بوش في أوكرانيا السيناتور ريتشارد لوجار "عمليات التزوير الواسعة" تحت إشراف السلطة أو بالتواطؤ معها.

من جهتها رأت منظمة الأمن والتعاون في أوربا التي تراقب الانتخابات أن الاقتراع لم يلب المعايير الديمقراطية، بينما عبر الاتحاد الأوربي عن "قلقه العميق". وأكد نائب رئيس البرلمان الأوربي "ياشيك ساريوج- فولسكي" المراقب البولندي في الانتخابات الأوكرانية اقتناعه بحصول "عمليات تزوير".

وحذر رئيس جورجيا ميخائيل ساكاشفيلي من أن العملية السياسية في أوكرانيا تنعكس على المنطقة بمجملها، مؤكدا ضرورة أن تجد كييف طريقها الخاص إلى الديمقراطية.

و بعد ثلاثين يوما من المظاهرات العارمة في كييف والمدن الأوكرانية الأخرى، قامت المحكمة العليا بإلغاء نتائج الإنتخابات وتم تحديد تاريخ ٢٦ ديسمبر لإعادة الجولة الثانية. يوتشينكو استقرأ نصرا للمعارضة وأعرب عن ثقته أنه سيفوز بنسبة لا تقل عن ٦٠٪ من الأصوات.

في ٢٣ يناير ٢٠٠٥، الساعة ١٢ ظهرا (بتوقيت كييف)، تم تولية فيكتور يوتشينكو كرئيس أوكرانيا. حضر الحدث العديد من الشخصيات الأجنبية المهمة، من بينهم كولن باول وزير الخارجية الأمريكية.

ولا يزال زعيم المعارضة الأوكرانية يوتشنكو يعاني من مرض غامض، حوله من شخص وسيم إلى رجل شاحب ضعيف .. أما الفاعل فلا يزال مجهولاً، والجريمة أكثر من غامضة !!

في خضم التوقعات التي لا تزال سائدة عمن يقف وراء حادثة التسمم بمادة الديوكسين الغامضة التي تعرض لها مرشح المعارضة في انتخابات الرئاسة الأوكرانية فيكتور يوشينكو فإن استخدام سم الديوكسين كأداة سياسية شريرة لتولي منصب الرئاسة قد ولج مرة أخرى الحياة العامة في الجمهورية السوفييتية السابقة والتي يجادل بعض ضباط أجهزة الأمن الروسية السابقين أن هذه الوسيلة الغادرة لم تنته أصلاً في البلاد.

وفي مناسبات عديدة خلال العقد الماضي تعرضت الأجهزة الاستخباراتية والأمنية التي ورثت جهاز الاستخبارات السوفييتي السابق «كي. جي. بي» في روسيا وفي دول أخرى إلى الاشتباه بقيامها بإعطاء معارضين مرموقين عقاقير مخدرة أو موادًا سامة.. وفي الوقت الذي تنفي فيه السلطات المعنية مراراً مثل هذه الأفعال فإن مسؤولي استخبارات سابقين يقولون انهم وجدوا أن الكثير من هذه الاتهامات حقيقية.

وقال الكسندر ليتفيننكو والذي عمل في جهاز الاستخبارات السوفييتي السابق وفي الجهاز الاستخباراتي الذي أعقبه «وعمل أيضاً مع المباحث خلال الفترة ما بين عامي ١٩٨٨ و١٩٩٩ ويعيش الآن في لندن.. كانت وجهة نظرنا داخل جهازنا للاستخبارات تعتبر السم مجرد سلاح وأنه لم يكن يتم النظر إليه بالطريقة التي ينظر إليه في الغرب وإنما كان في نظرنا أداة عادية».وقال ليتفيننكو إن معمل

الكي. جي. بي السري في موسكو لا يزال يدار من قبل المباحث الاتحادية والذي يعرف اختصاراً بالروسية بحروف اف. اس. بي. وأنه متخصص في دراسة السموم.

وقال جنرال الاستخبارات السوفييتية السابق اوليغ كالوغين والذي يعيش الآن خارج واشنطن في تحليله لقضية زعيم المعارضة الأوكرانية فيكتور يوشينكو إن ما حدث معه يبدو بأنها محاولة بكل تأكيد لإزاحته من المسرح السياسي.

ويتحدث كالوغين من تجربة مباشرة غير عادية ففي عام ١٩٧٨م قام بنقل أوامر لعملاء مخابرات سوفيت بتزويد جهاز الاستخبارات البلغاري بمظلة مزودة بنابض استخدمت في وقت لاحق في نقل سم الريسين والذي أودى بحياة المنشق البلغاري جورجي ماركوف في لندن.وأوضح كل من ليتفيننكو وكالوغين بأنهما يعتقدان بأن يوشينكو قد تعرض لعملية تسميم تورط فيها جهاز المخابرات الأوكراني والذي كان على علاقات وثيقة مع معمل إف. إس. بي لدراسة السموم بل وإنهما يرتابان أيضاً في احتمال تورط المخابرات الروسية في هذا الأمر.وكان يوشينكو قد شعر بالإعياء بعد مأدبة في الخامس من سبتمبر الماضي مع رئيس المخابرات الأوكرانية الجنرال ايهور اسميشكو.

ونفت السلطات الروسية والأكرانية بشدة تورطها في ذلك الأمر، وصرح المتحدث باسم السفارة الروسية في واشنطن يفغيني خوريشكو بأنه لا يوجد دليل يدعم مثل هذه المزاعم.

وضمن جهودهما لتعزيز مزاعمها أشار ليتفيننكو وكالغين إلى قضايا مماثلة أخرى في السنوات الأخيرة الماضية حامت فيها الشبهات حول السلطات الروسية بتسميم أشخاص معارضين وأوضحا أن من ضمن تلك القضايا موت المصرفي الروسي إيفان كيفيليدي وسكرتيره في عام ١٩٩٥ بعد استخدامه لهاتف كان مسمماً كما كان واضحاً وكذلك موت المقاتل الأجنبي خطاب والذي كان يقاتل مع المقاتلين

الشيشان بعد فتحه لرسالة مسممة وكذلك اختفاء رئيس البرلمان الروسي السابق إيفان ربيكين والذي اختفى لعدة أيام في فبراير خلال منافسته للرئيس فلاديمير بوتين واتهامه في وقت لاحق معمل إف. إس. بي بتخديره.

وفي حادثة أخرى حظيت باهتمام واسع النطاق من وسائل الإعلام في روسيا وبريطانيا في الأول من سبتمبر عندما فقدت الصحفية الروسية المرموقة في صحيفة نوفايا غازيتا أنا بوليتكوفسكايا الوعي إثر تناولها كأس شاي خلال رحلتها الجوية إلى مدينة بيسلان في القوقاز عندما كان متشددون مسلحون يسيطرون على مدرسة أطفال وقالت الصحفية في وقت لاحق بعد استعادتها الوعي في المستشفى بأنها تعتقد أن عميلاً لمعمل إف. إس. بي.. الاستخباراتي كان معها في الطائرة وأنه عمد إلى تسميم الشاي .

وقالت أنا في تقرير لها بصحيفة الغارديان إن ممرضة بالمستشفي همست لها بأنها تعرضت لعملية دس سم لها.وهنالك العديد من قضايا التسميم المماثلة في كافة أرجاء العالم خلال العقود والسنوات الماضية ومنها محاولة عملاء المخابرات الإسرائيلية تسميم زعيم حماس خالد مشعل في الأردن بحقنه بسم زعاف إلا أن المخابرات الإسرائيلية وتحت ضغوط شديدة سلمت السلطات الأردنية ترياق ذلك السم الذي لا يعرف سره أحد غيرها.

وفي حقبة الخمسينيات والستينيات عمل برنامج سري للجيش الأمريكي مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية على إعداد سموم تقتل بدون ترك آثار لها وفشلت خطط لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية في تسميم رئيس وزراء الكونغو الأسبق باتريس لوممبا والرئيس الكوبي فيدل كاسترو.



فيكتور يوتشينكو



يوتشينكو قبل وبعد عملية تسميمه !!





يوتشينكو خاض حملته الانتخابية بوجهه المشوه وفاز بمنصب الرئاسة !!





الشعب الأوكراني وقف بجوار يوتشينكو ليصبح رئيساً لهم رغم أنف الجميع

ولكن الجريمة مرت وقيدت ضد مجهول !!

٢٣-آنا نيكول سميث .. انتحار .. ولكن !!



●●وتستمر آنا نيكول في تصدر الأخبار حتى بعد وفاتها .. لم يتم إلى الآن حسم سبب الوفاة ولا نسب ابنتها ولا سبب موت ابنها تحديدا .. قد يتم نسيان آنا نيكول بعد عشر سنوات من الآن وقد تستمر في إثارة التساؤلات وتتحول لأسطورة ذات نهاية غامضة كمارلين مونرو !!

على الرغم من أن الحسناء آنا نيكول سميث كانت مجرد ظاهرة هوليوودية تافهة إلا أننا لا يمكن أن ننكر أن تفاصيل حياتها قد استحوذت على الكثير من الاهتمام على المستوى الشعبي من بداية ظهورها كفتاة بلاى بوي للعام ١٩٩٢ وحتى وفاتها المفاجئة والغامضة يوم ٨ فبراير ٢٠٠٧.

وقد أعاد رحيل سميث المفاجئ إلى الأذهان مأساة رحيل ظاهرة هوليوودية أكبر في الماضي بطريقة غامضة ومذهلة، وهى مارلين مونرو، وكانت نجمة إغراء أيضاً!!

فقد وجدت انا نيكول في الثامن من فبراير ٢٠٠٧ في غرفتها بفندق " هارد روك" بولاية فلوريدا دون حراك في الساعة ١:٣٨ ظهرا .. ونقلت إلى المستشفى في تمام الساعة الثانية وعشر دقائق .. وقد أشار رجال الإسعاف أنهم حينما وصلوا فإنها لم تكن تتنفس. وقد أعلنت وفاتها بعد ساعة من وصولها إلى المستشفى.

وهكذا وفجأة، كما كان ظهورها، وكما كانت حياتها مثيرة للجدل، رحلت عارضة الأزياء السابقة آنا نيكول سميث في فندق بفلوريدا في الثامن من شباط. انا نيكول التي لطالما شغلت أميركا وأوروبا بتصرفاتها، نجمة التابلويد رحلت عن عمر يناهز التاسعة والثلاثين بعد أشهر من رحيل أكبر ابنائها في اليوم الذي ولدت فيها ابنتها (والذي لم يعرف أب لها حتى اللحظة) وبعد رحلة مع تلفزيون الواقع.

فيكي لين مارشال (٢٨ نوفمبر ١٩٦٧ – ٨ فبراير ٢٠٠٧)، معروفة أكثر بالاسم الفني آنا نيكول سميث، عارضة أزياء وممثلة أمريكية.

بدأت بعرض بنطلونات ثم أصبحت تعمل عارضة لمجلة بلاي بوي لسنة ١٩٩٣ ثم اتجهت إلى مجال التمثيل وقامت ببطولة فيلمين سينمائيين كلاهما من إنتاج سنة ١٩٩٤. في الفيلمين تلعب سميث نفس شخصيتها في الحياة اللاهية ..

ولدت فيكي لين هوغان وسط عائلة مفككة، حيث لم يكن الأب يرغب في تربيتها فتولت الأم والعمة هذا الأمر. عندما بلغت السابعة عشرة من العمر التقت شاب اسمه بيلي سميث وتزوجا وبعد تسعة أشهر أنجبت طفلا ذكرا أسمته دانييل واين.

تركت الدراسة في السنة الأخيرة لها في المرحلة الثانوية وعملت في مطعم محلي للوجبات السريعة. رغم ذلك فإن سميث دائما كانت تعتقد أن مكانها ليس هنا. انتقلت للعيش في مدينة هيوستن وبدأت العمل في بار كمقدمة مشروبات روحية لا تلبس أي ملابس في الجزء العلوي من جسمها. ثم أصبحت سميث أشهر راقصة متعرية في مدينة هيوستن.

وسرعان ما التقت المليونير ج. هوارد مارشال في سنة ١٩٩١ وبدأ في تدليلها وإغرائها بالمال الوفير.

بعد فترة قصيرة كبر صدرها فقررت مجلة بلاي بوي أن تخصص لها صفحة كاملة لتعرض جسمها عاريا. وبعدها انتخبت أجمل فتاة عرضت جسمها على صفحات المجلة لسنة ١٩٩٤. بدأ منتجو الأفلام السينمائية في هوليوود يلتفتون إليها وكلهم أمل في موافقتها على التعاقد معهم.

في سنة ١٩٩٤ تزوجت من عملاق صناعة النفط في الولايات المتحدة الأمريكية البالغ من العمر ٨٩ سنة ج. هوارد مارشال مما جعلها حديث المدينة. إثر وفاة مارشال بعد مرور ١٤ شهراً من الزواج قاتلت سميث كل الوصيات التي ظهرت والبالغ عددها ١٣ وصية والتي توصي بأنها لا ترث أي مبلغ من تركة زوجها.

وأبرز خصومها في هذه القضية ابن زوجها إ. بيرس مارشال، ومنذ دخول القضية طرقات المحاكم في نوفمبر ١٩٩٩ طالبت بنصف ثروة زوجها الراحل البالغة ١,٦ مليار دولار أمريكي. في سبتمبر ٢٠٠٠ أعلنت محكمة إفلاس لوس أنجلوس أنها قضت بمنح سميث أربعة ملايين ونصف مليون دولار أمريكي.

ولكن في يوليو ٢٠٠١ حكم قاضي تكساس مايك وود بدفع سميث مبلغ يتجاوز المليون دولار أمريكي لمحامي بيرس مارشال كمصروفات. أخيرا في مارس ٢٠٠٢ حصلت على ٨٨ مليون دولار أمريكي من تركة زوجها ومازالت القضية تدور في أروقة المحاكم.

عندما أجرت قناة E مقابلة تلفزيونية مع أنا نيكول سميث على الهواء مباشرة في سنة ١٩٩٧ اتضح أن المشاهدين تجاوبوا معها كثيرا وجلسوا يشاهدون المقابلة كاملة وبأعداد كبيرة واعتبر في حينها الأعلى مشاهدة من باقي برامج القناة.

في سنة ٢٠٠٢ قررت قناة MTV إنتاج برنامج واقعي يدور حول حياة والأحداث اليومية للممثلتين شارون أوسبورن وكيلي أوسبورن يحمل اسم The Osbournes، فقررت قناة E؛ عدم تضييع الوقت وإنتاج برنامج مماثل حول حياة وأحداث سميث اليومية بعنوان The Anna Nicole Show ويضم البرنامج محاميها هوارد ك. ستيرن، مساعدها كيم والثر، كلبها شوجر باي، وطفلها المتفوق في دراسته دانييل.

وبانتهاء البرنامج في سنة ٢٠٠٤ فإن سميث قامت بعمل حمية قاسية لترجع إلى مظهرها المثير جنسيا وقررت منذ ذلك الوقت الالتزام بالسلوك القويم وأكثرت من الظهور علنا في الأماكن العامة، ولكنها أحيانا تقوم ببعض السلوك غير المهذب كما حدث في مهرجان فيديو كليب ٢٠٠٤. في سنة ٢٠٠٥ اعترفت في مقابلة تلفزيونية أنها كانت ترغب في مبلغ أكبر مما ورثته من زوجها الراحل.

في ٧ سبتمبر ٢٠٠٦ أنجبت طفلة أنثى أسمتها داني لين هوب. وجعلت لقبها هوب (ومعناه باللغة الإنجليزية الأمل) لتجعله لذكرى وفاة ابنها دانييل واين سميث الذي توفي فجأة في ١٠ سبتمبر ٢٠٠٦ أثناء زيارته لوالدته وأخته. وأعلن محاميها هوارد ك. ستيرن وصديقها السابق المصور لاري بيركهيد أبوتهما للطفلة مما جعل الأخير يرفع قضية في المحكمة يطلب فيها إخضاع الطفلة لفحص الجينات الوراثية لمعرفة من هو والد الطفلة.

في ٨ فبراير ٢٠٠٧ وبالتحديد في الساعة الواحدة والنصف من ظهر يوم الخميس حسب التوقيت المحلي اكتشفت ممرضة خاصة في فندق هاردروك كازينو في ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية أن سميث ترقد من دون حراك في غرفتها بالطابق السادس، وسارعت الممرضة بطلب سيارة الإسعاف، في الوقت الذي حاول فيه الحارسان الشخصيان لسميث إجراء تنفس صناعي لها عن طريق الفم، إلا أن كافة المحاولات باءت بالفشل. وبعد دقائق عدة، وصل طبيب الإسعاف ومساعدوه، ونقلوا سميث إلى مستشفى «ميموريال ريجونال هوسبيتال» في نحو الساعة الثانية وعشر دقائق تقريبا، وبعد فترة وجيزة أعلن المستشفى رسميا وفاة سميث.

وما أن أعلن نبأ الوفاة حتى بدأت وسائل الإعلام الأميركية في التكهن حول أسباب الوفاة، وهل كان لها علاقة بمرض في القلب أو جرعة مخدرات زائدة، أم أنها جريمة قتل متقنة من أحد خصومها أو عشاقها القدامى الغاضبين وهم كُثُرٌ!!

فقد عرفت سميث الكثير والكثير من الرجال فهناك الصديق جوناثان مكمانوس ارتبطا معا لفترة محدودة في سنة ١٩٩٨.

و هناك الصديق بن خان إيراني المولد سويدي الجنسية ارتبطا معا لفترة محدودة في سنة ١٩٩٧

و هناك الزوج ج. هوارد مارشال الثاني (١٩٠٤-١٩٩٥). تزوجا في ٢٧ يونيو ١٩٩٤ عندما كانت تبلغ ٢٦ سنة وهو يبلغ ٨٩ سنة، توفي في السنة التي تلتها.

و هناك الزوج بيلي سميث. التقيا أثناء عملهما في مطعم جيمز كريسبي فرايد تشيكن في مدينة ميكسيا ولاية تكساس. تزوجا في سنة ١٩٨٥ وتطلقا في سنة ١٩٨٧.

وهناك الصديق: لاري بيركهيد. ارتبطا معا لفترة محدودة في سنة ٢٠٠٥.

وقد ظل جثمان نجمة الإثارة الأميركية أنا نيكول سميث محفوظا في مشرحة المستشفى لفترة من الوقت بعد وفاتها بسبب الجدل القانوني الذي كان دائراً حول تحديد والد ابنتها.

وكان قاض في فلوريدا قد أمر بعدم دفن جثمان نيكول سميث التي توفيت في ظروف غامضة في الثامن من فبراير عن ٣٩ عاما، لأسباب تتعلق بمجريات التحقيق.

وفي المقابل رأى قاض آخر في كاليفورنيا أنه بات من الممكن دفن أنا نيكول سميث لأنه تم خلال عملية تشريح الجثة فحص الحمض النووي لها.

وسبب هذا الجدل هو تحديد هوية والد طفلة سميث التي تدعى دانيالين وتبلغ من العمر خمسة أشهر وقد تصبح وريثة ثروة كبيرة. وأكدت سميث باستمرار أن محاميها ورفيقها هاورد ستيرن هو والد الطفلة إلا أن مصورا من لوس انجليس يدعى لاري بيركهيد يؤكد أن دانيالين ابنته.

وأخيرا أكد الأمير فريديريك فون انالت زوج الممثلة زازا غابور أنه قد يكون والد الطفلة ويطالب بإجراء فحص للحمض الريبي النووي لتحديد هوية الوالد.

ورفض قاضي فلوريدا السماح بدفن جثة سميث بطلب تقدم به محامو بيركهيد. وفي المقابل طالبت فيرغي آرثر والدة سميث وستيرن بدفن جثة سميث في أسرع وقت تفاديا لتحللها. ويدور خلاف بين آرثر وستيرن حول المكان الذي ستدفن فيه العارضة السابقة.

وفي حين كانت والدة انا نيكول ترغب أن تدفن ابنتها في تكساس، أكد ستيرن ان سميث قالت إنها تريد أن تدفن في جزر الباهاما حيث دفن ابنها دانيال الذي توفي قبل رحيلها بأشهر عن ٢٠ سنة.

وكانت عملية تشريح جثة دانيال قد كشفت أن الصبي قد توفي نتيجة أزمة قلبية من جراء تناول أدوية مختلفة. وفي ١٩٩٤ عندما كانت في الـ٢٦ من العمر اكتسبت

انا نيكول سميث شهرة كبيرة إثر زواجها من الملياردير هاورد مارشال الذي كان يكبرها ب٦٣ عاما التقته في ناد للتعري في هيوستن.

وبعد وفاة زوجها عن ٩٠ عاما إثر زواج دام ١٨ شهرا، خاضت معركة قضائية ضد ابنه للحصول على حصة من إرثه في قضية ما زالت في محاكم الاستئناف. ولم يرد اسم سميث في وصية مارشال لكنها أكدت أن زوجها وعدها بقسم من إرثه. ويقال ثروة مارشال تقدر ب١,٦مليار دولار. وفي حال ربح محامي سميث هذه القضية، قد تكون دانيالين الوريثة الوحيدة لهذه الثروة الكبيرة.

وأخيراً وبعد صراع على أبوة ابنة العارضة المتوفاة أنا نيكول سميث أظهرت فحوصات الـ DNA بأن الوالد هو صديقها السابق لاري بيركهيد الذي خرج من قاعة المحكمة وهو يشعر بالانتصار وأعلن بأنه سيستعيد ابنته قريباً لتعيش معه في منزله.

"قلت لكم ذلك" هذه الكلمات كانت ردة فعله الأولى عندما أعلنت المحكمة نتائج الفحوصات في جلسة مغلقة.

ثم عانق خصمه هوارد كي ستيرن محامي سميث الذي تعمقت علاقته بها وأصبح عشيقها، وكان يعتني بالطفلة "دانيلين" منذ وفاتها.

إلا أن ستيرن صرح بأنه لن يدخل في معركة قانونية للحصول على الحضانة حيث صرح قائلاً" من الواضح بأنني محبط لنتيجة الفحص إلا أن مشاعري تجاه الطفلة لم تتغير" وأضاف " بإمكان بيركهيد أن يأتي إلى منزله في الباهاما لزيارة دانيلين في أي وقت".

حتى والدة سميث فيرجي أرثر والتي تتنازع على حق حضانة الطفلة بدت مرتاحة لأن دانيلين ستعرف من هو والدها الحقيقي". وبهذا ستكون المعركة المقبلة بين الأب والجدة على حضانة الطفلة.

والجدير بالذكر أن بيركهيد مصور فوتوغرافي من لوس أنجلوس، وسعى لحضانة الطفلة قبل أن تتهاوى سميث ذات الـ ٣٩ عاماً وتموت في فندقها في فلوريدا.

والحقيقة أنه من الصعب فهم كيف تتحول بعض الشخصيات إلى ظواهر دون أن يكون لهم أي إسهام مهم في أي من مجالات الحياة .

ولدت فيكي لين مارشال في نوفمبر ١٩٦٧ في ولاية تكساس وغيرت اسمها إلى آنا نيكول سميث عام ١٩٩٣ ، انفصل والداها بعد ولادتها مباشرة وعاشت لفترة مع امها وزوجة خالها قبل أن تنتقل إلى منزل خالة لها في مدينة أخرى من ولاية تكساس حيث بدأت دراستها الثانوية والتي توقفت عنها قبل انتهائها .

تزوجت فيكي من بيلي واين سميث الذي كان يعمل طاهياً في المطعم الذي عملت فيه كنادلة .. وعندما ولد ابنها الوحيد دانيل كانت فيكي في الثامنة عشرة من عمرها وكان والد الطفل في السابعة عشرة وسرعان ما انفصلا لتحاول العمل كنادلة وبائعة في متجر كبير لتنفق على ابنها ولكنها لم تنجح في كسب ما يرفعها هي وابنها فوق خط الفقر .. إلى أن بدأت عملها كموديل .

وفي عام ١٩٩٢ اختارها هيو هيفنر مؤسس مجلة بلاى بوي لتظهر على غلاف المجلة لتقلب موازيين الجمال حيث كانت ممتلئة القوام في وقت كانت الموديل المثالية شديدة النحافة .

عام ١٩٩٣ استقرت على اسم آنا نيكول سميث وأصبحت وجه ماركة جس للجينز بدلا من السوبر موديل كلوديا شيفر .. واستغلت شركة جس الشبة بين آنا نيكول وبين نجمة الإغراء القديمة جين مانسفيلد في الإعلانات التي قامت ببطولتها ولكن آنا نيكول نفسها طالما صرحت بأنها تتشبه بمارلين مونرو .

وبينما كانت آنا نيكول تعمل كراقصة في ملهى ليلي عام ١٩٩١ قابلت الملياردير جي هاورد مارشال ورافقته لمده سنتين قبل أن تطلق رسميا من زوجها وتتزوجه عام ١٩٩٣ .

توفى مارشال بعد زواجهما بثلاثة عشر شهراً وبدأت معركة قوية بين آنا نيكول وبين أبناء مارشال حول إرثه مستمرة حتى الآن بعد وفاتها ووصلت القضايا إلى المحكمة الدستورية التي حكمت بأحقية آنا نيكول سميث في المطالبة بنصيب ما في الثروة التي تركها زوجها .

مثلت آنا نيكول في بضعة أفلام وأنتجت فيلماً واحداً ولكنها لم تلق أي نجاح نقدي بل كانت مادة مستمرة للسخرية وبالذات في البرامج الكوميدية الليلية وفي عام ٢٠٠٢ قامت ببطولة أحد برامج الواقع حيث كانت تتصرف بفجاجة مثيرة للدهشة والذي حازت حلقته الأولى على أعلى نسبة مشاهدة في تاريخ القناة المنتجة.

وفي يوم ١ يونيو ٢٠٠٦ وضعت آنا نيكول سميث ابنتها داني لين التي تقول شهادة ميلادها الصادرة من جزر البهاما أنها ابنه محامي آنا نيكول وصديقها الأخير هاورد سترن بينما رفع صديقها السابق لاري بيركهيد قضية يطالب فيها بإثبات أبوته لداني لين .

يوم ١٠ سبتمبر ٢٠٠٦ توفي دانيل ابن آنا نيكول بينما كان يزورها في المستشفى ودفن في جزر البهاما وفي فبراير من العام التالي وجدت ان نيكول ميتة في غرفتها بأحد الفنادق .

وتستمر آنا نيكول في تصدر الأخبار الفنية بعد وفاتها .. لم يتم إلى الآن حسم سبب الوفاة ولا سبب موت ابنها تحديدا .. قد يتم نسيان آنا نيكول بعد عشر سنوات من الآن وقد تستمر في إثارة التساؤلات وتتحول لأسطورة فيبدو أن لا مقياس ثابتا في هذه الأمور





أنا في قمة جمالها وتألقها قبيل رحيلها !!





مع ابنتها التي تفجرت قضية نسبها بعد رحيل الأم ومع ابنها الذي مات وتركها وحيدة !!

مصادر ومراجع

١- السم أداة سياسية وأوكرانيا ليست بالاستثناء — بي .بي.سي -١٧ ديسمبر ٢٠٠٤

٢- بن لادن الشيعي".. الشبح الذي أرهق استخبارات ٤٢ دولة - حيان نيوف - تقرير "العربية.نت" -٢٥ مايو٢٠٠٧

٣- كتاب " تاريخ إسرائيل " - أهارون برجمان

٤- كتاب " عشية التدمير " - هوارد بلوم — ٢٠٠٣

٥- كتاب " الثعلب الشيعي " — مجدي كامل — كتاب اليوم - ٢٠٠٧

٦- من قتل الحريري ؟- محمد سليمان- مجلة العصر- ١٦فبراير٢٠٠٥

٧- الكولونيل في المخابرات العسكرية الإسرائيلية رؤوفين أرليخ يعترف باغتيال رفيق الحريري- شام برس - ٢ يونيو٢٠٠٨

٨- كتاب " الموساد والمخابرات الأمريكية وراء اغتيال الحريري " - يورجين كاين كولبه

٩- لماذا إذاً قتل رفيق الحريري؟ - حسن زيني - شبكة البصرة -٣١ مارس ٢٠٠٥

١٠- لماذا قتل رفيق الحريري ومن المستفيد من اغتياله !؟ - ملتقى الحوار العربي -٢٣أكتوبر٢٠٠٥

١١- موقع البحث عن الصحفى المفقود رضا هلال على الإنترنت" www. redahelal.com "

١٢- رضا هلال مسرحية بلا نهاية - محمد أمين المصرى

١٣- جماعة "الجهاد" للكاتب المصري سيد القمني: نجوتَ من مصير رضا هلال الذي قتلناه بالرصاص - محمد حمدي - الشرق الأوسط- ٢٨ يوليو ٢٠٠٥

١٤- اغتيال جون قرنق – عمر عبد الله - منتديات النيل الأبيض – ٤ فبراير ٢٠٠٨

١٥- الرحلة الأخيرة لجون قرنق – باسم الجمل - ٢٩ يوليو ٢٠٠٥

١٦- أسباب تحطم مروحية قرنق محل بحث دائم من قبل فريق تحقيق دولي - رويترز

١٧- جون قرنق وعالم البنادق الغامض - على سعادة - ٢٣ مارس ٢٠٠٨

١٨- مهمة خاصة: الرحلة الأخيرة لجون قرنق - العربية ٢٣- ديسمبر٢٠٠٧

١٩- أين موقع نظرية المؤامرة في اغتيال جون قرنق؟ - خالد أبو أحمد - الحوار المتمدن – ٨ أغسطس ٢٠٠٥

٢٠- فيكتور يوتشينكو – ويكيبيديا- الموسوعة الحرة

٢١- مؤيدو المعارضة يحاصرون قصر الرئاسة بكييف- إسلام أون لاين-٢٣ نوفمبر ٢٠٠٤

٢٢- كابيلا.. التلميذ غير النجيب - محمد عبد العاطي – إسلام أون لاين – ٤ فبراير ٢٠٠٤

٢٣- "كابيلا" نجم القمة الفرنسية الأفريقية - ياوندي - إسلام أون لاين- ١٧ديسمبر٢٠٠١

٢٤- الحرب الخاسرة في جمهورية الكونغو الديموقراطية- كوليت برايكمان كابيلا الميت الحي وابنه رئيس مؤقت للكونغو! - إسلام أون لاين- ١٧-١-٢٠٠١

٢٥- من قتل جون قرنق: البشير، موسفيني.. أم "جيش الرب"؟

٢٦- "ربيكا" زوجة نائب الرئيس السوداني الراحل "شاهد شاف كل حاجة" - عثمان عبد المجيد الأمين

٢٧- قصة أبو نضال - حلقات ترويها تغريد سعادة – صحيفة الزمان – ١٠/ ٢٤/٢٥ أغسطس ٢٠٠٥

٢٨- بسام أبو شريف للعربية.نت: ياسر عرفات قُتل بالسم عبر لسانه - علا المدهون

٢٩- في الذكرى الثانية لرحيل ياسر عرفات: هل يبقى قاتل الزعيم الفلسطيني متوارياً !! - محمود كعوش- منتديات بوابة العرب - ١٢ نوفمبر ٢٠٠٦

٣٠- وثيقة خطيرة تقود لطرف الخيط في مقتل ياسر عرفات - طوني شامية- منتديات بوابة العرب - ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦

٣١- من قتل عرفات؟ - أوري أفنيري - الحوار المتمدن - ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥

٣٢- لغز "السم القاتل" لا يزال قائماً في وفاة الرئيس الراحل ياسر عرفات- محسن الإفرنجي -١٣ نوفمبر ٢٠٠٦

٣٣- أشرف مروان.. حياة غامضة.. وموت مثير! - صحيفة النهار - ١٨ سبتمبر ٢٠٠٧

٣٤- جريمة غامضة .. من قتل طليقة السفير ؟!- خالد إدريس - صحيفة الوفد - ١٨ أبريل ٢٠٠٨

٣٥- ملف اغتيال العلماء العراقيين وتكشف عن قتل ٥٥٠٠ عالم عراقي " الفاعل مجهول " - مجلة المشاهد السياسي البريطانية - ٣ أبريل ٢٠٠٨

٣٦- حملة تصفية علماء العراق - برنامج " الاتجاه المعاكس " - فيصل القاسم - ١٧مارس٢٠٠٦

٣٧- من يقف وراء كارثة وأد العقول العراقية ؟ - عماد الأخرس- بابل ٥ أبريل ٢٠٠٨

٣٨- من يغتال العقول الروسية ؟! - يوري اندرييف

٣٩- تساؤلات برلمانية عن ملابسات وفاة العالم النووي عبده شكر- أحمد إبراهيم- " جريدة " الرياض "

٤٠- لغز الفتى " مروان " - إيمان يحيى - صحيفة الوقت البحرينية -١٦ يوليو ٢٠٠٧

٤١- من قتل أشرف مروان ؟- هيئة الإذاعة البريطانية – ٢ يوليو ٢٠٠٧
٤٢- نحروه .. أم انتحر ؟- هل انتقم الموساد من أشرف مروان بسبب دوره في حرب أكتوبر؟ - صحيفة الرياض – ٢ يوليو ٢٠٠٧
٤٣- لغز الساعات الأخيرة في حياة أشرف مروان: كيف وصل للشرفة بدون عصاه - سعيد الشحات - دنيا الوطن – ٣٠ يونيو ٢٠٠٧
٤٤- لغز وفاة أشرف مروان - أحمد مرزوق – صحيفة " الصباح "
٤٥- بسام أبو شريف للعربية.نت: ياسر عرفات قُتل بالسم عبر لسانه تجنّب اتهام مسؤولين فسلطينيين – قناة العربية - علا المدهون
٤٦- في الذكرى الثانية لرحيل ياسر عرفات: هل يبقى قاتل الزعيم الفلسطيني متوارياً !! - محمود كعوش - ١٢ نوفمبر ٢٠٠٦
٤٧- من قتل عرفات؟ - أوري أفنيري - الحوار المتمدن – ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥
٤٨- ما بين تشكيك وتأكيد وتعزيز لفرضية "التسميم" : - لغز "السم القاتل" لا زال قائماً في وفاة الرئيس الراحل ياسر عرفات!!- محسن الإفرنجي- ١٣ نوفمبر ٢٠٠٦
٤٩- كتاب السقوط الصامت نهاية درامية للرجل الغامض من بناية كارلتون هاوس.. أشرف مروان.. حياة غامضة.. وموت مثير! – صحيفة " النهار " – ١٨ سبتمبر ٢٠٠٧
٥٠- الأسرار الخفية لسقوط الطائرة التركية .. هل سقطت طائرة شركة أطلس جيت التركية أم أسقطت؟ - موقع الإسلام اليوم – ٣ مارس ٢٠٠٧
٥١- مقتل الدبلوماسي الأمريكي في عمان وسياق العنف في الأردن - إبراهيم غرايبة - الجزيرة – ١٢ يناير ٢٠٠٨
٥٢- فرنسا من الداخل .. فرنسا الضباب !... بقلم : مصطفى نور الدين - صحيفة الأهالي -٣ يونيو ٢٠٠٦

٥٣- موقع على الإنترنت للبحث عن الصحفى المفقود رضا هلال .www.redahelal.com

٥٤- رضا هلال .. مسرحية بلا نهاية -محمد أمين المصرى - ٢٨ اغسطس ٢٠٠٣

٥٥- اغتيال جون قرنق – عمر عبد الله -منتديات النيل الأبيض – ٤ فبراير ٢٠٠٨

٥٦- ضابط مخابرات أمريكي سابق : الـ" سي . آي . إيه " اغتالت الحريري – ٥ نوفمبر ٢٠٠٦

٥٧- جون قرنق وعالم البنادق الغامض على سعادة – الجزيرة-٩ سبتمبر ٢٠٠٥

٥٨- أرملة قرنق تعلن لأول مرة أن زوجها تم اغتياله - جريدة الأهـرام ١٩ يونيو ٢٠٠٧

٥٩- جرائم قتل غامضة للفتيات بالمغرب .. وسائل الإعلام شبهتها بجرائم ريّا وسكينة- صحيفة ٢٦ سبتمبر - أبريل ٢٠٠٦

٦٠ - أين موقع نظرية المؤامرة في اغتيال جون قرنق؟ - خالد أبو أحمد - الحوار المتمدن – ٨ أغسطس ٢٠٠٥

٦١- كابيلا.. التلميذ غير النجيب - محمد عبد العاطي – إسلام أون لاين – ٤ فبراير ٢٠٠٤

٦٢- الحرب الخاسرة في جمهورية الكونغو الديموقراطية -كوليت برايكمان

٦٣- اغتيال إيهاب الشريف كلمة السر الإيرانية - سوزي الجنيدي – ٣ فبراير ٢٠٠٧

٦٤- العفاريت تسكن شقة الفنانة ذكرى – أخبار الحوادث – ٢٠ أغسطس ٢٠٠٦

٦٥ - كابيلا الميت الحي وابنه رئيس مؤقت للكونغوا- إسلام أون لاين- ١٧ يناير ١٧ ٢٠٠١

٦٦- شبح ذكرى يظهر فى الزمالك - تحقيق ياسر سليم - جريدة الجريدة – ١٥ يوليو ٢٠٠٥

٦٧- سر الجثث المقطوعة - جمال الشناوي مجدي دربالة - تحقيق - مجلة أخبار الحوادث - ٧من فبراير ٢٠٠٢

٦٨- جريمة الكامري الخضراء - تقرير- التاج عثمان - صحيفة الرأي العام السودانية

الفهرست

■ في عالم الإجرام نوعان من الجريمة إحداهما تبوح بأسرارها مهما طال الوقت، ومهما أحاط بها الغموض، وأخرى تتحول إلى لغز محير، وتمر السنة تلو الأخرى لتُطمس معالمها، وتُمحى آثار مرتكبيها، وتُقيَّد الجريمة ضد مجهول، ليذهب دم الضحية أو الضحايا بلا ثمن !!

■ وهناك جرائم من العيار الثقيل .. جرائم يندى لها جبين الإنسانية سواء بسبب وزن الضحية، أو عدد الضحايا، وحجم الخسائر، أو غرابة الجريمة، أو الغموض الذي يكتنف هوية الجناة !!

■ وفي هذا الكتاب نحاول أن نرصد أشهر وأخطر الجرائم الغامضة في القرن الحادي والعشرين، جرائم روعت العالم، أو صدمت ضمير الإنسانية، بسبب ما تضمنته من مآسٍ، وما خلفته من ضحايا، وما تَوَلَّد عنها من صدمة للجميع .

■ من هذه الجرائم اغتيالات سياسية بشعة، شهدها العالم شرقه وغربه، ولم يتم التوصل لمرتكبيها، ومذابح رهيبة لم يُعرف منفذوها، ومن ثَم لم تطله يد العدالة، رغم استصراخ أرواح الضحايا، وأنات ذويهم، وجرائم أخرى تتعلق بمخلوقات أو أشباح غامضة تظهر في بعض الأماكن، وأشكال وصور أخرى لجرائم اختلفت في ملابساتها، وهوية مرتكبيها وضحاياهم، ولكن خيطاً واحداً جمع بينها جميعاً وهو الغموض الذي اكتنفها جميعها لتُقيد في النهاية ضد مجهول !!

W.Salama 010 15 17 873







I.S.B.N. 977-376-405-2

